بقلم
كتّاب يهود

الشعب الفلسطيني

بعيون

اللاّساميَّة، الصهيونيّة
اليهوديّة، العنصريّة المضادة للعرب
و... محاكمة الغرب

ترجمة وتعليق
الياس مرقص





دار الحقيقة - بيروت

الشعب الفلسطيني

الشعب الفلسطيني

اللاّساميَّة، الصهيُونيّة اليهُوديّة، العنصُريّة المضادة لِلعرَب وَ... مُحاكَمة الغرَب

بقلم
كُتّاب يهُود

ترجمة وتعليق
الياس مُرقص

دار الحقيقة للطباعة والنشر في بيروت

مقدمة

أمامي مجموعة مقالات العدد الاول من مجلة فرنسية اسمها **هيريتم** Herytem ، النقد السياسي للحياة اليومية، مجلة فصلية ، عدد أيار ـ تموز ١٩٦٩ : « الشعب الفلسطيني . اللاسامية ، الصهيونية ، اليهودية ، العرقية المعادية للعرب ، و ... محاكمة الغرب » بقلم عمانويل ليفين **E. Lévyne** ، جان بوبيرو **J. Baubérot** كسيم رودنسون، جيزيل بلوك **G. Bloch** ، بيار بيرمان **P. Bierman** الـ **M. R. A. A** (الحركة ضد العرقية المعادية للعرب) ، جماعة من اليهود الفلسطينيين . هذه الاضبارة الفلسطينية (اي اضبارة فلسطين في علاقاتها اللامتناهية « خارج » فلسطين) تؤلف القسم الاكبر من العدد الاول الذي هو في شكل ملازم مستقلة . (عدا عن هذه الاضبارة ، أجد : ١) التاريخ الشامل **globale** (محاولة في الانسانو تحليل) ٢) الطب والسياسة ٣) خطاب ـ مضاد عن المبدأ البوليسي ٤) تحقيق عن الحوار الماركسي ـ المسيحي) . وامامي العدد الثاني من المجلة ذاتها ، وهو اضبارة جريدة « لوموند » الذائعة الشهرة ، حيث تحتل القضية الفلسطينية والعربية (١٩٤٨، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧) مكان الصدارة . قضية فلسطين تحتل مكانا أساسيا في عمل مجلة هيريتم ، سابقا هرمس Hermes (: ٤ اعداد) . هنا قضية فلسطين ليست قضية فلسطين

فقط ، ليست هوية ميتة ، ليست كلمة ، أو هي كلمة **جدّية!**
مقال جان بوبيرو عنوانه : « الفلسطينيون ، الغرب ، ودينية اللغة » ، مقال اللاهوتي السياسي ليفين عنوانه « اليهودية وتحرير فلسطين » ، حوار هيريتم مع رودنسون عنوانه « مسائل ايديولوجية وسياسية » ، ...

كل الكتاب المذكورة أسماؤهم آنفا يهود .

مكسيم رودنسون ليس بحاجة الى تعريف . ولكن بما ان المشارقة أكتشفوه في ١٩٦٧ واحبوه كثيرا (ولسان حالهم : « هذا الرجل معنا ») ثم تحول بعضهم مكتشفا ان « الرجل ليس معنا » (ليس معهم ولكنهم ممثلونا !) وليس « ماركسيا » (فهم « ماركسيون » وممثلو الماركسيّة) ، لا بأس من القول بأن الرجل معنا ، مع الحقيقة ، مع المعرفة ، مع الشعوب العربية ، مع البشرية ، منذ ثلاثين عاما ، منذ دائما . في رأيي ، مقاله « اسرائيل واقع استعماري » حدث هام في فرنسا ، وايضا عندنا . وفي رأيي ، قدم رودنسون ، في ما كتبه منذ نيف و١٥ عاما عن المسألة القومية ولينين وستالين ، قدّم اسهاما فذا في بعث **المادية الجدلية على** مسألة هي **المسألة القومية** . أخالفه في كذا وكذا وسأخالفه في كذا وكذا ــ في السياسة وفي النظرية ــ ، وأتعلم منه وسأتعلم منه الى النهاية . وألحّ على نشر ما لم ينشر بعد من مؤلفاته ... رودنسون يرفض ان يكون « ماركسيا ارثوذكسيا » ، اعتقد نفسي بالعكس ، ولكنني بالدرجة الاولى اعتقد ان ماركسية وارثوذكسية وماركسية ــ لينينية تسعة اعشار الزاعمين زائفة ...

الكتاب الآخرون ؟ المشرفون على هيريتم ، والمشاركون في هذا العدد الاول ، الخ ؟ أترك لمقالاتهم امر التعريف بهم .

الموضوعات التي يعالجونها في مقالاتهم ؟ أحيل القارىء على فهرس هذا الكتاب .

« مزايا » هذه المقالات ؟ فوائدها لنا ؟ لمعركتنا ؟ لفهمنا؟ أترك القضية للقارىء . من جهتي ، ليس من طبعي ان أترجم مقالات لا أرى لها لزوما . ولا أعتقد ان هناك معركة هي معركتنا ليست معركة غيرنا ، والعكس بالعكس . وبالطبع ، لو كنت مؤمنا بأن شعار « السلطة في فوهات البنادق » يحل المسائل ، وبأن « الكفاح المسلح » هو ستراتيجية وليس الكفاح لا سيما المسلح يتطلب ستراتيجية، وبأن النصر قريب ، الخ ، لما ترجمت هذه المقالات.، لاكتفيت ، في هامش من كتاب ، بقول من نوع : « هناك في فرنسا نفر من اليهود مناهضون للصهيونية ويجب ان نشكرهم » . ولو كنت أؤمن بأن قيمة المقالات تتناسب مع عدد مؤلفيها ، لكنت تركت الماركسية كلها .

عيوب هذه المقالات ؟

بالاحرى ملاحظاتي عليها ، موقفي بمناسبتها وفي معارضتها ! في هذه المقدمة اكتفي بملاحظات مبدئية اولية .

١ ـ قضية اللغة

هذه القضية تستحوذ على اهتمام جان بوبيرو ، بيار بيرمان ، . . . ، وعلى اهتمامي .

شخصيا أعارض عدم اهتمام الماركسية التقليدية ، لا مبالاة الماركسية السائدة . وبالمقابل ، أعارض كل اتجاه « حديث » يركب على قضية اللغة ـ النطق ـ اللسان ـ الكلام ، ولا يرتكز على **الدفاتر الفلسفية** للينين ، بشكل خاص : خلاصة **دروس جوهر الدين** لفويرباخ ، خلاصة **منطق** هيغل ، خلاصة **دروس تاريخ الفلسفة** لهيغل ، خلاصة كتاب

ما وراء الطبيعة لارسطو ، خلاصة **هيراكليت** لاسال ، **وحول الجدل .**

أطالب بوبيرو ورفاقه بأن ترفع قضية اللغة الى قضية اللوغوس ، اي بأن تنزل الى **الجذر والاساس** ، بأن تصير بوعي قضية الفلسفة وقضية الشعب . البند الثاني (قضية الشعب) لا ينفي البند الاول (الفلسفة) ، بالعكس تماما . **فلسفة** لينين للشغيل ، للعامل ، للفلاح ، لراعي الغنم ، للبشر العاديين والمناضلين .

« تبديد سحر الكلم Verbe » (عنوان مقال بيار بيرمان) ، السحر ، سحر الكلمة والكلام ، هذا جيد جدا ، هذا موقف هام جدا في المعرفة ، في النقد ، أساسي ، جذري (وأطبقه فورا على اليسار ، اي علينا ، على التيار الثائر) . ولكن هذا لا يكفي . عدا « السحر » ، « والاحيائية » الخ ، هناك نظرية المعرفة ، او وحدة المنطق والجدل ونظرية المعرفة . علاقة الخاص والعام ، الجذر «الفلسفي» ـ المعرفي لقضية (حرب) المادية والمثالية ، لقضية المعرفة وتصويفها ، لقضية الجدل والميتافيزية ، لمشكلة الجدل مع التجربية ومع التجربية ـ الدوغمائية . بدون ذلك نتصور أننا تجاوزنا « التصور قبل ـ العلمي Préscientifique وغير العلمي للعالم » (عبارة بيار بيرمان) ويكون تصورنا « العلمي » هو بالاحرى تصورا علميا مخصيا ، وضعويا ، اي تجريبا « متقدما » ، دوغمائيا ويتوهم نفسه بالعكس على أساس رفضه الفلسفة ، وفي الاساس ميتافيزيا ومثاليا . نتصور اننا تجاوزنا الاحيائية والسحر ولكن هيهات . . . أتحفظ حيال القسم الاخير من مقال بيرمان . وأرجح ان آخرين في المجلة يتحفظون . . .

Verbe = كلم ، كلمة ، كلام . و Verbe اللغة الفرنسية واللغات الاوروبية يوازيه « الفعل » في نحو اللغة

العربية . « في البدء كان الفعل » هي « الترجمة » الفوتية لـ « في البدء كان الكلمة » لانجيل يوحنا . . . الخطابات ليست الافعال (= مادية) و « الخطابات أفعال بين البشر » (= جدل ، هيغل ـ لينين) . لوغوس = ربط ، عقل ، لغة . « الاسماء قوانين الطبيعة » . حصان ، طاولة ، جاذبية ، قانون الجاذبية ، طبقة ، صراع الطبقات ، ثورة ، الخ ، قوانين . وكل قانون ناقص حكما ، قاصر حكما . قوانيننا يمكن ان تكون قوانين غير جدية ، آلهة ، موميات ، عفاريت ، هكذا تكون حين تنسى انها اسماء ، حين ننسى معارضة لينين لافلاطون . . . « الخاص **هو** عام » ، جان هو انسان ، « الجدل ملازم لكل معرفة انسانية » ، و « الجدل هو فعلا نظرية المعرفة لهيغل وللماركسية » . المعرفة الانسانية الحقة حاملة على طول الخط امكانية المثالية . « الله » قائم من أبسط تجريد ، مثلا منذ تجريد « البيت بوجه عام » . « في اللغة لا يوجد سوى الكلي » . البشر جدليون كما كان البرجوازي النبيل ناثرا . العقل ـ الجدل يميز الانسان عن الحيوانات . والجدل المطلوب الواعي هو « **فن** العمل بالمفاهيم » ، و « هذا الفن ليس فطريا ، وليس معطى مع وعي كل الايام » . . . « لا تعاريف بل تحديدات » . ثمة « فرق بين مفهوم الشيء وواقع الشيء » ، « فرق لا يمحى » بين الفكر والكائن (= مادية) . وتماثل مفهوم الشيء وواقعه ، الفكر والكائن ، المعرفة والواقع ، بوصفه asymptote . « فقط جمع لا نهاية له من المفاهيم يعطينا العياني كاملا » . . . (لينين : الدفاتر . . . ، انجلز : جدل الطبيعة ، وآنتي ـ دوهرنغ) .

الجملة الثانية في مقال بيرمان هائلة ، بليغة ، يجب ان تقرأ بتأن زائد : « الذهنية البدائية تعزو للكلمات والكلام ، متصورة » كيانات حية بل ومجعولة أشخاصا ، تعزو لها

فعالية مباشرة على الاشياء والاشخاص والاحداث » .
« مباشرة » . اذن تبقى مسألة **غير المباشر**، الموسط = الفكر، الجدل، الفلسفة، الانسان العامل ـ الناطق، الفاعل ـ العارف، الصانع ـ العاقل . بالفرنسية، في نص بيرمان، مباشر : direct (فكر الاستقامة) وهو أيضا الـ **immédiate** المباشر، الفوري، غير الموسط . اللامستقيم، الالتواء، الانكسار، التعرج . . . ، الوساطة، التوسط (= الرابطة)، **هنا** الفكر، المعرفة، الجدل الخ .

مصيبتنا مع حاملي « المباشر »، وأخواته في الكلام : « العياني »، « اليومي »، « الوقائع »، ما أرى، « الآني »، « الحاضر »، « العملي »، الخ . بالنسبة لهم، هذه الكلمات كفت سحريا عن ان تكون بأي معنى كلمات . انهم يقطعون، قطعوا، **ولا يعون أنهم قطعوا ويقطعون .**

ردّ الرفيقة من منظمة M. L (ربما = « حركة النحرر ») على جان بوبيرو ذو دلالة بالغة، قرينة على داء مستشر، هو التجريبية، الميتافيزية، التجريبية ـ التجريدية التي لا تعي نفسها، اللاجدلية الجذرية، اللا ـ **منطق**، وهو، على قاعدة رفض قضية الكلمات والكلام، الكلامية ـ سحر الكلام .

١ ـ وضوحا، الرفيقة M. L تحب « الوقائع » (« ماذا تهم الكلمات، أين الوقائع »، وغيرها)، تحب « العياني »، « اليومي »، لا ترى أن « الوقائع » قد لا تكون سوى ادراكها وكلماتها وتصوراتها السريعة ومفهماتها العالية والباطلة، أن هذا « العياني » و « اليومي » الخ قطع، تجريد، لا ترى ان هذا المباشر ميت . حفظت أطروحة لينين « التحليل العياني لحالة عيانية »، بدون فهم، بدون كلمة « تحليل »، وبدون ان تلاحظ ان هذه الاطروحة موجهة ضد امثالها، لم تقرأ الاطروحات « الاخرى » (الداخلة في هذا

اللحن اللينيني الواحد) ، لم تقرأ مثـــلا تراصف ، ترادف « مباشر » و « ميت » ، لم تقرأ اطروحة ان « الحقيقة دومـا عيانية » (هيغل ـ بليخانوف ـ لينين) ولعلهـا اذا قراتهـا اعتبرت « العياني » بداية ونهاية بلا **طريق** بينهما . كل هـذه الكلمات العظيمة الحاسمة المليئـة ـ عنـد لينين وماركس وانجلز ـ باتت في ماركسية واسعة الانتشار فارغة .

٢ ـ تتصور انها اذا عارضت وعارضنا « جـذب غضب الجماهير العربية على يهود اسرائيل **من حيث هم يهود »** (مع التشديد على هذه العبارة) فانها تتلافى ، تدرأ ، تبدد شبح « مذبحة عامـة للسكان اليهـود ، عندمـا ستنتصر فتح » (قريبا) . تتصور انه لا يجوز أن تبدو جمل او عبارات مـن نصوصنا حتى معزولة مجردة عن السياق ، ان تبدو مطابقـة لجمل وعبارات وردت في « كفاحي » لهتلر ، ولـو معزولـة مجرّدة عن سياقها (حرفيا ! يجب اذن ان نضع جمل هتلـر وبيتان على بطاقات وان نتحقق من اننا لم ننقلها) . في هـذه الحال ، السلام على الحقيقة . لا تـرى اذن الضربة التـي يوجهها بوبيرو والتي يجب ان توجه الـى مذهب « مناهضة اللاسامية » ، « مناهضة مناهضة اليهود » ، المذهب **المشترك** لكل اليسار الفرنسي قبل سنوات (وجوهريا الـى الآن) ، القاسم المشترك الاعظم للشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين و « عصبة حقوق الانسان » وما شابه . قلت « مذهب » لانه مذهب ، مذهب باطل ، صهيوني عـلى قاعدة غربية . ليس عندنا بوجروم Pogroms ، لـم يكن عندنا ، ولـن يكون ، **البوجرومات (مجازر اليهود)** الوحيـدة **في « تاريخنا » هي** مجازر الجاليات اليهوديـة في حيفـا والقدس على يـد الصليبيين كتتويج لطريقهم المار في المجر والبلقان وكجزء مـن مجزرة فلسطينية ومشرقية أكبر مئة مرة . وفتح لن تنتصر قريبا . بل « فتح لن تنتصر » هكذا . **هكذا** = تجريد . وهذا

« العياني » كله (!) = تجريد . مثلــــه مثــل « وحيــد » شتيرنر . القضية محلولة منذ **الايديولوجيا الالمانية** ، بالنسبة لماركس .

٣ ــ تتصور أن نقد الكاهن المسيحي الشجاع (الــذي شارك في لقاء قاعة أموتداليته لنصرة فلسطين) كان ويجب ان يكون « نقــدا لذهنيتــه الدينيــة الخاصة به Propre » وانه « بذلك ينمي صفوفنا » ويعطينا دعم قسم مــن جماعته في « كفاحنا العلماني laïque . هــذه الرفيقة العلمانية تتصور انها ، بما انها علمية وعلمانية وملحدة وحلت قضيــة الخلق وعدم الخلق منذ السادسة عشرة ، فهي خالصة مــن المثالية والذهنية الدينية . والحال ان المسألة الجديرة هــي الذهنية الدينية البشرية العامة ، ولا سيما الذهنية الدينية الخاصة بها وبالماركسيين الملحدين . المسألة الجديرة هي قدم المثالية وأبدية المثالية دوامها مــا دام الانسان . كما تقــول الوثيقة الصينيــة « **حــول التجربــة التاريخية لدكتاتوريــة البروليتاريا** » (رقم ١ ــ ١٩٥٦/٤/١) ، ان التعارض بــين المادية والمثالية لن يزول أبدا .. ولكن لعــل **الالحاد** ــ نقيض الدين التوحيدي ــ يجعلنا (في العالمين المسيحي والاسلامي) بعيدين عن مبدأ ، جذر ، أساس **المادية** ــ نظرية المعرفة . قبل الله ومثالية هيغل سواء بسواء هنــاك حصان أفلاطون . . . وحصان وحصانات الماركسية .

٢ ــ الغرب ، الحضارة الغربيــة

جان بوبيرو والمشرفون على هيريتم مناهضون ــ رافضون للغرب والحضارة الغربية . بالمقابل ، الرفيقــة M. L ترفض الانجرار الى ما تعتبره مسألية العدو ، وترفع لــواء « صراع

الطبقات » . ليفين يدين الغرب ، الشغل والتقنية والنظام ، يرفع لواء الشرق ، الفن والفوضى . رودنسون يرفع لواء شعار « الحرية ، المساواة ، الاخاء » ، مثل ثوار ١٧٨٩ .

للمقارنه ، عبد الله العروي (العرب والفكر التاريخي) يبدو عكس هيريتم ، وعكس اللاهوتي ليفين ، وفي رأيي مخالفا لرودنسون الى حد كبير .

شخصيا : أعارض « رفض الانجرار » ؛ أؤيد تماما وجوب اتخاذ موقف من مسألة ومسائل الغرب والحضارة الغربية . أعتقد أن أي مذهب ـ سواء دعي صراع الطبقات او التصور المادي للتاريخ الخ ـ يرمي مقولات الغرب والشرق وما شابه ، يرمي مسائليه المجتمع المدني او المدني ـ البرجوازي burgerlische الخ ، ليس موقفا ماديا ولا جدليا ولا تاريخيا ، وليس موقفا مقاتلا . واعتقد ان ما « أخذ » ه ماركس من « الغرب » اكثر بكثير مما تتصوره الرفيقة . على سبيل المثال ، « أخذ » جدل هيغل ، وجدل هيغل يعيدنا الى الاغريق ، والجدل أساسا يعيدنا الى الانسان ، الى العمل والمنطق . و « أخذ » موضوع السلعة وازدواجية السلعة من . . . من ارسطو أيضا وسخر من تهكم وترفع الوضعوي دوهرنغ على أرسطو .

كما يقول عنوان الاضبارة وبوبيرو يجبان يوضع الغرب في السؤال mise en question ، يجب ان يحاكم ، ان يقاضى . ـ ولكن : مقاضاة عادلة ، سؤالا ليس جوابه معطى سلفا، حكما حاسما حادا ولكن مزدوجا، يستند الى حيثيات، حكما فرقيا فاروقيا .

ماركس ابن اوروبا البرجوازيةـ المسيحية ـ اليونانية . وهذا أمر جيد . وان كان ناقصا بأكثر من معنى .

شخصيا ، أحدّد مصادر الماركسية، مسائلها ، ارضها، في عدة دوائر : ١) الثورة الفرنسية وما بعدها ، الثورة

الصناعية بالمعنى الضيــق ، المصادر الكلاسيكية الثلاثــة : الفلسفة الالمانية ، الاقتصاد السياسي الانكليزي، الاشتراكية الفرنسية ، ارقى وأعلى مــا أنتجتــه الامم الغربية المتقدمــة العظمى الثلاث ، على حد قول لينين ۰ ۲) كــل تاريخ صعود البرجوازية وانحـــدار الاقطاعيــة ، النضال الطويــل ضد الاقطاعية وعالمها ، ضد الكنيسة والامراء ۰۰۰ ۳) كل تاريخ اوروبا وثقافتها بدءا من اليونان ورومــا ومــرورا بالمسيحية وبداية تكون اوروبا الجرمانيــة المسيحيــة وأممها . والشرق الادنى (الشرق عموما وخصوصا الشرق الادنــى) موجــود ، **مصدر مواد هائل ، في بدايــة كــل مــن الحلقــات الرئيسية** الثلاث : اليونان ، المسيحية ، النهضة . ٤) الانسيان ، النوع **الانساني ، العمل والمنطــق** ، مسألـــة الغائيــة ، الطبيعة وتحويلها ...

كل دائرة مستوعبة في الدوائر التالية ۰ لــولا هــذا الاستيعاب ولولا الدائرة الاخيرة (في عرضنا ، اي الاولى فــي الفلسفة !) ، لما كانت الماركسية تكون صالحة لنا ولا لغيرنا . على هذه القاعدة يرتكز طابع الماركسية **الكلي والثوري**۰ بدونها تخصى الماركسية في تجريــد او تجريـــد معاكس . ماركس وانجلز في الفصل الاول مـــن ((**البيان الشيوعي**)) يعطياننــا نموذجا حادا مـــن تمجيد الغـــرب البرجوازي ومناهضة البرجوازية الغربية ومجتمعها وعالمها .

الثورة الاشتراكية العالمية ضد الامبريالية وضد الكــل الواقعي العياني الامبريالي ۰ هـــذا مبدئــي الاول ۰ الثورة العربية الاشتراكية جزء من الثورة الاشتراكية العالمية ، جزء لا يتجزأ ، حيوي هام وبالغ الاهمية . كلاهما عملية تاريخية ، سيرورة شاقة طويلة ، وراهنة تماما . في هــذا الاطار وعلى هذه القاعدة التاريخية وتحت سلطة هـــذه الراهنية ، يجب على جميع الشعوب غــير الاوروبيــة ان تحقـــق الثورة

« الاوروبية » ؛ المهمات التي حققتها اوروبا بين القرن الثالث عشر والقرن التاسع عشر . اذا لم نضع هذه المهمات وهـذه القيم و « المثل العليـا الاوروبية » نصب أعيننـا ستكون « اشتراكيتـ »نا انتكاسا الى القبليـة والعشائرية والعثمانية والمملوكية تحت غطاء « احمر » وستؤول الـى « استيعاب » طويل في النظام الامبريالي الكوني مع « قيم القرن العشرين » الغربي المعادية للانسان والطبيعة . قضية **الامـة** العربيـة ، الوحدة العربية ، تنـدرج في المهمتـين او الوجهين معـا ، في العملين معا : **الكل الاشتراكي البروليتاري الانساني والجـزء** « البرجوازي » . **الامة** ضرورة (اشتراكية) ضد الامبريالية بصورة مباشرة ، وجزء هام من الثورة البرجوازية . وتعريف ستالين للامة (**العلائـم الاربـع**) **كثير وقليل** ؛ trop و trop peu ، كثير وقليل كمعرفة .

الشرق الثوري والقومي ضد الغـرب المضاد للثـورة والامبريالي والذي هو المتمدن . هذا جـزء كبير جدا مـن حقيقة العصر ، وموقف صريح للينين (مقاله الاخير ، ١٩٢٣) . هذا جزء ، أساسي ، في الثـورة الاشتراكية او البروليتارية العالمية ، بل هو القطعة الاساسية في هذه الثورة البروليتارية مأخوذة بشكل اجمالي globalement . اذ أن مـذهب صراع الطبقات الماركسي ــ اللينينـي ليس مـذهب صـراع المثل ــ الطبقات داخل « مثال المجتمع » في سمـاء الماركسية الصافية ، و « العمالوية » ليست البروليتارية اللينينية بـل نقيضها . على الشرق ان يتمدّن ، وعلى روسيا السوفياتية في ١٩٢٠ ــ ١٩٢٣ أن تتمدّن .

الفرب موضوع في السؤال . والانسان والتاريخ ومصير الانسان موضوع السؤال . الفرب ليس الغرب فقط .

وأفرق غرب اليوم وغرب الثورة البرجوازية . أفرقهما بسكين رغم كل التداخلات . أرى هوّة بين روح هـذا الزمن

وروح تيل أويلسنبيغل Thyl Uylenspieqel ★ . هذا التراث الذي ندعوه برجوازيا (ولكن بعضنا جعل الكلمة **المذكورة شيطانا طاردا !**) معنا بالتمام والكمال . كتاب البلجيكي دوكوستر منشور في الاتحاد السوفياتي ، بلغات الاتحاد السوفياتي ، وفي الشرق المسلم السوفياتي ، في زمن ستالين . . . أية هوية ، أية علاقة ، غير التناقض ، بين ايراسم ، مونتيني ، برونو ، توماس مور ، الاسقف لاس كازاس ، و **هذا الغرب ؟**

« المجتمع المدني » **درجة** في نمو ـ تطوّر البشرية . وعلى البشرية ان تمضي الآن من المجتمع المدني الى المجتمع حسب ، او الى المجتمع الانساني ، الى المجتمع ـ الاجتماع ـ الشيوعية ـ الاشتراكية .

الغرب شيء عظيم ، ضرورة كونية كلية للبشرية ، للانسان . والآن اما أن يقضي الانسان على الغرب او يقضي الغرب على الانسان .

أنظر الى العالم ـ حربان عالميتان ، نازية وصهيونية واميركية ، مخدرات وجريمة وبوليس ، سيارات وتلوث ، قنبلة نووية وغزو فضاء وجوع مئات الملايين من البشر ـ ، أعود الى قراءة **مدخل جدل الطبيعة ، دور الشغل في تحوّل القرد الى انسان ،** مسألة السببية والغائية ، الطبيعة والانسان ، واقول : هذا حكم الطبيعة . الطبيعة تقضي الآن بأن يمضي الانسان الى ما بعد المجتمع المدني قاهرا عالم الامبريالية كله متصالحا مع الطبيعة والا فانه سيمضي اي أن

★ بطل اسطوري في تاريخ البلاد المنخفضة وجوارها . القرن السادس عشر : الحرية ، الشعب ، الوطن ، الانسان . . . من اجمل روائع أدب اللغة الفرنسية (مغامرات تيل اويلسنبيغل ، تاليف البلجيكي دوكوستر) ، فيلم سينمائي (فرنسي) ، عمل موسيقي (الماني) . . .

الطبيعة ستمضي بدونه . اما الاشتراكية واما العدم ، عـدم الانسان . عدم الانسان شيء تافه من وجهة نظر كينونة الكائن وصيرورة الكائن ، من وجهة نظر أزلية المـادة والحركـة . مقالات لينين الاخيرة توحي لي بأنه غير بعيد عـن هذا الجو (همه كبير . وفلسفة الاساس ، طريقـة تناول المسائـل ، قضية الوعي بالمعنى الكلي ـ العياني ، تحتل مكان الصدارة في هذا الهم . رفاقه ـ خلفاؤه مقصرون او قاصرون) . **ضرورة** انتصار الاشتراكية = اما الاشتراكية او نهاية النوع . ليست مثل ضرورة تمدّد المعادن او سقوط الاجسام . الضرورة التي هي مثل ضرورة تمدّد المعادن او سقـوط الاجسام هـي بالاحرى أزلية حركة المادة وزوال كـل الاشيـاء والاجرام والكائنات والانواع ، بقاء الكل وفناء كل جزء من الاجزاء .

« الثورة المدنيـة البرجوازية » بالمعنـى الهيغلي ـ الآدام سميثي ـ الماركسي ثورة كبيرة جدا ، ولكنها في مستوى **أكثر تجريدا** ، عند ماركس، وفي معارضة السلف البرجوازي، ثورة وسيطة ، وصغيرة بالمقارنة مـع الثورة السابقة الاكثر اساسية (ظهور الانسان ـ النوع) ومع الثورة القادمة المطلوبة (الانسان ـ المجتمع) . مسألة الغائية ، الغائية والسببية ، الغايات القريبة والنتائج البعيدة ، سيطرة البشر على النتائج البعيدة لاعمالهم ، باقيـة بالتمـام . الماركسية لا تتخطى ولا تعارض فقط مفهوم « الطبيعة » البرجوازي الثوري العظيم ، بل تتخطى وتعارض وتطعن ايضا فكرة « التقدّم » البرجوازية الثورية العظيمـة (وضـد **التفـاؤل التكنولوجي والمعاشي** المجرّد الحاذف ، يمسك ماركس بمستوى علاقات الانتـاج ، نظام الملكية ، الطبقات ، يكشف آلية النظام الرأسمالي ، يضع نظرية الافقار الحاسمة) . وبالاحرى فكرة « التقدّم » لما بعد عصر الايديولوجيا البرجوازية الثوريـة والتقدمية ، فكـرة

« التقدّم » الغربية الحاضرة في شتى أشكالها وأسمائها ، الاميركانية .

وهذا يعني أنني أرى ، في مستوى بالغ التجريد والعمومية والاساسية والاهمية والراهنية ، لقاء بين ليفين اللاهوتي اليهودي والماركسية . وأتذكر أن المثالية المطلقة (هيغل) أقرب من « الجميع » الى المادية الكاملة ، اي الجدلية (لينين) .

وحملة ليفين النابية على الشغل تذكرني بموقف ماركس الشاب (مخطوطات ١٨٤٤ في أحد وجهيها) من « الشغل » ، بمفهوم « الشغل المنخلع » ، بقضية الانخلاع عند فويرباخ ـ هس ـ ماركس الشاب ، وبالشغل بالمعنى المصري الوارد في عبارة « محكوم بالشغل » . عالم الامبريالية « ليمان » (معتقل) كبير . في نظر أميركا ، كل البشرية « شيوعية » وهي على حق . بيد ان هذه الشيوعية العامة، المرتبطة بحاجة الانسان وانسانية الانسان ، لا تكفي ، لا « تطعمنا خبزا » ، **لا تعطينا نصرا** . ماركسية لينين تعطينا هذا النصر . ولا أوجه هذا الكلام لليفين ، بل للمشرفين على مجلة هيريتم . أما ليفين فلعلي متفق تماما معه في المستوى المذكور . ولعلي أجد عنده لغة محكمة جدلية صائبة بعيدة عن حنبلية الالفاظ ، عن التلوث ، عن المزدوجات في غير موضعها الخ ، لغة لا أجدها دائما عند الآخرين ، عند الايديولوجيين ـ السياسيين ، حيث أجد ثغرات ، فراغات ، وتذبذبا . ليفين يعي ويطبق مبدأ أن الكلمة ، أية كلمة ، لا معنى لها الا في السياق ، وأن أية عبارة ، جملة ، قطعة ، الخ ، لا معنى لها الا في العلاقة مع هدف **الضرب** . حين نحن الماركسيين نشذّ عن هذا المبدأ ، حين نخالفه « قليلا » ، تتحول أبسط وأهم بديهيات الماركسية الى بديهيات زائفة باطلة .

ليفين ضد التقنية ، الماركسية ضد التقنولوجوية .

ليفين يلعن الثروة التي هي الثروة ــ و ــ الفقــر ، يلعن عالم الرفاه الذي هو عالم الرفاه والبؤس . نحن مــع السعادة .
ليفين ضد الدولــة ، الماركسية ضد الدولــة في المستوى المذكور . الماركسية مع السياسة ، في السياسة . اللاهوتي ليفين لا يسلط ضوءا أبيض في هــذا المستــوى ، ولكنــه ــ وضوحا ــ يعطي الضوء الاخضر لهــذا المنحــى . ليفين ومناقشات هيريتم تساعدنا على فهم ان (السياسة) المقطوعة حماقة او « مجدا » او « جيفة » ، تساعدنا عــلى فهم موقف الماركسية وشطط الماركسيين . لا أعتقد أن هناك شيئا في ما يقوله ليفين لا يستحق اهتمامنا .

أرجح أن هناك ليفينات في المسيحية والاسلام والبوذية الخ ، لاهوتيين متطرفين الخ ، مثاليين متطرفين الخ ، ومقاتلين من أجل دنيا البشر ، هم أقرب الى الماركسية مــن « العديد من الماركسيين » طراز قديم وطراز جديد وما بين الطرازين .

قد يقال : لينين يقبل ليفين او الكاهن المسيحي فلان في حزب العمال . انظر مقالــه « موقف الحزب العمالي مــن الدين » . يقبله باسم باب « السياسة» رغم باب « الفلسفة»، او باسم باب السياسة × باب الماديــة التاريخية والاجتماعية الذي يركز على الاصول الاجتماعيــة والاقتصاديــة والطبقية للدين الخ . الى هذا أضيف ، مــن جهتي ، بــاب « الدفاتر الفلسفية » الذي يوحد الابواب ، الذي يعصمنا من تصور أننا خالصون من المثالية بمجرد كوننا خالصين مــن الايمان بالله ورسله وملائكته وشياطينه ، الذي يلح علــى الوجه المعرفي للدين او تحت الدين ، على الجذور المعرفية للمثالية ، الذي يردّ الاعتبار للمثالية في حدود وعلى أساس الجدل المادي ، والذي يحكم مباشرة نضالات لينين الفكريــة ــ السياسية في ١٩١٦ ضد الاقتصادوية ــ اليسارية .

٣ ـ الماركسية والاقتصادوية

مجلة هيريتم لا ترفع لواء « الماركسية » في وقت بـات فيه « الجميع » يرفعون هذا اللواء. « الماركسية ـ اللينينية» باتت موضة . أفهم ولا أبـرر ان الاكثر فهمـا لا يميزون « الموضة » و « الارثوذكسية » **يعلنـون أنفسهم غير ملتزمين** بالارثوذكسية .

قبل عشرين سنة كان عندنـا في الوعـي ـ الوجدان ـ الروح بابوية ، روما كونيـة (موسكو) . ثـم صار عندنا بابويتان ، رومتان ضخمتان . . . مـا كان يجب ان نستنتجه هو : كل منا روما ، العودة الـى الوعي ـ الوجدان ، الـى الذات . كبداية ، كمبدأ ، كلحظة ، كوجه ، بدونه « نسلم » على الحقيقة وعلى كل نضالنا وتطلعاتنا . هـذا المبدأ ليس رفضا لفكرة الحزب الثوري ، بل شرطه ، العكس هـو رفض الحزب الثوري . العكس هـو تسليم متنوع يعوض عنـه بالحزب ـ النخبـة ـ اللافتـة ـ العصبيـة ـ **غير المجدية** ـ « الانضباط الحديدي » الذي لـه نهاية ، لأن « الانضباط الحديدي » الحقيقي للبشر المناضلين لـه شروط تاريخيـة وايديولوجية وسياسية (عرضها لينين في الفصل الثاني مـن « اليسارية ، مرض الطفولة ») .

ولكن ما الحقيقة ؟ ما هـو شعارها ؟ حسب سبينوزا « الحق علامة نفسه والباطل » ، الحق شمس تكشف نفسها، تبهر بنورها ، وتكشف الظـلام . وماركس الشاب (١٨٤٢) يردّد مبدأ سبينوزا ضد تواضع التسليم . هـذا لا يكفـي البتـة .

في معارضة شعار سبينوزا ، « لايبنتبسيا » ، بوحـي من تجربة ماركس مع الماركسية والماركسيين ، ومـن لينين ونضالاته الفكرية ، أقول : الباطل شبيه الحق ، الباطل ليس

الحق ولكنه « ابن عمه » ... الاقتصادوية شبيهة جدا بالماركسية وهي باطل الاباطيل .

قبل قبول ورفض الماركسية يجب معرفة **ما هي الماركسية** . وجود الماركسية الواقعية ، وجود ماركسيتين واقعيتين كبيرتين ، وجود عشرين نموذجا من الماركسية في أيامنا ، لا يعفيني من السؤال الآنف . في زمن لينين ، في روسيا ، كان هناك بضعة نماذج : ماركسية شرعية ، اقتصادوية ، منشفية ، بوندية ، تروتسكية ، اوتزوفية ، تجربية نقدية ... ولا نذكر النارودية (« الشعبية ») والترودوفية (« الشغيلية ») الخ . ومع ذلك ، بسبب ذلك ، كان السؤال مطروحا : ما هي الماركسية ؟ ومن هم الماركسيون ؟ ، ومطروحا بشكل دائم . لولا ذلك لما صار معنا بولشفية ، لينينية ، ماركسية عصر الامبريالية والثورة البروليتارية العالمية ، وكومنترن ...

وفي رأيي ان **معرفة** الماركسية تعني حاليا بشكل جوهري معرفة الماركسية **ازاء** نتاجها ـ الادنى ، ضد ظلها الدائم ، ضد **الاقتصادوية** .

في السنوات الاخيرة ، ثمة مفكرون متنوّعون يعارضون الاقتصادوية ، مثلا غارودي ، سمير أمين ، ألتوسر . ولكن الاقتصادوية تبدو عندهم وكأنها بالاحرى التكنولوجوية ، الانتاجوية ، الاستهلاكية ، باختصار : الانتاجوية . شخصيا أعتبر الاقتصادوية **بشكل خاص** كـ « علاقات انتاجوية » ، « علاقات ملكوية » ، « طبقوية » ، و « صراع طبقوية » .

نضال لينين ضد الاقتصادوية الروسية طراز قديم ، بلونيها او ألوانها (١٨٩٨ ـ ١٩٠٣) يكون البولشفية الروسية . نضال لينين ضد الاقتصادوية طراز جديد ، « الاقتصادوية الامبريالية » ، كاريكاتور الماركسية اليساري ، الواسع الانتشار في صف البلاشفة الروس وفي صف

الماركسية الثورية الاممية في اوروبـــا وخارجها (١٩١٥ ــ ١٩١٦) ، يكون « نهائيـــا » اللينينيـــة ، ماركسية عصـر **الامبريالية** والثورة البروليتارية **العالمية** . بين النضالين ، ان النضال ضد المنشفية الروسيـــة والنضال ضد الماركسيين الثوريين البولونيين (حلفاء البلاشفة) في المسألـة القوميـة والنضال ضد اللوكسمورجية ، هذه النضالات ذات صلـــة صريحة واضحة بالنضالين المذكورين .

النضالان صريحان ، وصف « اقتصادويـــة » صريـح ، صلة الماركسية البولونية اليسارية واللوكسمبورجية بالمنطق الاقتصادوي صريحة . **منطق** لينين في معارضة منطق الرفاق بأنواعهم صريح . تحوّل هذا المنطق الاقتصادوي « يشاريا » و « بروليتاريا » و « أمميا » صريـــح . أصلا ، الاقتصادوية الروسية طراز قديم لم تكن **محض** تحريفية ، **محض** نقابيـة انكليزية ، **محض** غربية ، يمينية الخ ، لم تكـن نسخة عادية عن الجيروندية (عكس اليعقوبية) في حركة العمال الاوروبية، بل كانت نسخة **روسية** عـــن هـــذه الجيروندية الاوروبية ، العمالية العمالوية .

وأنا « أضيف » : عمالويـــة الاحـــزاب الشيوعيـــة اقتصادوية . عمالوية دجوغاشفيلي ــ ستالين اقتصادوية . عدم وعي كاوتسكي (= الماركسية الارثوذكسية سابقا ، وعلم من أعلام الماركسية) ان « الرأسمالية **عالميـــة** » ، معنـــى « عالمية » ، اقتصادوية . « وسطية » تروتسكي وكاوتسكية تروتسكي وشعاره عن الولايات المتحدة الاوروبية ومنطقه عن الثورة الاوروبية او عن الثورة **العالمية ، عجزه عن الذهاب الى** النهاية في مفهوم **العالم** الواقعي ، اقتصادويـــة . . . عماليـــة وطبقوية واوروبوية **الشيوعـــي الايطالـــي سيراتـــي (١٩٢٠)** اقتصادوية . عمالية وشغيلية وآسيوية ويسارية الشيوعي الهندي روي بدون قومية ومسألة قوميـــة : اقتصادوية .

تذويب المسألة القومية في المسألة الكولونيالية ، **رمـــي مقولة** الامة وعلاقة تناقض الامبريالية **والامة :** اقتصادوية . اعتبار الامة كمحض اطار واطـــار حيادي لصراع الطبقات ، عـدم اعتبارها كمقولة كائنية في العالـــم غير المتساوي وكعامـــل تاريخي اقتصادوية ... أخطاء فلهلم ليبكنشت ورفاقه بصدد الوحدة الالمانية ، اوهـــام لونغـــه ولافـارغ والبرودونيين الفرنسيين القومية (الفرنسيـــة) واللاقومية ، تسويـــة (مساواة) البرودونيين لاوروبا الامم وعالـــم الامم ، تصوّر البرودونيين والفوضويين عن امكانية الثورة في أي « اطـار » اقليمي (بلد ، منطقة ، مدينة ، كومونة) ، حكاياتهم الكومونية والتعاونية الخ : اقتصادوية . عنوان كتاب لافارغ « الماديـة الاقتصادية لماركس » اقتصادوية .

ان مقالة انجلـــز **« انحـدار الاقطاعيـة وانطـــلاق البرجوازية »** ، طائفة من مقالات ومواقف انجلز ، تقيم المادية التاريخية الجدلية ، التصوّر المادي للتاريـخ ، ضد التصور الاقتصادوي ــ الطبقـوي الـخ . **عـــدم رؤيـة العالميـة ،** اللاتساوي ، الانتقال من منطقه الى أخرى ، في تصور التاريخ الكوني ، اقتصادوية . النضالات التي يخوضها انجلز ولينين بشأن الراسمالية النموذجية الخالصة **والرأسمالية الواقعية** غير الخالصة ، بشأن مقولات **رأس المال** ومسألـــة وجودها ، بشأن الاقطاعية ، ضد الخلط والسحب ، تثبيتـــا للجـدل المادي ، لطريقة المعرفة ونظرية المعرفة المادية الجدلية ، هـي **أيضا** نضالات ضد التصور الاقتصادوي للمجتمع والتاريخ ..

هذا توسيع ، تبسيط ، مبالغة ؟ أجل ، بالتأكيد . ولكن هذا التوسيع لكلمة « اقتصادوية » مبرر ، هـــذا التبسيط والتوحيد في مفهوم « الاقتصادوية » ضروري . هذا التعيين ــ اقتصادوية economisme ــ لازم لا سيما وان الماركسية تؤكد على الاقتصاد ، **الطبقات ، علاقات الانتـاج ، والانتاج ،**

وتعتبرها مفتاحا وتضع ذلك بحق في مرتبة البديهية . في غياب **الجدل** المادي او **المادية الفلسفية الكاملة** او **المنطق** ، تتحوّل الماركسية الى اقتصادوية ، طبقوية ، انتاجوية .

يقال عادة : الاقتصادوية تجحف بحق الايديولوجيا ، او بحق البنية الفوقية الايديولوجية والسياسية ، لصالح علاقات الانتاج ، او لصالح الانتاج في وجهيه (قوى انتاج وعلاقات انتاج) . هذا صحيح . ولكنه غير كاف . الاقتصادوية ، كما يحاربها لينين وانجلز ، تجحف ايضا بحق الكل ، الجملة ، الـ totalité ، مأخوذة ليس او ليس الامة ، القومية ، اللغة ، الحضارة ، الخ ، بحق مقولات لا تدخل في مقولة البنية الفوقية . الاقتصادوية تجحف بحق فقط كجملة « المجتمع » في مستوى نظري مجرّد ، بل مأخوذة بوصفها **العالم** ، عالم **الامم** (الشعوب ، القوميات ، الامم ، القبائل ، **وغير** ذلك) غير المتساوية غير المتماثلة الخ . وهذا – مفهوم **العالمية** بمعنى عالم الامم مقابل مجتمع الطبقات وأمة الطبقات – يرتبط بمفهوم « واقع الشيء » الذي ليس « مفهوم الشيء » (انجلز) .

ويقال : الاقتصادوية تجحف بحق السياسي (العنصر السياسي ، الوجه السياسي ، القضايا السياسية) . هذا صحيح . ولكنه يمكن ان يكون بالغ الخطأ . يكون باطل الاباطيل حين يكون السياسي الذي يرفع لواؤه محروما من « القومي » ، اي من العالمي – القومي . هذا في رأيي بالغ الوضوح في مجادلة لينين ضد بياتاكوف (كيفسكي) ، بوخارين ، راديك ، البولونيين الخ ، اي ضد الاقتصادوية اليسارية في عام ١٩١٦ . هؤلاء الرفاق جميعا يؤيدون مع الاطناب ، مثل لينين واكثر من لينين ، أطروحة ان « المسألة المركزية في كل ثورة هي مسألة السلطة » ، **يؤيدون « سلطة** البروليتاريا وحزبها « لدرجة انهم يعتقدون ان هذه السلطة

عصا سحرية تنهي المسألة القومية ... وبوجه الاجمال ، كما طبيعي أن تكون الاقتصادوية في الغرب عمالوية ، أولا عمالوية يمينية تريديونيونية ، ثم يمينية و « يسارية » ، اشتراكية وشيوعية ، وأن تعزّز روسيا « يساريتها » العمالية وان تحوّلها جزئيا الى كدحائية ، من الطبيعي ان تتلون شرقيا في الشرق ، ان لا تكون بوجه الاجمال عمالوية ، ان تكون كدحائية وفقرائية وعالم ثالثية وبؤرية ، أن تشدّد اليسارية ، وأن يأتي مفكرون لتنظير هذا النفس .

في رأيي ، معركة لينين ضد الاقتصادوية ـ اليسارية (١٩١٦ وبعدها) بالغة الراهنية . يجب القبض عليها ، في تفاصيلها ، كمنطق ، كطريقة تفكير . الحرب العالمية الثانية (معسكر الديمقراطية ضد معسكر النازية ، الدول ، المقاومة الوطنية ، الامة الخ) شرح بياني جيد . الامور « الصغيرة » التي عليها كان لينين يقاتل ضد خصومه داخل حزب العمال الماركسي وضد رفاقه داخل الماركسيين البلاشفة في ١٩١٦ (وبعد اوكتوبر ، وفي صف الاممية الشيوعية بعد ١٩١٩) تنكشف عن كونها كبيرة تماما . القضايا التفصيلية التي كانت آنذاك تبدو بعيدة تماما عن الراهن ، تنكشف عن كونها بالغة الراهنية والواقعية .

وكلمة « اقتصادوية » ناقصة بالطبع ، ككل كلمة ، مفهوم ، قانون . الاقتصادوية تيار غني جدا . ولكن كلمة اقتصادوية جوهريا تماما . لينين في ١٩١٥ يثبتها ، يبعثها ، يكتشف اقتصادوية جديدة ، (بمعنى ما : يخترعها) ، وفي ضوئها يعمق فهمه للاقتصادوية القديمة ، للاقتصادوية عموما .

الاقتصادوية دوغمائية ميكانيكية . تلغي مبدأ الجملة totalité ، تخلط الكل والكلي ، لا ترى المسافة اللامتناهية بينهما ، وتماثلهما في نهاية طريق المعرفة الطويل

اللامتناهي . خلط تجربي ، لا جدلية . تلغي **فكـــرة الكل** ، تنزلها ، تحقرها . وتقلص مقولة **التناقض** ، تحصر تناقضية الكون الواقعية ، الامر الذي يفرض تعويضات ما .

الاقتصادوية ليست فقط دوغمائية وميكانيكية ، بـل هي أيضا **مثالية** ترتكـــز كطريقـــة تفكير عـــلى التجريبيـــة والميتافيزية ، على اللاجدلية ، او على جدلية لاحقة ، تالية ، محصورة . الاقتصادوية مثالية ، وقوامهـــا جمـــوح فكـــري مثالي يخلص (في الرأس) العصر الـــراهن مـــن مهمات العصر « السابق » . لا تـــرى الماضي في الحاضر ، لا تـــرى بقـــاء « الماضي » بـــل وتجدده ، لا تـــرى الواقع ، **العالم** ، **المادة** . **الاقتصادوية أفلاطونية الماركسيين** ، بما في ذلـــك أفلاطونية الماركسيين المحـــاربين ضد غـــير الماركسيـــة ، **أفلاطونيـــة** الماركسيين الآتين جماعات وجموعا الى الماركسية **تحت وطأة** « **الحاجة** » .

في مجابهة لينين لبياتاكوف ، لمئات البياتاكوفات ، في ١٩١٦ ، أرى في سماكة النص ، خلالـــه ، مجابهـــة لينين لأفلاطون ، وكل عمـــل لينين الفلسفي في ١٩١٤ ــ ١٩١٦ . « من المنطق الكبير لهيغل الى محطة فنلندة » ★ **اي الى ثورة** اوكتوبر ؟ أجل . ومن **الدفاتر الفلسفية** الى كـــل اللينينية ، الى كل الماركسية .

لينين ضد بياتاكوف = الجدل المادي ضد سحر الكلام، اذن إيضا وبشكل خاص ضد تصويف اللوغوس الماركسي .

ماذا كان سيقول لينين لـــو عاش وقـــرأ ستالين معرفا اللينينية ، متكلما عن الخاص والعـــام في اللينينية ، فاصلا الخاص والعام ، الروسي **والعالمي** ، **مجادلا زينونييف عـــلى** « تعريف » اللينينية ، مقيما مفهوم عالم مجرد وعام ومنقول عن المجتمع الغربي المقطوع ، ومعلنا « التعريف » الها يكفـــي

★ **عنوان مقال جيد صدر قبل ٣ ــ ٤ سنوات في مجلة « انتروبوس »**.

المؤمنين شر الجدل والجدال ؟.. ولكن ستالين ـ الظاهرة الاستثنائية ـ ليس الاستثناء بقدر ما هو القاعدة . الاستثناء هو : ماركس وانجلز ولينين ، هو **الاعلام الثلاثة** . لا ريب ان كاوتسكي ، بليخانوف ، مارتوف ، تروتسكي ، بوخارين ، روزا لوكسمبورغ ، ستالين ، ماركسيون **كبار** . ولكنهم في تعيين أخير ، وأول (الجدل المادي ⟵ السياسة) ، **ليسوا** ماركسيين تماما .

أضع هذه الملاحظة في ضوء مقاطع عديدة من مقال جان بوبيرو ، في ضوء المسائل الايديولوجية في الحوار بين هيريتم ورودنسون ، وفي ضوء مسألة البوروخوفية او الصهيونية الماركسية (بوروخوف ، حزب عمال صهيون ، الخ) وموقف الماركسية منها . رودنسون ينقل نصين للينين ، رودنسون ومندوب هيريتم يتناقشان حول معنى واستعمال كلمة « الاشتراكية » .

الشاهدان من لينين أضمهما مباشرة الى اضبارة الماركسية ضد **الاقتصادوية** ، مفهوم **العالمية** اللينيني ، المسألة القومية وطابعها **الكلي الكوني ، والجدل** . يمكن أن نورد مئة نص « آخر » ينتمي الى نفس المعركة ضد نفس المنطق في نفس « اللحظة » التاريخية التي أختصرها في « سنة ١٩١٦ » . الرسالة من انجلز الى كاوتسكي ينقلها لينين في هذه السنة عشر مرات او اكثر ، يعلق عليها عشر مرات او اكثر . وفي أوائل ١٩١٧ يغطي لينين خريطة العالم قوميا ، من الناحية القومية ، في عملية جغرافيا قومية احصائية : بحثه هذا (وعنوانه « احصاء وسوسيولوجيا ») لم يكمل ، بقي مقتصرا على الغرب المتقدم وعلى اوروبا الشرقية ، ولكن الاتجاه واضح . لو مثلا نشرناه بتوقيع ساطع الحصري ، لصدّقنا معظم الماركسيين العرب ولقالوا : هذا نموذج من الفكر القومي والعرقي ... **من وجهة نظر انصار مذهب**

« صراع الطبقات » هذا العمل للينين تفاهة .

الشاهدان اللـذان اوردهما رودنسون ، ولا سيما الشاهد الثاني ، يكشفان ــ في نظري ــ أن « الاقتصادوية » ليست بالضرورة تأكيد « الاقتصادي » ونبذ « السياسي » ، أن الاقتصادي والسياسي مقولتان جدليتان ، أن الماركسي يمكن أن يكون حاملا على أكتافه « السياسي » وقضية « السلطة » و « الحزب » وأطروحة « أن مسألة السلطة هي المسألة المركزية في أية ثورة » وأن يكون مع ذلك وبذلك **اقتصادويا** ، مثاليا ، مبخرا الواقع في مجرّداته **«الماركسية»**. انه هكذا بالضبط حين يجرد مسألة السلطة عما عداها ، حين لا يرى أن الدنيا ليست محلولة في المسألة الاجتماعية الصائرة سماوية ، حين ينسى الامم والقوميات والمسألة القومية ، حين لا يرى ان قضية السلطة مادة كثيفة وليست هواء . الاقتصادوية ليست بالضرورة **ولا بالدرجة الاولى** تأكيد الاقتصادي ونبذ السياسي . **انهـا فهم معين للسياسي** . ونظرية العفوية وتمجيد العفوية ليست العفوية وعفوية حركة العمال بل هي نظرية بالكامل ، وفلسفة ، ومنطق ، « مواز »، معارض للماركسية . وفهم ستالين والاختصار الستاليني لكتاب « ما العمل ؟ » (١٩٠٢) ، لنظرية الوعي والحزب اللينينية ، لنضال لينين ضد الاقتصادوية طراز قديم ، سوء فهم ، تقليص . وستالين والماركسية الستالينية والشرّاح لا يرون نضالا للينين ضد **اقتصادوية** من طراز آخر ، جديد ، يساري ، يرون نضالا ضد أخطاء فلان وآخر (بوخارين ، بياتاكوف . . .) في المسألة القومية ، لا يرون مسألة **« اقتصادوية »** خارج الاختصار الستاليني للنضال الاول . وستالين ، قائدا للامية الشيوعية ، يعود الى منحاه الفكري « العمالي ــ الطبقي ــ اليساري » حين كان مندوبا عن عبر القوقاس في مؤتمرات الحزب . . . تجربة الحرب العالمية

الثانية والمقاومة الخ تدخل في الروح (ليس تماما) ، لا تدخل في العقل . عواطف ، دعاية ، « تاريخ » ، ولكن لا تدخل في النظرية . التروتسكيون يستخدمونها من حين الى آخر في معرض الضرب على اليمينية والمنشفية الستالينية ، وخصومهم يجيبون « لا » ، يؤكدون العكس . . . مسألية جزئية ومشوّهة .

قطعا ، هناك معنيان واستعمالان لكلمة **« الاشتراكية »** في نصوص الاعلام الثلاثة : المأساة ـ مأساة المفكرين والقادة الماركسيين ـ هي اللعب على المعنيين ، الانتقال غير الواعي من المعنى الصغير (الذي يؤكد عليه رودنسون : الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، مضيفا بحق : هذا لا يحل ، لا يحكم سلفا ، مسألة العلاقة مع الامم الاخرى) الى المعنى الكبير . باللعب ، بالانتقال نصف الواعي ، بالخلط (الذي « يكمل » مذهب الهويات الميتافيزي ، اي المقولة خارج **العلاقة** ، المقولة بلا ثنائية ، الهوية بلا فرقية الخ) ، الماركسيون المسؤولون يحذفون المسائل الاخرى : الاشتراكية تحل كل المسائل . المسائل الاخرى تابعة ثانوية باهتة ذائبة . العلاقة في اتجاه واحد . المسائل الاخرى ، غير « المسألة الاجتماعية » ، تابعة في كل الحالات (واللحظات والوجوه والحيثيات) . فالنموذج النظري هو كل الحالات ، **اي** هو هو كل حالة على حدة . في هذه الجملة الاخيرة ، الشطر الاول صحيح **شريطة** أن ندرك وأن نسم ان النموذج النظري الذي هو كل الحالات **(اي حاصل** كل الحالات) انما ننشئه فكريا ومفهوميا الى ما لا نهاية ، ليس معطى جاهزا منتهيا ولن يكون ولا يمكن ان يكون ، **شريطة** أن ندرك وأن نسم أن حاصل كل الحالات ليس ، مبدئيا ومطلقا ، اية حالة من الحالات . **حتى** في مستوى الادراك الحسي العادي ، ليس « الحصان » ، مفهوم الحصان ، اي حصان من الاحصنة . . ولكن في هذا المستوى ،

الاختصار لا يحمل « مشكلة » . الجوهري والعرضي هنا ، في مستوى **الشيء** بالمعنى العادي ، ، ثابتان ، جامدان ، ولنقل « ميتافيزيان » . الامر يختلف جذريا في مستوى الشيء الاجتماعي ، السياسي ، الخ . ★

اذن يجعلون المسائل الاخرى « تابعة » ، محلولة « في الرأس » . الاشتراكية تصير عظمية ، الثورة البروليتارية تتفرغ ، الحزب يصير لافتة، وحدة الحركة الشيوعية الدولية تصير برج بابل من طراز جديد : لغة واحدة وليست واحدة..

من جهتي ، أقول (أختصر ، أبسط ، رياضيا ، أضع شعارا طريقيا) :

معنيان لكلمة « اشتراكية » هذا معناه :

الاشتراكية = الاشتراكية + ... (+ أمور اخرى غير الاشتراكية) . والثورة البروليتارية = الثورة البروليتارية + ... (+ أمور أخرى تقع خارج الدائرة البروليتارية **extra - prolétariens**

آ = أ + ب ، ج ، د ، ه ، الخ ...

أ وحدها لا تعطي آ (**بل وتكون مهددة من حيث هي أ** ، ولكن المهم أنها لا تعطي آ) . آ بدون ب أو ج أو د الخ ليست آ . أ وحدها هي أ فقط .

أصلا ، نضال لينين ضد الاقتصادوية طراز قديم او كلاسيكي ، في ١٨٩٧ ــ ١٩٠٣ ، في الايسكرا و «ما العمل ؟»، وبعد ذلك، البولشفية اللينينية ، **نظرية الحزب اللينينية** ، قائمة ، تصريحا ومنذ « ما العمل ؟ » ، على القاعدة التاريخية والمادية التالية :

١) الانقسام في حركة **العمال** العالمية، وجود التحريفية،

★ ولكن حتى فى مستوى الحصان ، ليس الامر تماما كما ذكرنا . مبدأ الملاقفة سيد . وتفصيل ما يمكن ان يكون بالغ الاهمية ...

و (ثم) وجود ماركسية أرثوذكسية اشترا ـ استعمارية و اشترا وطنية .

٢) الثورة **الديمقراطية** في روسيا (اذن ايضا وبشكل مضاعف في آسيا ، في العالم ، ومستقبلا في الغرب المتقدم) ، المسألة الفلاحية ، المسألة القومية ، ومسائل أخرى عديدة مما يقودنا الى :

٣) « الكل » ، الواقع ، الكلية العيانية ، « **التفاصيل** » والقتال الفكري العنيد على « التفاصيل » وعلى الفروق الدقيقة ، حساب الاحتمالات ، تحليل النهايات الصغرى ، تفاضل ـ تكامل ، جمع التلسكوب والميكروسكوب ، والسعي الموضوعي الهادىء وراء « حلقة حاسمة » و « حلقة أضعف» . الحلقة الحاسمة والحلقة الاضعف ليست ذيلا لـ « صراع الطبقات » ، او لـ « تناقض الشغل والرأسمال » . لو كانت كذلك ، لكانت القضية سهلة ، في متناول أصغر لينين من عندنا ، لما كان هناك لينين ، بل سواد ماركسي عام وحسب ، ولظلت سيطرة الامبريالية مصانة رغم رفضية « ماركسية » عامة .

قلت : أوحدها لا تعطي آ ، بل وتكون مهدّدة حتى من حيث هي أ ، ولكن المهم أنها لا تعطي آ ، ليست آ .

رودنسون ، في حديثه الايديولوجي والسياسي ، عن مفهوم الاشتراكية واسرائيل والموقف منها ، يبدو كأنه يقول: حتى **لو** كانت اسرائيل اشتراكية بمعنى أ (= الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، مجتمع اشتراكي) فأنا لا اؤيدها ولا أتحمس لها أبدا ، **المهم في الموقف ، في الحالة ، هو العلاقة** اسرائيل ـ فلسطين ، اسرائيل ـ العرب ، **الظالم ـ المظلوم** ، وأنا مع المظلوم حتى لو كان الظالم اشتراكيا . . . لا ريب ان معظم الماركسيين العرب **سيعترضون على « لو » ، اسرائيل ليست اشتراكية بمعنى أ** (وهو معناهم الوحيد) **ولا يمكن ان**

تكون . شخصيا ، أخطىء جذريا هذا الاعتراض على « لو »، وأؤكد أنه بدون هذه الـ « لو » لا ماركسية ولا من يحزنون . الاعتراض على « لو » المذكورة تعبير عن عجز أصلي ونهائي عن فهم الماركسية في مختلف اجزائها بدءا من باب « نظرية المعرفة المادية » ، وليس فقط باب الغائية او باب الاخلاقية . ولقد ميزت آ و أ . كا نيمكن ان استعمل كترميز حرفين مختلفين بدلا من نفس الحرف في شكلين كبير وصغير ، ربما حرصا على منغوليا وعلى تجارب اخرى قادمة في العالم الواقعي ... ولكن فضلت أن أقول آ و أ .

البورخوفية بالمعنى الحقيقي ليست مصيبة . المصيبة هي البورخوفية بالمعنى المجازي ، نوعا ما هذه البوروخوفية العامة هي الحقيقية ، او لنقل هي الداء الاساسي الذي لولاه لكانت البوروخوفية شيئا تافها او مفضوحا من البداية ...

الصهيونية العمالية تجمع الماركسية والصهيونية ، الصهيونية والماركسية ، منطلقها صهيوني . « البوروخوفية» الاخرى ، العامة ، لا تجمع ، انهـا ماركسية ـ ماركسية ، ماركسية اس ٢ ، انها الاقتصادوية ، العمالوية ، الطبقوية . (بينهما العمالية ـ الاوروبية ـ الاستعمارية ، تيار الاشتراكية الاوروبية مع انسانيته وحبه للانسان !) . كلاهما « تقدمي » ، مع « التقدم » ، مع المتقدم ضد المتأخر (وهرزل غير البوروخوفي مع اوروبا ضد آسيا ، يريد ان يقيم « حصنا للحضارة الاوروبية ضد البربرية الآسيوية » في فلسطين)، مع « العمال » و «الطبقة العاملة» (والبوروخوفية تريد تحويل اليهود غير العمال الى عمال ، لهذا الهدف العالي تحتاج الى فلسطين) . وكما يشرح رودنسون وهيريتم ، الصهيونية ـ العمالية ارذل الصهيونيات ، أرذل من الصهيونية الاولى العادية البرجوازية الاستعمارية الروتشيلدية . في مفرداتي وبلغتي ، انها تريد والصهيونية

كلها بواسطتها تريد ان تقيم في فلسطين لا « طبقة » برجوازية يهودية فوق السكان العرب والشغيلة العرب (كما الى حد لا بأس به في الجزائر الفرنسية) بـل « مجتمعا » يهوديا . ((أمة)) صهيونية . هذا في قوام الاستعمار الصهيوني في اوائل القرن العشرين ، هذه خصوصية المشروع الصهيوني ، هويته الخاصة . الصهيونية العمالية ، بوروخوف ، حركة او حزب عمال صهيون الخ الخ (هستادروت ، ماباي ، مابام ، بالماخ ، شيوعيون صهيونيون) جزء من الصهيونية ، جزء فقط (جزء كبير) . بدون هذا الجزء لا أرى صهيونية ، كائنة حقا . التحليل النظري المنطلق من رودنسون وآخرين يسوغ معرفة الشعب الفلسطيني الفريزية والتجريبية .

رجوعا الى « لو » ، هـذا الافتراض النظري المستحيل ضروري تماما للنظرية ، نظرية معرفة **الواقع** ، مفهوما بمعنى جدلي ــ هيغلي غير تجربي ، ضروري لمعرفة الواقع الكائن بما فيه من مواقف واقعية للاحزاب العمالية واليسارية ازاء اسرائيل . أجل ، اشتراكية الهستادروت ــ اتحاد النقابات العمالية ــ العملاق ، اشتراكية حـزب الشعب قلب وأس الحكومة ، هذا بات امرا مفضوحا . وقد أشار الكثيرون الى حدود وتقلص الكيبوتز والحركة الكيبوتزية . ولكـن هنـا ، بصدد الكيبوتز ، أية أهمية يمكن ان نعلق على مسألة مـا اذا كان الكيبوتز أرقى اشتراكية من الكولخوز السوفياتي او مـا اذا كان شيوعيا ، أية قيمة ايجابية يمكن ان نعلق على هـذه الاوينية owen الاستعمارية المحاربة ؟ وبالضبط ، قبل مدة ، كان هذا النقاش والتعارض ، كان هذا التحويل للبصر ، يوجد مناخا « يساريا » و « تقدميا » مشتركا في فرنسا ، يشمل الاشتراكيين والشيوعيين وجماعات أخـرى صغيرة (برودونية ، فوضوية نقابية الخ) ، تتعاطف جميعا بدرجات شتى مع اسرائيل المتقدمة والديمقراطية والاشتراكية ضد

العرب ـ التأخـــر ـ الاقطاعيـــة ـ والبـــان آرابيســـم pan - arabisme ، الى جانب منـــاخ « مناهضة مناهضة اليهود » . هذا المناخ « اليساري » « التقدمي » كان موجودا أيضا وأشكال شتى لـــدى الاحزاب الشيوعيـــة في البـلاد العربية ، وبرز بقوة عند « بعض » شيوعيي العراق (١٩٤٨) ومصر . « لو » الآنفـــة ضرورية لفهم الواقـــع ، ولمعرفـــة **الماركسية ازاء وضد البوروخوفية والماركسية اس ٢ التـــي تستوعب في غير الماركسية ، في الايديولوجيا المثالية المنحطه لعصر الامبريالية .**

قلت ان التحليل النظري يسوّغ معرفـــة الفلسطينيين والعرب ، بالفريزة والتجربة .

هذه التجربة الفلسطينية لولا احباط المحبطين ـ اليسار الجديد العربي و « اليسار » الفلسطينـــي والفلسطينوي ـ كفيلة بأن تجعل المناضلين الفلسطينيين والعرب ماركسيين ـ لينينيين حقيقيين وطليعيين في عالـــم او عصـــر « يعتنق » الماركسية ـ اللينينية ويقصر عنها ويشوّهها ، وبأن تحملهم قسطا كبيرا في تطويرها . عقب صيف ١٩٧٠ (تموز ـ ايلول ١٩٧٠) قرأت في جريدة فتح ما يمكن ويجب أن نعتبره نقدا ذاتيا للمرحلة السابقة وسياستها وذهنيتها . وقرأت شيئا مشابها من لدى آخرين عقب حرب تشرين . لم أقـــرأ بعـــد نقدا ذاتيا من لدن الماركسيين في صدد فهـــم الماركسيـــة وفلسطين . آن أوان الصدق . عـــن هـــذه القضيـــة الفلسطينية ، عن نظرية العفوية وعفوية النظريـــة ، عـــن الايديولوجيا المقاومة ، تكلمت بـــدون اي حقـــد على اي شخص او جهة ، ولكن بكل المرارة الممكنة وبكـــل الحدّة اللازمة . لم أرد على علوش . لم أقرأ علوش (حتى الآن)★ .

★ لم أقرأ ما كتبه بعد ١٩٧٠ .

معه وامثاله ، حققت ما أريد : تبديد الالتباس . له أن يبرر كيف ضاعف « استناده » اليّ بعد صدور كتابي « نقد الفكر المقاوم » . ألم يجد أن هذا الكتاب ينفتح على » نقد « لمفهوم او كلمة « الثورة الفلسطينية » ؟ ألم يجد . . . ولكن دعنا منه . لن أتعامل معه كما تعاملت مع بسام طيبي . المسألة استحقاق .

٤ ـ اليسار الجديد والاتحاد السوفياتي

« اليسار الجديد » ، في أحد وجوهه ، ردّ فعل ضد حالة « سابقة » ، ضد الاحزاب الشيوعية السوفياتية الاتجاه وضد الاتحاد السوفياتي ، وضد الماركسية « الكلاسيكية » و « الاوروبية » ، يرافقه التعاطف المفهوم والمشروع مع الصين ، مع العالم الثالث ، منطقة العواصف ، نضال القارات الثلاث . انه تيار متنوع متعدد . دراسته تخرج عن اطار موضوعنا . ولكن هذا النفس ـ رد فعل . **مناهضة الاتحاد السوفياتي** ـ يشوه الرؤية .

نراه في نص جماعة من اليهود الفلسطينيين « لمحة تاريخية موجزة » ، حيث يبلغ درجة حادة ويدفع الى بعض الاخطاء في مستوى المعلومات او الوقائع . نراه ايضا في نصوص أخرى .

هنا أريد ، اولا ، ان أسجل نقطة لصالح الجماعة المذكورة ومثيلاتها في العالم .

«اللمحة التاريخية الموجزة» تحطم التشويه الاسطوري الطبقوي ـ اليساري لتاريخ الصراع الفلسطيني ، الذي شرّعه اليسار الجديد العربي (وانجر اليه احيانا وساهم فيه جزئيا اليسار القديم أقصد الاحزاب الشيوعية) .

قارىء هيريتم ـ الذي اعتاد على الادب التاريخي الطبقـوي المذكور ـ يكتشف (!) ان القيـادة الوطنيـة الفلسطينيـة البرجوازية ، « الاقطاعية الرأسمالية الدينية الشوفينية » الخ باختصار الرجيمة ، لم يكن شعارها أبدا « ذبح اليهود ورميهم بالبحر » ، بخلاف ما يقوله رجال من الجيل الجديد يكتبون التاريخ على كيفهم ، وأرجح ان الشعار المذكور كان شعارهم هم في السنوات الحاسمة اذا كانـوا آنذاك قـد تجاوزوا عمر الرضاعة . اضافة الى ما تذكره جماعة اليهود الفلسطينيين (وهو ليس شاملا مستنفدا ، وقـد لا يكـون دائما في ذروة الدقة) ، يمكن ان نذكـر مـواقف القيـادة الفلسطينية والحكومات العربيـة البرجوازية في ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨ . ک « أممية » انها بوجـه الاجمال تتخطى المواقف الحالية للذين اهتدوا الى « الاممية » وأخواتها . الاستثناء الوحيد كان فاضل الجمالي ، اي جماعة « ماكو أوامـر » ! maic - aui . هؤلاء ما كانوا يرضون بأقل مـن « طـرد جميع اليهود وذبحهم ورميهم بالبحر » (العبارة ليست من فاضل الجمالي بل من بعض مؤلفي الاسطورة التاريخية) . واذا كانت « الاممية » تجريدا فالاكثر « أممية » كان الامير ـ الملك عبد الله ! الحاج أمين الحسيني كان اكثر تشددا مـن سائر القيادة الفلسطينية . ولكن أبدا لم يكن مـع شعار « ذبح اليهود ورميهم في البحر » ، بل ولا مـع ارجاع كـل اليهود الى اوروبا . القيادة الفلسطينية عموما أيدت بقـاء الجميع . وكان يمكن ان تقبل بعدد اضافي علـى ان يذهب جمهور يهود المعسكرات في اوروبا الـى كنـدا والولايات المتحدة واوستراليا والبلدان القـادرة عـلى الاستيعاب البشري . وكانت مع تنظيم المعركة الشعبيـة ضد المؤامرة الرهيبة . (وموقف الشيوعيين العرب الفلسطينيين لم يكن بعيدا عن هذا الاتجاه العام) . من المشكوك فيـه ان شعب

فرنسا او اي شعب آخر في اوروبا ، كبيرا او صغيرا ، عرف بالانسانية او بالتعصب ، يمكن ان يكون بهذه الانسانية واللاتعصبية . فلا تمرغوا ايها الرفاق الحقيقة والتاريخ في وحل أوهامكم . وعلى صعيد النظرية « العليا » أقلعوا عن طبقويتكم . وقبل « النظرية » ، عيشوا مع الحدس او الادراك ، بدلا من « التمثيل » ، تجاوزوا « عالم الشرق المنامي » (عبارات فويرباخ) .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، ألاحظ في سنوات ١٩٦٧ – ١٩٧٠ فرقا داخل صف اليسار الاقصى . تركيز النيران مختلف . مثلا بيكين ، حتى حين يكون موضوعها هو الشرق الاوسط ، فانها تطلق نيرانها اليسارية الثورية الحربية على موسكو – برجنيف – التحريفية السوفياتية ، وطلقات قليلة توجه الى القاهرة – عبد الناصر . بيكين ومشايعوها في العالم . بل ان الصينيين قالوا للمصريين (شو ان لاي لحسنين هيكل) : « السوفييت قتلوا عبد الناصر » . مشكلتهم هي مع الاتحاد السوفياتي ، مع « التحريفية » ، الخ . مشكلة يسارنا الجديد مع مصر ، مع عبد الناصر ، مع « البرجوازية – الصغيرة » (التي تكف عن كونها « برجوازية صغيرة » حين تكون راكبة على « التحرير » – التهوير ، على « حرب التحرير الشعبية » ، على « الكفاح المسلح » الاذاعي) . بعض طلقاتهم تصيب « التحريفية السوفياتية » . هناك جماعات صغيرة متخصصة في هذه الرماية الاخيرة ، جماعات اكثر صدقا ، او جماعة الامانة النظرية لليسار الكاريكاتوري (« لبنان الاشتراكي ») . ولكن التيار العام لليسار العربي المحارب ضد مصر عبد الناصر بالعكس ، يطلق في العلن قنابل الصداقة مع السوفيات ، وبعضه يرد الاعتبار للشيوعيين العرب ، يستجرّهم .

جماعةٌ او جماعـات « اليسـار الاقصى » الاسرائيلـي تبدو في خط مغايـر لخط موازيها العربـي والفلسطيني . (وهذه الجماعة ترفع لواء الوحدة العربية) .

أما مجلة هيريتم فليست مشكلتها مـع عبد الناصر . بالعكس . هذا بالغ الوضوح . هيريتـم تقبض ، في جريدة « لوموند » ،على ان الغرب لـــه مشكلة مـع عبد الناصر . تقبض على العلاقة فلسطين ــ مصر ــ الثـورة الجزائرية ــ الوحدة العربية . بين الهويـة الفلسطينية والهويـة العالميـة والكونية للمسألة الفلسطينية ، هويتها العربية غير بعيـدة أبدا عن هيريتم . مع مزية أنها في هيريتم (كما نراها ونريدها) ليست هوية عربيه مجردة ، لا امية ، فارغة .

ومن المناسب التذكير بـأن موقف التروتسكيين ، او بعضهم (لا أقصد تروتسكيـي لبنـان ولا التروتسكيين البوزاداسيين ...) ، من قضية التجزئة والوحدة العربية وفلسطين ، صحيـح في مستوى مبدئـي مجـرد ، أن التروتسكيين او بعضهم قبضوا مبدئيـا وتجريديا عـلى « الثورة العربية » ، يحملون هذه المقولة ــ المفهوم ــ الاسم منذ فترة غير قصيرة . لسوء الحـظ ، يعبرون عـلى ان يقضوا عمرهم مع مخطط « الثورة الدائمة » ، مع معارضة « المنشفية »، مع اليسار ضد « الوسط »، مع البروليتاريا او البروليتاريـا والجماهير الفلاحيـة المبرلتـرة ضـد البرجوازية الصغيرة ، ... مـع الحقيقة الحقة في الرأس وربما في الواقع بعد ثلاثين او ستين سنة ، نوعا ما ، مـع الحقيقة الكلية غير التاريخية وغير العيانية . بانتظار النصر المؤزر ، كل الوقائـع والتجارب تثبت رأيهـم ونبـوءة تروتسكي . بشكل خاص وقائـع الاخفاق في شتى مناطق العالم الثالث . ولعلهم شامتون . وضوحا فكرة « السيرورة الموضوعية » في نظرهم حكاية . ربما سيتغير موقفهم فيمـا

لو قبضوا جديا ، عدا معارضة البولشفية للمنشفية ، على معارضة الماركسية للاقتصادوية ، على معارضة لينين للمنطق الاقتصادوي وللزوح اليسراوي ، على حربه ضد تيار الاقتصادوية الامبرياليه او اليسارية ، وعادوا من ذلك الى معارضة لينين **لمنشفية** تروتسكي . طالما في روحهم ، المنشفية هي فقط « يمين » ولا ثورية الخ وليست أمرا مغايرا لهذا ــ مثلا اقتصادوية ، طبقوية ، تجريدية ــ ، لا يستطيعون ان يفهموا فكرة من نوع « منشفية تروتسكي» ووسطيته وكاوتسكيته . عند لينين كلمة « يسار » بلا قداسة ، وكل الكلمات محددة ومحدودة باستعمالاتها ، في علاقاتها ، في مناقضاتها ، في الجملة totalité مناهضتهم للاتحاد السوفياتي ، عدا عن وجهها الانساني (وحتى الآن لم يرّد الاعتبار لتروتسكي ولكنه كف عن كونه الشيطان) ، ترتبط بشيء خاطيء في مجمل موقفهم النظري **والروحي** الذي هو ايضا باشكال مختلفة موقف اليسار الجديد بوجه عام .

ضد « اليسار الجديد » ــ وبعد ادانة مذهب « مناهضة مناهضة السوفييت » المقابل ، المضيع والمسيء للاتحاد السوفياتي ذاته ــ ، أضع **مبدئيا** ما يلي :

بما أن عصر الثورة الاشتراكية العالمية ، عصر الانتقال، **عصر تاريخي طويل** ★ ، بما ان **الامم** ليست مقولة كائنية

★ هذا الخط الفكري لينيني . بل ان الطول اكبر مما كان يتصور لينين . ولا أذكر رفاقه ! ولا روحية جمهور الحركة في سنوات ١٩١٨ ــ ١٩٢٥ ، او في ١٩٤٤ ــ ١٩٤٧ ، او روحية كل منا في سن العشرين . روحية مفهومة ، مشروعة ، بل مفيدة . تلازمني الان أيضا وفي المستقبل. ولكن !.. الروحية ليست نظرية .

عابرة ، بما أن **الدولة** كمقولة لا ترتبط فقـط بالطبقـات وصراع الطبقات في مستوى المجتمع واطار المجتمع تجريديا بل ايضا بالامة في اطار العالم والتاريخ ، لـذا فانـه طبيعي ومشروع وهام وبالغ الاهمية ، ان يكـون لـلامم ـ الدول الاشتراكية ، وأولا للاتحاد السوفياتي الدولـة الاشتراكية الاولى والاقوى ، **مصالح قومية ودولتية** . تجاهل هـذه النقطة ، معارضة هذه المصالح ، ابداء او اخفـاء حشرة ازاء هذا الامر ، اهماله ، تمييعـه ، لفلفتـه = مثالية ، جموح فارغ ، ذاتوية ، كذب. الكذب هنا كذب الخصوم والانصار، المسؤولون السوفييت أصدق مبدئيا . اللفلفـة مـن لـدن الخصوم والانصار جارية تحت صيـغ ماركسية ـ طبقية ، تحت وابل من نصوص كلاسيكية شاهدة وشهيدة : الدولة مربوطة بالطبقة (لا بالامة)، والامة مربوطة بالطبقة (المصالح القومية مصالح طبقة) . عمليا الامة مذوبة . وكأن النصوص الشاهدة الشهيدة كتبت بمناسبة وفي صدد هـذا العصر التاريخي الطويل ! علما بأن هناك نصوصا أخرى ، نصوصا للينين بالغة الوضوح . القومي ليس محلـولا فـي الطبقي ، والدولة مربوطة بالامة في عالم الامم التاريخي . هنـا أيضا نظر الشعب اكثر صوابا من نظرية الماركسويين . عند هؤلاء الماركسيين المضاعفين ، العالم قائم بلا أمم ، بلا دول ، بـلا جيوش ، بلا جغرافيا ، بلا عالم ، بلا واقع ، بلا مادة .

بما أن الاتحاد السوفياتي موجود والولايات المتحـدة موجودة الخ الخ ، بما أن الثورة عالمية بالمعنى اللينيني ، غير الاقتصادوي ، غير اليساروي ، غير المساوى الموحد مثاليا ميتافيزيا على طريقة واحديـة monisme بياتاكـوف شقيقة واحدية دوهرنغ ، لذا فمن الطبيعي والضروري ان يكون للاتحاد السوفياتي رأي ، موقف ، وجهة نظر ، في أية قضية ذات شأن ، وأن لا تعتبر نفسها أيـة ثورة ملزمـة

الاتحاد السوفياتي رغما عنه ، « بحكم المبدأ » . « المبدأ »، هكذا ، عدم . مبدئيا ، لا يمكن ارغام الاتحاد السوفياتي على مواجهة تدخل عسكري اميركي ضد الثورة في مدغشقر او في ايران او فنلندة ، مثلا ، بتدخل عسكري سوفياتي مواز . لا يمكن جر الاتحاد السوفياتي ، استدراجه الخ . هكذا الواقع . وهكذا المبدأ (وعلى هذا توجد نصوص) . الاتحاد السوفياتي يتدخل بناء على تجربته ، على فهمه . فهمه قد يكون خاطئا . هذا أمر آخر . فهمه قد يكون مثاليا . ولكن أنا أكون مثاليا وأحمق اذا لم أفهم أن فهمه المثالي كائن ، وكائن اكثر من فهمي المادي ومن قوتي المادية. (« أنا » الآنف يمكن ان يكون دولة لها جيش واقليم وموازنة، ناهيك عن أن يكون حزبا او حزيبا) . وبخصوص المبدأ الثوري والمصالح القومية والدولتية ، أنا ــ ماديا ــ أعول على هده المصالح في ازمة الشرق الاوسط، و ، مع التوسيع، على مسألة مستقبل الاتحاد السوفياتي كوجود اجتماعي وقومي ازاء تمدد و « تمدمد » الولايات المتحدة الرأسمالية الامبريالية .

القضية تحتاج الى صبر .

حين تتهم جماعة اليهود الفلسطينيين الاتحاد السوفياتي بخيانة ثورة أزربيجان ، يجب السؤال أولا : هل « أمر » الاتحاد السوفياتي بهذه الثورة ، نصح بها ، هل استشار الرفاق الاتحاد السوفياتي فوافق ووعدهم بالتدخل في حال ... ثم خذلهم ؟ اذا لم يكن الامر كذلك يكون باستطاعتنا التكلم عن خطأ وصواب الاتحاد السوفياتي ، خطأ وصواب الاذربيجانيين . الخ لا عن خيانة الاتحاد السوفياتي . على حد علمي ، الاتحاد السوفياتي لم يكن موافقا على ثورة ماهاباد ، لم يشجع عليها ، وعد باستقبال اللاجئين في حال الفشل ، وهكذا فعل . على حد علمي ، قاضي محمد اي « اليمين » كان في

الثورة ضد التطرف والانفصال ، البرزاني و « اليسار » والمثقفون كانوا بالعكس ، وفي العراق كان الشيوعيون الاكراد (جماعة شورش) مع اتجاه البرزاني و « اليسار » بخلاف فهد والحزب الشيوعي العراقي (جماعة القاعدة) . وقد أكون على خطأ . ولكنني أدين التبسيط ، أشجب الميل الى القاء التبعة على « موسكو » ، الى ادارة الظهر عن دراسة التجربة والى ذبح التاريخ على مذبح عموميات « نظرية » وصيغ تكمن قوتها في أنها « تركض » في بعض المجلات والنشرات اليسارية منذ ربع قرن .

أدين جذريا التصور الاقتصادوي ـ اليساروي للعالم والعصر ، المرآة التي فيها طبقات ويسار ويمين وثورة وثورة مضادة وامبريالية وأحزاب ثورية وحرب غوارية وعالم كامل ... بدون أمم وبدون دول وجيوش لدول . من هذه الحيثية غير القليلة ، هذا الوعي ينزل دون الوعي العادي للبشر العاديين .

القضية تحتاج الى صبر .

على الجيل الجديد ، لا سيما عندنا ، على الشباب المتصدي لنضال تاريخي طويل ، الذي سيضع في خدمة القضية عمره كله (وليس « شبابه ») ، على جيل المناضلين الذين لا يأكلهم « جوع النضالية » (والعبارة لجان بوبيرو) ، الذين لا يريدون ان ينصرفوا بعد التظاهرة الشبابية ، بعد الثورة الشبابية ـ متنفس المجتمع القائم ، وان يستوعبوا في آلية هذا المجتمع ... ، على هذا الجيل أن يدرس وان **يعرف** ، بعد ومع الالفباء العامة ، بعد ومع الفلسفة والطريقة ، **تاريخ الحركة الشيوعية والثورية الدولية ، تاريخ الاتحاد السوفياتي وسياسته الخارجية ومواقفه الدولتية ، تجارب الثورات وعلاقاتها الخارجية ، ولا سيما الاخفاقات ، أسبابها ، أشخاصها** ، ... معرفة موضوعية

هادئة ، علمية دقيقة . هـــذا شيء تهرب منـــه الحركة الشيوعية الدوليــــة المكرّسة المقدسة ، مستعيضة عنـه بتاريخ جزئي تماما ، أسطوري الى حد لا بأس به ، مقدس مع صوره المقدسة ، صحافي ، اداعي ، دعائي ، فيه عبادة الشهداء (بيلا كوهن ، ارنست تايلمان الخ .) ★ تنوب عــن المعرفة . يعالجه آخرون ، خبــــراء وخبـــراء بـ خصوم وشيوعيون مرتدون الخ .

صحيح ان هذه المهمة هي اولا مهمة غير الشباب . من جهتي لن أنسى هذا الواجب غير السهل : تغطيـــة تاريـــخ الحركة الثورية الدولية والاتحاد السوفياتي ، عـــلى أساس منهج لا يرمي ولا يخفـــي المصالح القوميـــــة والاعتبارات الدولتية ، ولا **يذوّب** قضية الوعي ـ المعرفة (بـــدءا من الفلسفة) في الاوضاع الداخلية للاتحـــاد السوفياتـــي وفي « مصالح البروقراطية السوفياتية » .

قلت : « عالم الامــــم » ، قصدت أيضا عالـــم الامم والتسلط القومي داخل المنطقة المتقدمة ، داخـــل الغـــرب الصناعي . هذا موقف لينيني بخـــلاف وعكس مفهـــــوم الامبريالية عند كاوتسكي من جهة وعند تيـــار الاقتصادوية اليسارية من جهة ثانية ، موقف تثبتـــــه وتعززه تجربــة النازية والحرب العالمية الثانية ، ويثبته العصر الحاضر .

★ بيلا كوهن زعيم الثورة المجرية (١٩١٩) ، أعدمه ستالين بعـــد عشرين عاما . وضعناه اذن في عداد المنحرفين التروتسكيين الجواسيس . ثم (١٩٥٦) ادخلناه في عداد القديسين المطوبين ، ... بدون الحـــاح . كان مصروعا ، وقيادة الثورة المجرية لعام ١٩١٩ سارت في خط خاطىء .

تايلمان ، زعيم الحزب الشيوعي ، مات في سجون هتلر . ولكن هذا الشهيد يحمل جزءا لا بأس به من مسؤولية خطـــأ الحـــزب في سنوات ١٩٣٠ - ١٩٣٣ ...

كل « اليسار الجديد » واليسار عموماً في فرنسا أخطأ جوهريا حيال ديغول والديغولية . خطيئه ان لم يعالجها من الجذر فانه سيحرث في البحر . يمكن ان يعتبر هذا الكلام موقف رجل بعيد ، شرقي ، عربي ، مأخوذ في قضية فلسطين وموقف ديغول من اسرائيل والاسرائيلية في فرنسا . **بالضبط !** اقرؤوا افتتاحية **جان جاك سرفان شريبر** في **« اكسبرس »** عقب تصريح ديغول قبل « حركة أيار » (١٩٦٨) بشهور ★ . واقرؤوا كتابات «اكسبرس» ابان انتخابات الرئاسة عقب وفاة بومبيدو (اي المرشحين الثلاثة كان عدوها ؟) . « اكسبرس » اي الجريدة الفرنسية اليسارية الصهيونية والتي لها « خط » حتى في ركن المرأة والمنزل و « سيدتي كيف تشترين ومن أين تشترين والعام المدرسي الجديد على الابواب » . لا تجعلوا قضية ديغول ، مشكلتكم معه ـ وبالتالي قضية ماضي وحاضر ومستقبل فرنسا (واوروبا والعالم) ـ قضية « شخصية » « يسارية » . وضوحا ، ان الهيمنة الاميركية ، الهيمنة الاميركية ـ الصهيونية في فرنسا ، ليست اختراعا من عقلنا العربي . مسألة الامبريالية والثقافة ، مسألة الامبريالية ومجتمعها والثقافة والمثقفين والمثقفين اليهود والصهيونية الخ (الخ = العلاقة مفتوحة) قائمة في صميم هذا الزمن . بين صانعي ايديولوجيا القبول ، الرفض والقبول ، بين عمال ماكينة الاوهام الذين دونهم بكثير الخوارنة ـ الحاخامات ـ المشايخ ، اليهود لهم موقع . أم لعلي مخطىء ؟ فكرتي ليست واضحة ؟ أجل ، لعله كما يقول بوبيرو : c'est une piste درب يجب ان يسلك .

★ **في هذه الافتتاحية الغاضبة ، قال سرفان شريبر : «مصيرك سيتقرر هنا في باريس ...**

كل خط هيريتم يشجعني على هذا الطرح في شتى وجوهه . موقف هيريتم من « اليسار الجديد » ، من طرقه وآلياته الذهنية ، موقعها في وخارج « اليسار الجديد » . مسألة مفتوحة .

حركة الرفض العالمية (الرفض ـ الطعن ـ السؤال) العامة يجب ان تنتهي الى خط . هيريتم بداية خروج من السديم ، من الرمادي المزركش .

مرة أخرى : أترك للقارىء العربي المجد الاكتشاف والتمثل والنقد .

فلنستمع الى نفر الكتاب اليهود ، الى الشهود الذين بدونهم لا يمكن ان تكتمل لدينا الصورة ، لنستمع وشعارنا : قضية فلسطين ليست ، هكذا ، فقط ، « قضية فلسطين » .

اللاذقية ٢٨/١٠/١٩٧٤ **الياس مرقص**

المقال الافتتاحي
تحرر الفلسطينيين.. تحرر اليهود .. وحريتنا

المقــــال الافتتاحي

تحرر الفلسطينيين .. تحرر اليهود .. وحريتنا

بعد أربع ملازم نشرناها تحت اسم Hermés ، هو ذا العدد الاول من مجلتنا تحت عنوانهــا الجديــد Herytem لن نوضح من نحن ، ما هي أهدافنا ، لماذا نصدر مثل هــذه المجلة الخ .. ان افتتاحيات اعدادنا الاربعة السابقة والنشرة الداخلية المرسلة الى المشتركين قد أعطت معظمكم الاشارات اللازمة . الآخرون سيكونون فكرة عن الامر بموجب اضبارة فلسطين التي تتفق بشكل جيد نسبيا مــــع مشروعنا . ان بعض مخاطبينا قد أكدوا لنــــا اننــــا في نظرهم « يساريون منشقون » ، نترك لهم المسؤولية الكاملة عن هذه التسمية . يجب تحديد ما يؤلف يساريتنا (وهذه حاليا كلمــة جامعــة خالطة) وأسباب وكيفات انشقاقنا .

* * *

في هذه الايام الاولى من سنة ١٩٦٩ ، كــان مشروعنــا اذن أن نتحدث عن الشعب الفلسطيني . ولكن عــلى الفــور تقريبا ظهر لنا مــــن غير الممكــن ان نعامــــل الفلسطينيين كـ **« موضوع خطاب »** [موضوع كلام] . مــن المستحيل ان تهمل **المسافة** التي تفصل صحيفتنا ، وهي صحيفة شغيلــة فكريين هم على عراك مع وظيفة اجتماعيــة وهم ، شاؤوا او أبوا ، طرف آخذ في مجتمع بناه تدفع الــى الاستهلاك (اذن هم أصحاب امتياز كأوروبيين وكغير يدويين) عــــن هــــذا الشعب المنفي منذ عشرين سنة . ليست المسألــة أن نصرخ

« يعيش » و « مرحى » . ان تضامننا مع ج. د. ت. ف او فتح ليس بديهيا بذاته . من جهة أخرى ، ثمة حقيقة تكشف هذا التضامن وتصرح به . ان معظم محرري هـذا العـدد كانوا ، في حين من حياتهم ، صهيونيين . الصهيونية لا يمكن اذن ان تعتبر مرضا قائما خـارج سلوكاتنا او تصرفاتنا . ولعلنا ، بينما محتوى نضالنا هو مناهضة الصهيونية، لا نزال تحت تبعيتها الايديولوجية . ان تناول المسألة بهـذه الطريقة معناه :

١) ليست القضية في هذا العدد الفلسطينيين أنفسهم بقدر ما هي بالاحرى علاقتنا مع الفلسطينيين . علاقة نسعى الى اقامتها في فعل كتابتنا ذاته .

٢) القارىء الموالي لاسرائيل لا نرفضه مـن البداية . سيجد في هذا العدد ، عدا عن عدد من المعلومات التي لم يكن على الارجح يعرفها ، تفسير عدد من المسيرات والمواقف . ان مفكرين كانوا سابقا موالين للصهيونيـة (ليفين ، بوبيرو) او أشخاصا كان مفترضا ان يكونـوا كذلك « بشكل طبيعي او سوي » (!) بما أنهم يهود (رودنسون ، بيرمان) ، حاولـوا بيان رفضهم ، بيان ما يبدو لهم غير مقبول في البنى الدولتية والايديولوجيا التي تؤسس وجود اسرائيـل . لا الانفعال ولا العنف بغائبين ، ولكن ، اذ نسعى الـى كشف بعض الحقائق الواقعية والى خلق نظرة جديدة على آخرين ، فقد حاولنا ان لا نكون نحن عميانا وان نجابه المسائل في كل تعقيدها .

٣) بالتالي ان هـذه الاضبارة ــ فلسطين ليس فقط تعالج المشكلات المذكورة في عنواننـا (اللاسامية ، اليهودية ، العنصرية ــ المعادية ــ للعـرب) او مشكـلات أخرى مرافقة (القوموية العربية ، الخ) بل أيضا مسائل هي ظاهرا « خارج الموضوع » (كما كان ليقـول أساتذتنا السابقون) : النطـق (اللغة) ، علاقات الرجـال والنساء ، الممارسة السياسية ،

وسائل الاتصال الجماهيري mass media الخ . بمعنانا هذا كله يؤلف صهيونيتنا او مناهضتنا للصهيونية .

٤) ولكن التنوع يتجلـــى ايضا في مستويات اللسان (السياسي ، السوسيولوجي ، اللاهوتـــي ، التاريخـي ، النظري ، الخ) التي فيها او بها تؤخذ هذه المشكلات المختلفة وفي الاسلوب الشخصي لكل كاتب .

ثمة نقطة مشتركة جمعت محرري هذا العدد المتنوعين. الموضوع ـ القضية lénjeu ، اي ليـــس فقط خلاص الفلسطينيين من الاضطهادات النازلـة بهـم ، عودتهم الـى القدس ، ليس فقط تحرر اليهود مـــن محكات ايديولوجية تخلع يهوديتهم او فقط وببساطة تخلـع انسانيتهم ، تسلب بشريتهم (رودنسون ، ليفين ، بوبيرو ، اليهود السفارديم في اسرائيل الذين استجوبناهم ، يتحدثون عـــن الصهيونيـــة بوصفها **تدخيلا** للنازيــــة intériorisation . ان هـــذه نقيم علاقات مع شركائنا مـــن الجنس الآخـــر sexuels التصريحات لا تريد أن تكون لا شتيمة ولا هجوما مزاودا ولا تقليصا سهلا ، والمهم هو الاسباب والعلـل التـي يقدمونها ، السيرورة التي يصفونها . بعضهم قاتلوا ضد أنفسهم قبل ان يلفظوا هذا النوع من الجمل . لم تكـن رغبتهم ان يقولوها . ان « الامانة الفكرية » قد دفعتهم اليها) ، بـل ايضا حريتنا نحن . ان « الصهيونيات » متعددة (نستطيع ، مثـــلا ، أن تكون صهيونية شكلا او قطعا) ، والطعن في هـــذا النوع مـــن البنى الذي يشكل ويعلم مجتمعنا وذهنياتنا نحن يبقـى فـي أمر اليوم . لن نخرج من ذلك سليمين ، سنجرج ، ولكـــن ربما سنحرر . . . والقلق يبقى اذا حفظنا ماثلا في ذاكرتنا ما يقوله لنا رودنسون : الاشتراكيون الصهيونيون كانوا الاكثر سوءا . . .

* * *

ان انضاج هذا العدد انطلق مــن شكل أول لمقال بوبيرو وضعناه في التداول مطبوعا على الجستتنر (ونشر كما هو في عدد آذار ــ نيسان ١٩٦٩ من مجلة « حياة العهد ») . هــذا النص كان الوسيلة الاسهل للدخول في اتصال مــع مؤلفين محتملين و « اختبار » تضامننا معهم . ليفين مديــر مجلــة Tsedek (وهي كلمة عبرية تعني « عدالــة » ★) لسان حال « عهد ابراهيم » . جيزيل بلوخ مناضلة في M.R.A.P. الحركة ضد العرقية واللاسامية ومــن أجــل السلام . بيار بيرمان محرر الطبعــة الالمانية لـ Tsedek وعنوانهــا « صدق ، يهود يخاطبون اليهود » . أما مكسيم رودنسون ، الذي تفضل واعطانا ثلاث ساعات مــن الحوار ، فقد نشر مقالات وكتبا نذكرها مرارا كمراجع (وقد حافظنا عمدا على الاسلوب « العائلي » لهــذا الحــوار) . جماعة اليهــود الفلسطينيين التي تعطينا « تاريــخ النزاع » أرادت المحافظة على سريتها . بعضهم دخل السجون الاسرائيلية ، وهم الآن يزاولون كفاحهم في السر . النص الــذي يقدمونه ــ وهــم يعتبرون أنه لم يفقد راهنيته وآنيته ــ كتب في ايلول ١٩٦٧ ولم يجدوا آنذاك في الصحافة الفرنسية مــن يقبل بنشره . أما الـ M.R.A.A. (الحركــة المضادة للعرقية المعاديــة للعرب) فقد طلبنا اليها ان تقدم نفسها .

بعض المقالات طويلة ، مثلا نص بوبيرو او الحوار مــع رودنسون . وهي مقسومة الــى اجــزاء مستقلة نسبيا والقارىء ليس مضطرا ان يبدأ قراءتها من الجزء الاول . من جهة أخرى ، الملازم المختلفة ينير ويجابه بعضها بعضا : مــا يفترض أنه معروف في هذا المقال مشروح في ذاك . ليس هناك اذن صعوبة لا يستطيع القارىء ان يذللها .

★ [ربما tsedck شقيقة « صدق » العربية] .

ايضاح أخير . لم نسع الى الاستنفاد . اولا ، العدد الاول من هرمس (آذار ١٩٦٨) كان يحوي مقالا بعنوان « تفسير سياسي للتمثيلات المعطاة عن نزاع الشرق الاوسط » (بقلم جاك آتجر Atger) . هذه الدراسة تؤلف تناولا اجماليا للمسألة ، وعليها نحيل قراءنا (وقبل قليل اصدرتها « نضالات ضد العرقية » على الجستتنر) . ثانيا اخترنا عمدا أن نعالج المسائل التي تهم المجلة ونبرر هذا الاختيار لا سيما في النقاش الذي يختم هذه الاضبارة . وعلى اي حال نفكر اننا لسنا المصدر الوحيد للاستعلام والتفكير ، الاداة الوحيدة لعمل واختبار ونضال قرائنا . [...] .

ملاحظة :

١) عدد هيريتم ملازم مستقلة . وقد عينت للنشر العربي تسلسلا ما يفهم القارىء مبرراته الجزئية . أبدأ باللمحة التاريخية الموجزة ...

٢) في بعض المقالات ، ادخلت بعض الاختزالات القليلة والقصيرة ، المميزة دوما (بأشارة [...] او اشارة .... أي اكثر من ثلاث نقاط) . أما علامة ... (ثلاث نقاط) فهي حسب الاصل . بالطبع ليس هذا الحذف لا على حساب الامانة لروح النص او تسلسله ولا على حساب فهم القارىء العربي .

لمحة تاريخية موجزة عن النزاع

كل الناس « يعالجون » المعضلة الفلسطينية . ديبلوماسيون ، عسكريون ، كتاب ، صحافيون ، وسائر أنواع « الخبراء » ، يزعمون انهم وجدوا « حلولا » . ولكن يلاحظ بدهشة أن — رغم ردود فعل العالم العربي المتنوعة — ان صوت الذين تخصهم القضية في الخط الاول ساكت دوما . ان السكوت المفروض على العرب الفلسطينيين الذين يقطنون « دولة اسرائيل » لما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ يعلل بسهولة . حين بينهم ظهر تيار وطني قومي تحت اسم « الارض » ، يعبر عن بعض المطالب المتواضعة جدا ، حذف على الفور ، وسجن رؤساؤه . أن يمجد الناس مضطهديهم هذا مسموح به دائما . في البرلمان الاسرائيلي يوجد بضعة نواب عرب ، انتخبوا بعناية جماعات صهيونية متنوعة — وذاك الحد الاقصى . ولكن هناك ايضا يهود فلسطينيون يشعرون أنهم قريبون تماما من العرب الفلسطينيين ويرون فيهم اخوانا مضطهدين معذبين . ليس عددهم كثيرا وهم لا يستطيعون الافصاح عن رأيهم بحرية ، ولكنهم مع ذلك موجودون . لهم ايضا صلات مع العالم اليهودي خارج اسرائيل . انهم جماعات صغيرة من يهود من أصول شتى ولهم آراء مختلفة : (« وطنيون ») (١) ، اشتراكيون ، شيوعيون مستقلون ، ليبراليون ، ويهود دينون بشكل عميق ممارسون للدين او غير ممارسين . هم موزعون في العالم كافة ، ولكن يوحدهم

الواجب الانساني ، الابتدائي ، واجب ان يكونوا ناطقين بلسان المحكوم عليهم بالسكوت . الذين ولدوا في فلسطين ، والذين كانوا ينمون فيها ، والذين لم تطأ قدمهم يوما تراب فلسطين ، يرغبون ان يتخذوا موقفا ، وبادىء بدء ، من اجل تسهيل فهم الحوادث الاخيرة ، ان يعطوا لمحة تاريخية موجزة عن التطورات منذ بداية الصهيونية حتى أيامنا .

فيما عدا بعض الاستثناءات المؤسفة النادرة ، لم يكن اليهود معذبين في البلدان العربية ، ولا في البلدان التي تحت سيطرة عربية او مسلمة . هل من الضروري التذكير بعصر اليهود المجيد في اسبانيا العربية ، او بالاستقبال المفتوح الذراعين الذي لقيه اليهود ، الفارون من محاكم التفتيش ومن اضطهادات العصر الوسيط المتنوعة ، في كل بلاد الاسلام ؟ مثال جميل عن ذلك كان الامبراطورية العثمانية التي حمت اليهود عدة قرون ، ضامنة لهم كل الحقوق : الدينية ، المدنية الوطنية ، والقومية . اذا في فلسطين استطاعت عناصر من السكان اليهود البقاء منذ زمن الحملات الصليبية حتى أيامنا ، فالفضل في ذلك يعود الى السيطرة العربية والتركية. ولئن استطاعت هذه العناصر ان تنمو وتتطور بلا ضغط او اكراه ، فمرد ذلك ايضا الى الموقف الليبرالي للحكم العثماني. حين في القرن التاسع عشر ، بعض الوجوه او المظاهر القومية انضافت الى الحياة الدينية ، مثلا نشاطات الآليانس [حلف ، عهد] الاسرائيلي الكوني (٢) ، تأسيس مدرسة « ميكفه اسرائيل » الزراعية على يد اليهودي الفرنسي ، كارل نيتر Netter ، او بناء بعض الاحياء اليهودية في المدن المقدسة الاربع عند اليهود (القدس ، الخليل ، صفد ، طبريا) ، لم يكن الاتراك يظهرون أية معارضة . الخلافات او المشاجرات التي كانت أحيانا تقسم اليهود (ومعظمهم أصلهم من البلد ، يتكلمون ثلاث لغات : اليديية او اللادينو (٣) او

العربية ـ بينما العبرية كانت لغة العبادة فقط) لم تكن تخرج من اطار الشروط العامة الموجودة في فلسطين . ان قبضة « الرجل المريض » لم تكن محسوسة بشكل مباشر . فسوريا ، التي كانت فلسطين بالفعل جزءها الجنوبي ، كانت تحت ادارة ولاة وحكام محليين . بين السكان المتنوعين (مدنيين ، فلاحين ، بدو ، أفراد فرق مسيحية واسلامية متنوعة ، يهود سفارديم ، أشكناز ، كارايم (٤)) كان هناك تناقضات . كثيرا ما كانت تسوّى بالقوة او « بالبخشيش » .

* * *

هذه الحالة تغيرت مع ظهور العامل الصهيوني او قبل ـ الصهيوني Présioniste ، حركة ((عشاق صهيون)) .

هذه الحركة سبقها موجة هجرة ذات حجم لا بأس به من يهود مراكشيين اتقياء ، ولكن هؤلاء سرعان ما تمثلوا بسكان البلد الآخرين . « عشاق صهيون » كانت حركة مختلفة تماما . لاول مرة ، هؤلاء الوافدون لم يكونوا مجذوبين نحو الارض المقدسة دينيا وعاطفيا او هيجانيا فقط ، ولا بالرغبة في العيش والموت في بلد الاجداد (من جهة أخرى ، ان اليهود الذين جاؤوا ليموتوا في الارض المقدسة قد لقبهم العرب ب « اولاد الموت ») ، بل بشكل خاص بشعور قومي ما ، بالحنين للوطن القديم . هذه الموجة من الهجرة ، « العلية » الاولى (٥) ، كانت قليلة العدد تماما . في البداية بضع عشرات من العائلات ، تبعتها فيما بعد بضع مئات . يهود روس روعتهم بشكل خاص المجازر (٦) التي اطاقت عقب الاعتداء على القيصر اسكندر الثاني (٧) . هؤلاء الوافدون الجدد كانوا يؤسسون مستعمرات (٨) صغيرة ، يهتمون بالزراعة ، ويستخدمون اليد العاملة العربية . كانوا يسدون حاجاتهم بوسائلهم الذاتية ، مع استفادتهم من مساعدة بعض المؤسسات اليهودية . سكان البلد العرب لم يكونوا يجدون في

ذلك شرا او سوءا . كانوا معتادين على اقامة عناصر اوربية . فرسان الهيكل الالمان ، السويديون ، الاميركان ، كانوا بمثابة حالات سابقة. ولا ننسى الكنيشة الروسية- البرافوسلافية، التي اشترت أراضي واسعة وسهلت الحج الى الاماكن المقدسة والاقامة في الارض المقدسة (٩) .

ولكن الازمنة تغيرت . موجة الهجرة الثانية (« العلية الثانية ») كانت تضم عناصر من طراز جديد . هؤلاء يمكن ان يوصف معظمهم بوصف « فارين غادروا صفوف ثورة ١٩٠٥ » . كانت موجة هائلة من المجازر قد سقطت على روسيا في ذلك الحين . يهود شبان ، من أصل برجوازي - صغير بشكل خاص ، متعاطفون مع المنظمات الثورية ، او منتمون الى الجماعة الصهيونية - الاشتراكية ، « بوال زيون » (« عمال صهيون ») كانوا يأملون بأن الثورة ستلغي اللاسامية [مناهضة اليهود] . سرعان ما ضاعت شجاعتهم نتيجة الاعمال المعادية لليهود التي نظمتها الحكومة القيصرية بغية تحويل اتجاه الحقد الشعبي . عدة الوف من هؤلاء الشباب جاؤوا الى فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى ، بدون اية فكرة واضحة عن الشروط الموجودة في هذا البلد . كانوا يفكرون بأن يجدوا فيه أرضا صالحة لتحقيق أحلامهم في حل المسألة اليهودية وفي الثورة الاجتماعية . كثير منهم، اذ خاب ظنهم ، كانوا يعودون الى روسيا ، ولكن الاكثرية كانت تبقى وتفكر بخلق « بروليتاريا يهودية في فلسطين » .

لم يكن هناك محلات شغل عدا هذه التي يشغلها العمال العرب . الوافدون الشبان ، وكانوا قليلو الخبرة بالاعمال اليدوية ، وكان مستوى معيشتهم يتخطى كثيرا مستوى معيشة الشغيلة العرب، طلبوا تشغيلهم في مزارع المستوطنين اليهود ، أي : طرد العمال العرب من مكان عملهم . كان ينجم

ن ذلك توتر دائم ، كثيرا مـــا تتبعه صدامات بين الشباب اليهود والعمال العرب .

شراء الاراضي وتصريح بلفور :

كانت الحركة الصهيونية توسع مـداها ، بفضل جمـع الاموال والاسهامات الكبيرة من جانب المحسنين اليهود ، الامر الذي كان يتيح لها الحصول على أراض ، خصوصا بمساعدة « الصندوق القومي اليهودي » الذي ـ اذ كان يرمـي الـى خلق طبقة عاملة زراعية يهودية ـ كان يحـرم بيـع اراضيه واستخدام شغيلة غير ـ يهــود . محاولـة أخرى في نفس الاتجاه كانت تأسيس تعاونيات زراعية ، عـلى اعضائها ان يتعهدوا بأن يعملوا بأيديهم ، وبأن لا يستخدموا أبـدا عمالا غير ـ يهود . كان متوقعا ان تقـع صدامات مـع العمال الزراعيين وصغار الفلاحين العرب . بالتالي ، كانت مسألـة الدفاع عن الحياة والاملاك اليهودية مطروحة ، وقـد أنشئت المنظمة شبه العسكريـة ، نصف السريـة ، « هاشومـر » (« الحرس ») ، سلف الـ « هاغانا » .

تحت السيطرة التركية ، هذه الحالة لم تبلغ قط ابعادا دراماتيكية . السلطات لم تكن تهتم تقريبـا بالحياة الداخلية للسكان اليهود ، وفي هذا المجال لم يأت صعود جماعـة تركيا الفتاة بأي تغيير . صدرت قوانين ، يفترض فيها الحد مـن الهجرة ومن بيع الاراضي ، ولكنها عمليا ظلت حبـرا عـلى ورق . الحركة القومية العربية ، وكانت آنـذاك في بدايـة تطورها ، لم تكن بعد قد تجذرت في فلسطين . حالـة التوتر الدائم الآنفة استمرت حتى الحرب العالمية الاولى .

آنذاك ، منذ زمن ذلك الزمن ، كان نمو « اليیشوف »

(السكن اليهودي في فلسطين) مشروطا بصعود اللاسامية في اوروبا الشرقية . كل المصائب التي كانت تنزل بالشعب اليهودي في اي مكان من العالم ، استثمرت من البداية لصالح الصهيونية .

رغم ان مؤسسي الصهيونية السياسية ، هرزل ونورداو ، لم يكونا من اوروبا الشرقية (١٠) ، فان الموجة الاولى والموجة الثانية كانتا تأتيان حصرا من هذا القسم من العالم ، وكانتا ناتجتين بشكل مباشر عن موجة المجازر الضاربة فيها . عدا ذلك ، هاتان « العليتان » ــ الاولى حصلت في زمن هرزل ، الثانية بعد وفاته ــ لم تجلبا الى فلسطين سوى نسبة مئوية ضعيفة من تيار الهجرة اليهودية الهائل الذي كان يصب في اميركا . الكلامولوجيا القوموية ، الرامية الى استغلال داء الحنين الذي عمره ألفان من السنين لصالح الصهيونية لم يكن ضاربا جذوره في الجماهير اليهودية . التغير الحاصل فيما بعد كان مرده الحوادث المأساوية ، عملية « ابادة شعب » الهتلرية ، واغلاق كل أبواب الهجرة التقليدية (١١) .

تشكيل وحدات المتطوعين اليهود المحاربة الى جانب الحلفاء ، وخصوصا بيان لورد بلفور ، خلقا في نهاية الحرب العالمية الاولى ، وضعا جديدا تماما . هذا البيان ، الصادر في تناقض صارخ مع الوعود المعطاة للعرب في الوقت نفسه عن خلق دولة عربية كبيرة تشمل كل الاقاليم الموجودة تحت السيطرة التركية ، كانت في أصل حالة متفجرة .

أسباب هذه الازدواجية من جانب بريطانيا ــ العظمى ليس تخمينها بالامر الصعب . كانت بشكل رئيسي :

١) ضرورة اقامة على مقربة من قناة السويس ــ ذات الاهمية القصوى آنذاك ــ سكان أمينين موثوقين (١٢) .

٢) الحصول على الدعم النشيط من جانب ملايين

اليهود الاميركيين لقضية الحلفاء .

٣) تجنب الخطر الكامن في قيام دولة عربية قوية وموحدة ، تهدد بأن تتحرر من قبضة الدول الاستعمارية .

٤) ايجاد ثقل موازن لنفور اليهود من روسيا القيصرية ، حليفة هذه الدول .

الى هذا كله ينضاف موقف عدم فهم وعدم تقدير للحركة القومية العربية . هذه الاسباب تغلبت على جميع الاعتبارات الاخرى .

اشتراكية ـ مزعومة عنصرية :

رغم الحماسة التي اثارها تصريح بلفور بين يهود اوروبا الشرقية ، لما كان يكون له سوى قيمة عملية قليلة لولا عامل الاضطهادات الفظيعة . في سنوات ١٩١٧ ـ ١٩٢٠ ، زمن الحرب الاهلية في روسيا ، ذبح مئات الآلاف من اليهود على يد عصابات بتليورا وغيره من الاتمانات (١٣) في اوكرينيا . في بولونيا ورومانيا ، مع انهما كانتا ملزمتين من قبل معاهدة فرساي (١٤) باحترام حقوق اقلياتهما القومية ، كانت تسود انظمة معادية للسامية . نتج عن ذلك هجرة عشرات الالوف من اليهود الى فلسطين ، مما سبب عددا لا يحصى من الانتفاضات العربية ضد السلطات البريطانية وضد « اليشوف » [المستوطنة اليهودية] . هذا السكن اليهودي ، وقد صار بقوة الاشياء عاملا صهيونيا ، مضطهدا ، تحول الى مسمار حقيقي أدخل في العالم العربي ، يمنع تحرره الفعلي وتوحيده . التنازلات القليلة التي بواسطتها سعى الانكليز الى تهدئة الحركة القومية العربية ، لم تمنع الصهيونيين من الاستيلاء على كل المواقع ـ المفاتيح في فلسطين .

انه أمر ذو دلالة ان « الهستادروت » ، التـي تأسست في عام ١٩٢٠ ، زاعمة انها اتحاد عام للشغل وناسبـة نفسها الى الاشتراكية ، كانت تنظم طرد العمال العرب بشكل منهجي دائم من مكان عملهم عند المستخدمين اليهود بل ومن عملهم في الادارة الانتدابيـة وكانت ــ بمساعـدة البوليس البريطاني و « الهاغانا » ــ تنزع ملكية الفلاحين العـرب الفقراء عـلى قطعة أرضهم الصغيرة .

يعوزنا المكان لتعداد كل الخداع القانوني المستخدم من قبل المنظمات الصهيونية ، وخصوصا مـن قبـل حربتهم الحديدية ، « الهستادروت » ، كي يصلوا الى غايتهم . عـلى انقاض قرى الفلاحين والمخيمات البدوية بنـوا « كيبوتزاتهم الاشتراكية » !... وبعد كل ذلـك أذيعت في العالم اجمـع خرافات عن « الواحات الاشتراكية الزاهرة » وعن « المنافع » التي تغدقها الصهيونية على الشعب العربي .

عناصر معتدلة بين السكان اليهود ، حلقـات « بريث شالوم ــ احود » ، بعـض الجامعيين والمثقفين ، وكـذلك جماعات صغيرة مـن اليسار غيـر ــ الصهيونـي ، والحزب الشيوعي ، منذ قيامـه حتى بدايـة الحـرب الالمانية ــ السوفياتية ، حاولوا ، دون جدوى ، لجم نمـو مماثلـة « السكن اليهودي » الكاملة مـع الاستعمـار البريطانـي ، للحيلولة دون صير الهوة المحفورة بين الجماعتين هوة لا يمكن اجتيازها. ان صوت شخصيات مثل الدكتور مانيس Magnes هانس كوهن ، حاخام بنيامين ، كان « نـداء في الصحراء » . ولقد كانت قرينة ذات دلالة انه منذ سنة ١٩٢٤ اغتيل عـلى يد « الهاغانا » الدكتور دو ها آن Haan لانه دعا الى حل سلمي للمسألة الفلسطينية . ورغم خطـر الموت ، وجهت ، على مر السنين ، تحذيرات ملحة الـى « الييشوف » بـأن

لا يربط مصير السكان اليهود في فلسطين بمصير نظام الانتداب وبالحركة الصهيونية . عبثا لسوء الحظ !. . .

* * *

وها هتلر في الحكم منذ ١٩٣٣ . عشرات ومئات الالوف من اليهود الذين لم يكونوا يوما صهيونيين ، كانوا يفدون الى فلسطين ، لعدم وجود امكانية أخرى . كل أبواب بلدان الاستقبال الكبرى كانت مغلقة . غني عن البيان ان هذه الهجرة الجديدة كانت تزيد من تفاقم الموقف الذي كان أصلا بالغ التوتر . و . . . اكتشاف ورود غير قانوني من الاسلحة ، بكمية هائلة ، الى « الهاغانا » كان الشرارة التي أطلقت الانتفاضة العربية لعام ١٩٣٦ التي دامت حتى الحرب العالمية الثانية . كل عربي فلسطيني كان مرغما على التساؤل : « هل عليّ ان اسلم بيتي وان أصير ، بدوري ، تائها ، اذا كان اليهود المضطهدون يبحثون عن ملجأ ؟ » . حصلت محاولة يائسة قبل ما لا يحمد عقباه ، ابان هذه الانتفاضة العربية الكبرى ، قامت بها جماعات متنوعة بقيادة الدكتور مانيس ، لاقامة مفاوضات مع ممثلي اللجنة العربية العليا ، الموجودين في رأس الحركة المناهضة لبريطانيا وللصهيونية . كان هدفهم الوصول الى اتفاق ما يتيح تسوية حياتية . كان القادة العرب مستعدين لقبول كل السكان اليهود الموجودين في فلسطين ، حوالي ربع مجموع السكان ، مع امكانية زيادتهم حتى ٤٠٪ ، مع المناداة بدمجهم او ادراجهم في فلسطين وفي اتحاد عربي مقبل ومع ضمان حكم ذاتي كامل لهم . ولكن السلطات الصهيونية وعلى رأسها بن غوريون تدخلت لافشال هذه الفرصة الوحيدة لحل سلمي .

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، مع وصول المعلومات الاولى عن المجازر المنظمة للسكان اليهود في اوروبا ، كانت تنفتح للحركة الصهيونية « آفاق جديدة » . رغم

وجود بعض امكانيات انقاذ ، قليل جدا عمل في هذا الاتجاه . طموحهم كان الاستفادة من هذه الكارثة في سبيل ... اقامة دولة صهيونية في فلسطين . قرار بلتمور الشهير كان واضحا لا لبس فيه بهذا الصدد .

السلطات البريطانية ، بعـد قمعها الثـورة العربية ، اضطرت ، رغم كل شيء ، الـى اجـراء بعض التنازلات الرئيسية للعرب . سياسة التهدئة ازاء العرب سببت سخطا عميقا في « اليشوف » الصهيوني الذي ، بما انـه كان يطالب بحق الهجرة اللامحدودة والفورية الى فلسطين ، فقد كـان يدخل في نزاع مكشوف مع حماته وحلفائه ، الانكليز .

بعد الحرب العالمية الثانية ، نتيجـة عوامـل وتطورات متنوعة ، قيمة فلسطين الستراتيجية فقـدت كثيرا مـن اهميتها . من جهة أخرى ، أمـام استحالـة توفيق مطالب العرب في الاستقلال والتوحيد القوميين مع المطالب الصهيونية الراسخة ، قررت حكومة لندن « العمالية » التخلص مـن « رسالتها » الفلسطينية ، التي باتت مربكة ، واعادة قـرار انتدابها الى هيئة الامم المتحدة ، التي أنشئت قبـل قليـل . هكذا بدأ ، في مناخ متوتر ، طور من لجان التحقيق .

الى كل ما تقدم كانت تنضاف ضرورة حـل المعضلة الملحة ، معضلة اليهود الذين نجوا من جريمة الابادة النازيـة والذين ما زالوا موجودين في مختلف المعسكرات في اوروبـا . هذه الحالة ، المتفجرة بحـد ذاتهـا ، عقدتها ايضا المصالح المتناقضة للدول الكبرى ، سيدة الامم المتحدة . بعد مجادلات ومساومات طويلة ، كانت الولايات المتحدة والدول التي فـي فلكها من جهة وروسيا الستالينية مع أقمارها مـن الجهـة الاخرى هما اللتـان حصلتا عـلى اغلبية الثلثين الضروريـة لتقسيم فلسطين . هكذا خلقت ، من فوق المعارضة العنيدة من جانب البلدان العربية والاسلامية ، الـدول الصهيونية ،

« اسرائيل » . بقدر ما نعلم ، كان ذلك مثـــالا فريدا عـــن « روح يالطا » في تمام زمن الحرب الباردة (١٥) .

نحن ، يهـودا فلسطينيين ...

من المعروف والمشهور ان سياسة الحكومة السوفياتية والاممية الشيوعية كانت ، منذ البداية ، مناهضة للصهيونية بشكل منسجم . حين استقبـــل الكومنترن (١٦) الحـــزب الشيوعي الفلسطيني ، وضع له كشرط مطلق ان يصير حزبا اقليميا ، عربيا (١٧) . برنامج الحـــزب الشيوعي آنـــذاك ، بوصفه فرعا من الكومنترن ، كـــان يعلـــن النضال في سبيـــل التحرر القومي للجماهير العربية، ادخالها في اطار فيدراسيون عربي كبير ، مع حكم ذاتي داخلي للسكان اليهود في فلسطين. رغم التغيرات العميقة التـــي وسمت الحزب الشيوعي فـــي روسيا وفي فلسطين ، هذه السياسة كانت مطبقة حتـــى في ظل ستالين الى لحظة العدوان النازي ضد روسيا . فـــي هذه اللحظة الدقيقـــة ، رؤساء السياســـة والديبلوماسية الروسيتين اكتشفوا فجأة « جوانب ايجابية » في الصهيونية. هذا الموقف تطور نحو دعم كتلي لل « ييشوف » حتى التخلي عن مبدأ حق كل شعب في تقرير مصيره (المبدأ الذي ظـــل صالحا على الورق) .

في خريف ١٩٤٧ ، اثنـــاء جلسة هيئـــة الامم المتحدة ، الجلسة الاستثنائية المكرسة ل « حل » المعضلة الفلسطينية، القى المندوبان الروسيان غروميكـــو وتسارابكين خطابـــات صهيونية بدرجة ساميـــة ... وايضا كانت حكومـــة ستالين اول حكومة تعترف بدولة اسرائيل اعترافا قانونيا de jure .

هذه التفاصيل ذات أهمية رئيسية مـــن اجـــل فهم

الحوادث التي جرت في العشرين سنـــة الاخيرة . حمـــاة الصهيونية الــروس ، مدربــوهم العسكريـــون ، وارسال الاسلحة التشيكية ، ذلك ساهم بقوة في الانتصار الصهيوني و ... في خلق قضية اللاجئين العرب !

الاتقياء المراؤون الروس الذيـــن يماثلـــون اليـــوم الصهيونية بالنازية وراءهم عهد طويل بمواقف الغدر والخيانة حيال مختلف حركات التحرر القومـــي والاجتماعي . لنمض على ميثاق ويبنتروب ـ مولوتوف ، ولنذكر فقـــط خيانـــة الثورة اليونانية والحركة الثورية في أزربيجان الايراني . وفي فلسطين ذاتها ؟ الحكومة الروسية هل تدخلت ، عـــلى اي شكل كان ، لفضح الفظائع المرتكبة في قريـــة ديـــر ياسين وغيرها ، في سنوات ١٩٤٧ ـ ٩١٤٩ ؟ وفيما بعد ، هـــل كان لهم اي رد فعل ازاء مجازر قبيـــة ، كفر قاسم ، الـــخ .. الخ .. ؟ (١٨) .

منذ العدوان الانكليزي ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي عـــام ١٩٥٦ ، اختارت الديبلوماسيـــة الروسيـــة العالـــم العربـــي « موضوعا » لصداقتها . مواصلة السياسة القديمة لروسيا القيصرية حيـــال الشرق الاوسط والبحـــر المتـــوسط ، الامبراطورية الروسية ترغب في اقامة علاقات متينة في البلاد العربية .

آن الاوان ونيف كي تتخلص شتـــى حركات التحـــرر القومي والاجتماعي العربية مـــن شتى انـــواع « المحسنين الخيرين » ـ بينهم هؤلاء القادمون الاخيرون . ان الشعـــوب الغربية ، لـــن تتحرر الا بتوحدهـــا وبتغييرها جذريا بنيتهـــا الغربية ، لن تتحرر الا بتوحدهـــا وبتغييرها جذريا بنيتهـــا الاجتماعية ، الامر الذي سيتيح لهـــا ان تستثمر لصالحها الثروات الطائلة الكامنة في أرضها .

واذ نلخص لمحتنا ، التي فيهـــا حاولنا كشف الحقيقة

التاريخية التي لا يستطيع عرب فلسطين أن يصرخوها في وجه العالم ، والتي كان واجبنا كيهود مناهضين للصهيونية ان نصرخها مكانهم ، ننهي لمحتنا بالاعلان الآتي :

نحن يهودا فلسطينيين ويهودا من الشتات ، نشجب الصهيونية ، مصيبة الشعب العربي ، مصيبة الشعب اليهودي ، مصيبة قادرة على تسبيب كارثة على نطاق العالم. نعلن أننا متضامنون مع طموح الشعوب العربية الى تحررها وتوحدها في اتحاد كبير ، فيه ستجد الجماعة اليهودية ، مع حكم ذاتي تام ، مكانها اللائق .

اذ نرتكز بين أمور أخرى على النداء الموجه منذ ١٩٥٧/٥/١٩ من قبل الامين العام للجامعة العربية ، عبد الخالق حسونة ، الى سلطات دولة اسرائيل ، النداء الداعي الى قبول قرار هيئة لاامم المتحدة تاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ (١٩)، كخطوة اولى من أجل حل عادل للمعضلة الفلسطينية ، نحن مقتنعون بأنه بعد تصفية الصهيونية فان الفيدراسيون العربي الكبير ، ما ان يقام ، فانه سيقبل في حضنه يهود فلسطين ، أعضاء في هذا الاتحاد مشاركين مساوين . وسيعيش من جديد عصر اسبانيا المجيد ، اخاء الشعبيين الساميين العظيمين .

نتوجه الى قادة كل البلاد العربية بنداء مهيب ، طالبين ان يحملوا مسؤولياتهم وابن يصادقوا على اقتراحاتنا ، المخرج الوحيد من البلبلة الحاضرة .

نطلب منهم عدا ذلك ــ تجنبا لكل اختلاط ــ أن يتنصلوا من الذين يحرضون على مجازر ضد السكان اليهود ، وأن يشجبوا كل ما من شأنه أن يؤول ، ولو بصورة غير مباشرة ، كدعاية بغض لليهود .

قد نوصف باننا خياليون طوباويون ، سيقال اننا

بعيدون عن الواقع . لعل صوتنا حاليا صوت في الصحراء ، ولكنه اقتناعنا العميق أن المستقبل سيؤيدنا .

جماعة من اليهود الفلسطينيين المناهضين للصهيونية

شروح :

١ ـ nationaux . لعل المقصود : « ابناء بلد » .

٢ ـ مؤسسة يهودية فرنسية او فرنسية الاصل . لها مدارس مشهورة. مثلا في المغرب (تخرج منها عدد من رجال الحركة الوطنية) .

٣ ـ البيدية او ييديش . كانت لسان يهود اوروبا الشرقية او معظمهم او بعضهم ، ألمانية عامية في الاساس مع مفردات عبرية . كان هناك أدب ييدي في روسيا ، بولونيا ، في الولايات المتحدة .
اللادينو ladino تكونت (على غرار السابقة) عند يهود بعض البلدان اللاتينية (اسبانيا) وانتشرت ايضا بين يهود اليونان وبلغاريا .
الصهيونية حاربت هذه اللغات لصالح بعث العبرية ، لغة للامة الصهيونية .

٤ ـ السفارديم والاشكناز هم الطائفتان الرئيسيتان بين اليهود . جوهريا : السفارديم = يهود المغرب العربي والشرق الادنى . الاشكناز = يهود اوروبا .
في القرن التاسع عشر كانت مناطق تواجد اليهود : ١) دائرة بولونيا والامبراطوريات الثلاث (روسيا ، النمسا ، المانيا) . ٢) العالم العربي . ٣) بلدان متنوعة .
بين ١٨٩٠ و ١٩١٤ ، هاجر قسم كبير من يهود الدائرة الاولى الى الولايات المتحدة ، في جملة تيار الهجرة الكبير من اوروبا (لا سيما السلافية والبلقانية) الى اميركا ... اليهود الوافدون الى فلسطين في موجات الهجرة الصهيونية الاولى عدد قليل بالمقارنة مع الهجرة الى الولايات المتحدة . بعد ١٩١٨ ، الولايات المتحدة اغلقت تقريبا باب الهجرة امام العالم .

٥ ـ « علية » Aliyah = صعود ، كلمة عبريـــة ، مصطلـــح صهيوني : الهجرة الـــى فلسطين صعود . تاريخ الصهيونية ، في أحـــد اهم وجوهه ، عدد من العليات ، من موجات الهجرة الى فلسطين ، قبـــل سنة ١٩٤٨ وبعدها .

٦ ـ المجازر ، بوغروم pogroms . مجازر شعبية مدبـــرة ضد اليهود على يد القيصرية ، الحكومة ، الكنيسة ، منظمات اليمين القيصري (المئة السود الخ) ، فرسان الكوزاك في مدن جنوبي غربـــي روسيا ... كذلك ، مع بعض الفوارق ، في أزمنة سابقة ، في بلدان اوروبا الغربية ، في مختلف بلدان اوروبا ، اي (حسب البعض) في طور محدد مـــن التاريـــخ الاقتصادي ، في الطور السابق الممهد للرأسمالية الخ (انظر كتاب ابراهام ليون) . ولكن لا يجوز ان نهمل مجازر الحملات الصليبية التي أصابت أيضا (« على الطريق ») الجاليات اليهودية في بعض البلدان الاوروبية ، وصولا الى فلسطين .

٧ ـ القيصر اسكندر الثاني قتل في ١٨٨١ . اليهود كانـــوا مشاركين في الحركة الديمقراطية والثورية مع الروس وبوصفهم روسا . وفي الحركـــة الارهابية ، وفيما دعي (خطأ) « بالنيهيلستية » . وكانت الرجعية تذيـــع ان حركة الثورة يهودية واجنبية .

بين ١٨٨٠ و ١٩٢٠ شهدت روسيا عددا مـــن البوجرومات . وبعض الشيوعيين اليهود الوافدين مـــن روسيـــا والمؤسسين للحـــزب الشيوعي الفلسطيني كانوا يعتبرون الانتفاضات العربيـــة في فلسطين نوعـــا مـــن « بوجروم » ! مبدئيا ، الكومنترن ضرب هذا الرأي .

٨ ـ Clonie : مستعمـــرة ، مستوطنة ، جاليـــة ، اعمـــار ، استعمار . الفرنسية مثل العربية .

٩ ـ الارساليات الروسية الارثوذكسية في فلسطين وبلاد الشام لعبت دورا ايجابيا معروفا (تحدث عنها ساطع الحصري واخرون) ، أسهمت فـــي النهضة العربية الثقافية الوطنية ، خرجت بعض المثقفين الوطنيين والمفكرين اللامعين .

١٠ ـ تيودور هرزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) « مؤسس » الصهيونية كـــان

مجريا من مواليد بودابست (امبراطورية النمسا ــ المجر) . وهــو صاحب كتاب « الدولــة اليهوديــة » ورئيس المؤتمــر الصهيونــي الاول . الأختمار الفكري الصهيوني له اشخاص سابقون ولاحقون . احد وجوه هذا الاختمار: الوجه القومي ، مسألة الامة اليهودية . هنا الى جانب هرزل واخرين يبرز اسم ماكس نورداو المجري الالماني ★ ، الذي هــو النجم الثانــي في تأسيس الصهيونية كحركة قومية واستعمارية . ساطـــع الحصري المأخوذ بالفكـــرة القومية و « النظرية الالمانية » للامة وبماكس نورداو منظرا وألمانيا ، فاتتــه صهيونية نورداو ، مرحلته الاخيرة ، الشهيرة ، الخاصة ، الاهم .

حتى نأخذ فكرة عن نورداو ، (وحتى لا نجحف بحقه وبحق الحصري) انقل عن كتاب ناتان فاينشتوك ، « الصهيونية ضد اسرائيل » ، بالفرنسية:

(ص ٦١) : « بوبر Buber ذكر الى أي حد ملازم هرزل ، ماكس نورداو ، هزه اكتشاف (!) ان فلسطين مسكونة من قبل عرب وان الصهاينة يرتكبون بالواقع اجحافا بحقهم » .

(ص ٥٨) : « بوروخوف يذهب من ملاحظة ان اليهود هم اقتصاديا ، حسب تعبير نورداو ، رجالا هوائيين ، Luftmenschen ، رجالا معلقين في الهواء ، وهي ملاحظة تلتقي مع ملاحظـــة ماركس الشهيرة عـــن اليهود البولونيين الذين كانوا يعيشون « في مسامات » المجتمع . » .

وضوحا ، لم يكن نورداو مفكرا تافها ، وليست « الفكـــرة القومية » خيرا عميما .

١١ ــ كما قلنا ، أبواب الهجرة (من العالم) الـــى الولايات المتحدة كانت مغلقة عمليا منذ ١٩٢٠ . ولكـــن روزفلت فكر بفتح بـــاب الهجـــرة واستقبال مئات الالوف من يهود اوروبا ، لـــم يلبث ان تراجع تحت ضغط الشبكة الصهيونية في واشنطن ، ثم خلفه ترومان (١٩٤٥) الذي سار بقوة (ومعه زوجة الرئيس الراحل) في تنفيـــذ المشروع الصهيوني ، في اقامـــة الدولة اليهودية . مؤتمر بلتمور الصهيوني مثل انتقال مؤتمر المؤامرة الـــى الولايات المتحدة .

★ فهو أيضا من مواليد بودابست (١٨٤٩ ــ توفي في باريس ١٩٢٣). نشر بالالمانية محاولات عن انحطاط الفكر والفن الاوروبيين بعنوان « انحلال »، ثم منذ ١٨٩٥ صار من أقطاب الصهيونية ... بودابست داخلة في دائـــرة الثقافة الالمانية والاوروبية الغربية .

١٢ ـ وشبه جزيرة سيناء داخلة في المخطط الاقليمي الصهيوني من البداية . وكان الصدام الانكليزي ـ المصري على هذا الموضوع اول رد فعلي عربي شعبي على الصهيونية .

١٣ ـ أتمان او هتمان هو قائد او آغا الكوزاك ، وكانوا قوة رئيسية من قوى الثورة ـ المضادة فى روسيا الجنوبية .

١٤ ـ معاهدة فرساي اعقبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) كرست انتصار الحلفاء (فرنسا ، انكلترة) على المانيا ، وتسلطهم ونهبهم لها . كان حصاد الحرب انهيار الامبراطوريات الاوروبية الثلاث (النمسا ، روسيا ، المانيا) ، قيام او توطيد وتوسع الدول القومية . بولونيا عادت الى الوجود وضمت أقاليم سلافية شرقية ، رومانيا نالت بسارابيا ... الدول القومية الجديدة ونصف الجديدة كانت دول تسلط قومي على اقلياتها القومية ...

١٥ ـ فعلا ، ((الحرب الباردة)) بدأت قبل او قبيل اللقاء السوفياتي ـ الاميركي على مشروع التقسيم .

قبل ثلاثة شهور من اقرار مشروع التقسيم (اي من موافقة الاتحاد السوفياتي عليه) ، ألقى جدانوف تقريره السياسي في مؤتمر تأسيس الكومنفورم المنعقد في بولونيا . في هذا التقرير الذي غدا وثيقة ـ أساس للحركة الشيوعية ، قال جدانوف ان العالم انقسم الى معسكرين ، معسكر الديمقراطية والسلام بقيادة الاتحاد السوفياتي ومعسكر الامبريالية والحرب بقيادة الولايات المتحدة ... وذكر صداقة شعبي مصر وسورية .

ليس بالامكان ، في اطار هذه الملاحظة وهذا الكتاب ، معالجة هذه المسألة الطويلة والمتعددة الوجوه .

١٦ ـ الكومنترن : الاممية الثالثة ، الاممية الشيوعية . تأسس في موسكو (١٩١٩ ، ١٩٢٠) .

حله في زمن الحرب العالمية الثانية (١٩٤٣) كان تأكيدا لصير الاحزاب الشيوعية أحزابا قومية مستقلة وتسهيلا لحرب معسكر الديمقراطية ضد معسكر الفاشية ...

في صيف ١٩٤٧ ، بعث جزئيا فى شكل ((مكتب انباء الاحزاب الشيوعية والعمالية)) الذي ضم الاحزاب الشيوعية الاوروبية الكبرى ، والمعروف باسم

ال « كومنفورم » الذي حل في ١٩٥٦ ، بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

١٧ ـ اقليمي territorial . المبدأ الاقليمي (الجغرافي) هو المبدأ الاممي اللاقومي في التنظيم . اي تنظيم العمال في البلد ، في المنطقة ، في المدينة ، داخل تنظيم واحد بصرف النظر عن قوميتهم (ولغتهم ودينهم الخ) . وان أي تفريع خاص قومي (لغوي ، ديني) قد تمليه ظروف العمل السياسي العياني انما يخضع بشكل مطلق للمبدأ الانف . التنظيم الاقليمي او « البلدي » في اقليم فلسطين معناه حزب غالبيته من العرب ، قياداتها غالبيتها من العرب ... الوصول الى هذا الهدف يشترط خطا سياسيا وستراتيجيا وفكريا سليما . في فلسطين لا يعيش ولن يعيش سوى حزب شيوعي عربي الاتجاه او « المعنى » . قد يعيش حزب غير عربي و « شيوعي » بالاسم وبلا معنى .

١٨ ـ اعتقد (استنادا الى ذاكرتي) أن في هذا الكلام خطأ .
وبوجه عام ، يمكن القول ان الاتحاد السوفياتي ايد قيام دولة اسرائيل بقوة (وبالاسلحة التشيكية) ، ثم لم يتعاطف معها .

١٩ ـ هو قرار التقسيم (قرار انشاء دولتين عربية ويهودية) الذي تجاوزته اسرائيل اقليميا بالحرب الاسرائيلية ـ العربية الاولى (١٩٤٨) .
هذا القرار اعتمد المعيار القومي ـ الاقليمي . ولكن الاكثرية العربية في الاقليم العربي كانت اكثرية ٩٥٪ او اكثر بينما الاكثرية اليهودية في الاقليم اليهودي كانت لا تزيد عن ٥٥٪ ★ . حيفا اعتبرت ذات اكثرية يهودية . الجليل الغربي (مع مدينة عكا) ترك للدولة العربية بحكم اكثرية سكانه الساحقة ولكن الجيش اللبناني لم يكن قادرا على حمايته . والنقب اعطي للدولة اليهودية !! برنادوت (١٩٤٨) وضع مشروعا يغير الوضعية الاقليمية المستحيلة ويحولها الى وضعية ابسط بكثير مع حدود اقصر لكل من الدولتين : النقب للدولة العربية والجليل كاملا (اي بما فيه الجليل الغربي) للدولة اليهودية . اغتاله رجال شترن . تطبيق المعيار القومي ـ

★ وحسب التقسيم الاداري الموجود آنذاك ، جميع المناطق ذات اكثرية عربية تتراوح بين ٦٠٪ (يافا) و ١٠٠٪ (نابلس) .

الاقليمي كان في زعم وتصور واضعيه ومؤيديه مبدئيا ومطلقا ، بالحقيقة كان عسفيا و « مدروسا » . اليهود كانوا يؤلفون ثلث سكان اقليم فلسطين ولم يلبثوا ان استولوا على ثلاثة ارباعه او اربعة اخماسه على جسر قرار دولي كان جزءا من مخطط مدروس ومحكم . دير ياسين تقع خارج الاقليم المعطى للدولة اليهودية المزمعة ، المجزرة حصلت في ٩ نيسان ١٩٤٨ ، اي قبل انهاء بريطانيا انتدابها وقيام دولة اسرائيل ...

توزع الاصوات . نقلا عن الكتاب السنوي للامم المتحدة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ . (مع الاستغناء عن التسلسل الابجدي) .

مع المشروع ـ المجموع ٣٣

ـ فرنسا ، بلجيكا ، هولنده ، لوكسمبورج ، دانمارك ، نرويج ، سويد ، اسلندة .

ـ الاتحاد السوفياتي ، اوكرينيا ، بيلوروسيا ، بولونيا ، تشيكوسلوفاكيا .

ـ الولايات المتحدة ، كندا ، برازيل ، اوروغواي ، باراغواي ، اكوادور ، بيرو ، بوليفيا ، فينزويلا ، كوستاريكا ، نيكاراغوا ، بناما ، جواتيمالا ، هاييتي ، دومنيكان .

ـ ليبيريا ، جنوبي افريقيا .

ـ اوستراليا ، نيوزيلندة .

ـ فيليبين .

ضد المشروع ـ المجموع ١٣

ـ مصر ، سورية ، لبنان ، العراق ، السعودية ، اليمن .

ـ تركيا ، ايران ، الهند ، باكستان ، أفغانستان .

ـ اليونان .

ـ كوبا .

الممتنعون عن التصويت ـ المجموع ١٠

ـ بريطانيا .

ـ يوغوسلافيا .

ـ الحبشة .

ـ الصين .

ـ مكسيك ، ارجنتين ، شيلي ، كولومبيا ، سلفادور ، هوندوراس .

معظم افريقيا ، معظم الوطن العربي، قسم من آسيا لم يكن بعد موجودا . التوزع حسب القارات :

	اوروبا	أميركا	أوقيانوسيا	آسيا	افريقيا	المجموع
مع	١٣ { ٨ ٥	١٥	٢	١	٢	٣٣
ضد	١	١	٠٠	١٠	١	١٣
استنكاف	٢	٦	٠٠	١	١	١٠
المجموع	١٦	٢٢	٢	١٢	٤	٥٦
الحجم النسبي لسكان كل قارة من سكان العالم	أقل من ربع سكان العالم			أكثر من نصف سكان العالم		

مواد مختلفة

العدد الاول من مجلة هيريتم في شكل ملازم مستقلة . النص الآنف ـ لمحة تاريخية موجزة عن النزاع ، بقلم جماعة من اليهود الفلسطينيين ـ أخذناه من ملزمة عنوانها « **وثائق عن النزاع الفلسطيني ـ الصهيوني** » . لا بأس من جرد هذه الملزمة . أجد فيها :

١ ـ **جنود اسرائيليون يعترفون بجرائمهم** . نقلا عن صحيفة او نشرة عنوانها the Lsrael Lmperial News عنوانها : ... لندن ، عدد يناير ١٩٦٨ . تقرير شفوي من جندي اسرائيلي أعطاه في تل ابيب في ١٠ ايلول ١٩٦٧ ، وهو شاهد عيان يروي ماذا رأى في فترة نهاية تموز ـ اوائل آب ١٩٦٧ ، على نهر الاردن ، ذبح سكان الضفة الغربية العائدين الى ديارهم في الليل وفي الصباح البحث عن الذين نجوا واختبأوا والاجهاز على الجرحى ... وقائع يعرفها القارىء العربي ، نشرتها الصحافة العالمية والعربية ، ويعرفها المجتمع الاسرائيلي . « هذه الوقائع لا توردها صحافة اسرائيل ابدا . ولكن الصحافة المذكورة ذكرت باختصار ان مجلس وزراء اسرائيل في احدى جلساته الاسبوعية ناقش مسألة « طهر القوات المسلحة لاسرائيل » ، وهذه عبارة معناها معروف تماما في اسرائيل . عبارة تستخدم في كل مرة تصبح فيها

فظائع الجيش معروفة من الجمهور » .

وتضيف هيريتم : « الرقابة ، صعوبة الاقامة في بعض المناطق ، الابتزاز المعنوي لاجبار الشهود على الصمت ، الخ، هذا كله ، مستندا الى الايديولوجيا التي مفادها ان اليهود لا يمكن ان يرتكبوا فظائع ، يسمح بحجب معظم الجرائم التي يرتكبها الاسرائيليون . من حين الى آخر ، ثمة شهادات تخرق جدار الصمت كهذه الشهادة الآنفة . سيجد القارىء شهادات أخرى في كتاب **« الفلسطينيون »** تأليف آنيا فرانكوس (طبع جوليار) ، و **« اورشليم ودم الفقراء »** تأليف الاب غوتيه والاخت ماري تيريز (جرائم قتل لغرض السرقة ، اعمال نهب ، أعمال وحشية ، تحريضات استفزازات من اجل اخلاء الاقاليم المحتلة ، اعمال طرد وتدمير منهجية ، الخ) (دفاتر صحيفة **الشهادة المسيحية**). ـ هذه الصحيفة ، « الشهادة المسيحية » ، من أفضل وأشرف الاصوات في فرنسا والعالم منذ نيف وربع قرن ، مع شعوب الهند الصينية ، افريقيا ، فلسطين ، الخ . تنتسب في تاريخ المسيحية الاوروبية الى خط **لاس كازاس** ، رجل الدين الكاثوليكي (ق ١٦) ، فاضح جرائم الاستعمار الاسباني والاوروبي والمسيحي في اميركا الهندية .

٢ ـ **هذا اسرائيل ؟** تحت هذا العنوان ، نقلت المجلة مقاطع جميلة من كتاب كارلو سوارس Suarés **« ماذا يا اسرائيل »** . « جمهور لا يعد ، كثير الحركة والضجة ، مربوط ، مقيد . عشرة آلاف طن من سلاسل الحديد لربطهم بتفاهات . « هذا حلال ، ذاك حرام » ، « لا السبت ، نعم الاحد » . واللبس ، الاكل ، الكتابة ، مع او بدون وصايا ، حسب ما يناسب ... تعال الى المعبد ،

هذه صفقة عمل ، أشتري ٢٣ نسبة ١٥ علـى ١٦ ، مبارك الرب القدير ، تصفيات وفرص ... « هذا اثم » .... « الازلي ربي » : لم يروا يوما وجهه ولكنه رأى ظهورا كثيرة. ألكي لا يجدوه يبحثون عنه ويتضرعون اليه ؟.... اذ ، تأكيد جوهر اسرائيل الذي ينفي اسرائيل ، يعارضه نفي كل اليهود نفيا ليس أقل قوة بما انهم يؤكدون اسرائيل . هذا الذي يحوي البذرة التي لا تعبر لن يكف عن ملء العالم بخطاباته ، تعليقاته ، تفسيراته ، صرخاته ، أصواته ، وكلمات وكلمات وكلمات . اذ اذا كانت البذرة « هو » ، فانه سيسمع صوته ، ولكن اذا كانت الصياحات هي الاقوى فهذا ليس « هو » . هذا الذي يحوي البذرة الاكثر مرونة ، حياة، ديناميكية ، عليه ان يصير أصلب وأموت واثقل من الرصاص . » .

٣ ـ وادي صليب ، وثيقة عن التمييز العنصري بين اليهود في اسرائيل .

جان بوبيرو ، Jean Baubérot ، ج. ب. ، مدير مجلة هيريتم ، ينشر تحقيقا أجراه في اسرائيل سنة ١٩٥٩ ، وقدمه آنذاك في اطار تقرير بعنوان « صداقة فرنسا واسرائيل » ... × يقول ج. ب. كتقدمة : × « قبل عشر سنوات (١٩٥٩) ، حين كنت طالبا ثانويا ، ذهبت منفردا الى « اسرائيل » في اطار بعثات « زيلدجا » . قراري بزيارة هذا البلد كان آتيا ، من جهة ، من مطالعات حديثة (كتاب « يسوع واسرائيل » لـ جول ايزاك وكتاب « دليل البغضاء المختصر » لـ ليون بولياكوف) كانت قد كشفت لي مدى و « فظاعة » اللاسامية الغربية ، ومن جهة أخرى ، من تقارير متحمسة كتبها شباب كانوا يروون ان هذه الدولة

توفق بين « الاشتراكية والحرية » . كنت متلقيـا لموضوعات الدعاية الصهيونية ، أعتقد مثلا ان عرب فلسطين رحلوا في عام ١٩٤٨ بناء على أمر حكومات البلاد العربية ، كنت معجبا بعمل « الرواد » الخ ...

أثناء اقامتي انفجرت اضطرابات ليهـود اسرائيليين سفارديم (اي أصلهم من المغرب او من الشرق الادنى) في ... بئر السبع ، مجدل هايمك ، وادي صليب . والقيت حجارة على رجال الشرطة ، حطم زجاج بعض المباني العامة ، أحرقت سيارات الخ ... »

ويقول في هامش : « كنت أناضل في سبيـل استقـلال الجزائر ولكني لم أكن أشك في مشروعية دولة اسرائيل . ان أهمية التيارات الاسرائيلية الناسبة ذاتهـا الـى الماركسية واعلان الشيوعيين المصريين لداعي الى الصلح مـع اسرائيل (انظر ما أقوله في مقالي عـن الـدور الامبريالـي للاتحـاد السوفياتي في الشرق الاوسط) ساهما في تضليلي . »

ويقول ايضا : « وضوحا ، كان بودي ان أحرر تقريـرا محض « ايجابي » حيال اسرائيل . ولكنني ، بدافع الصدق، لم أكن استطيع ان اطمس الجمل التي سمعتها والتـي خلقت في صدمة » ...

الصفحات التالية تنقل التحقيق الـذي أجراه الشاب اليهودي الفرنسي في ١٩٥٩ : حـديث قنصـل فرنسا فـي القدس ، حديث أشخاص يهود مغربيين (« نريد الذهاب الى فرنسا » ، « نعم ، عاشت فرنسا ، عاش ديغول » ....)، اتجاهات أحيانا متباينة ومتعارضة .... ج . ب . كان قد نوه في مقدمته الآنفة بأن تحليله لحوادث وادي الصليب « كان بمفردات او حدود نصف ــ مصوفة ، مفردات نضال الفقراء ضد الاغنياء » ، ولكـن نص الحـوار فـي التحقيـق يكشف

موضوعية لا بأس بها . « ـ ولكن أليست هناك أحزاب تدافع عنكم » ؟ ـ الجواب لاذع : « لا ، نحن الفقراء ، وهم يتبارون في الضرب علينا . ـ حزب حيروت يدافع عنا قليلا ، يقول المتحدث الآخر ، انه حزب الحرية ، معظم الناس هنا سيصوتون لحزب حيروت في الانتخابات القادمة » . وحزب حيروت (الحرية) هو ، كما نقرأ في الهامش الشارح ، حزب من أقصى اليمين يحركه بيجن (المسؤول عن مجزرة دير ياسين) الذي هو حاليا عضو في الحكومة الاسرائيلية .

ويضيف ج . ب . ، بعد هذا القسم من تقريره لعام ١٩٥٩ ، معلومات نقلها عن كتاب **مارك هيلل** Hillel ، **« اسرائيل في خطر سلام »** ، عن الموضوع نفسه : الخلاف بين اليهود السفارديم (الشرقيين) من جهة واليهود الاشكناز (الاوروبيين) أسياد السلطة . مارك هيلل صهيوني معتدل ، كتابه ذو فائدة وأهمية ، وهو كتاب حديث صدر بعد حرب ١٩٦٧ : «أزمة آذار ١٩٦٧ » ، هجرة دائمة من يهود اسرائيليين أصلهم من شمالي افريقيا نحو فرنسا ، بل وهجرة نحو المغرب وتونس ، و ، بعد حرب حزيران حادثة ضرب وجرح شابين من اليهود الشرقيين على أيد جمهور همجي تصور أنهما من الفدائيين او من العرب واستمر في عمليته رغم صياحهما « آني يهودي » (أنا يهودي) ...... ويخلص مارك هيلل الى القول مداعبا ساخرا : « لا يوجد بعد في اسرائيل عصبة نضال ضد العرقية وضد مناهضة الغوية goy وهذه ثغرة لعله ات من الضروري أن تسد » .
ـ الغوي goy هم غير اليهود ، الامم العادية ، الوثنيون في الايديولوجيا اليهودية السائدة . فاذا اكتشف عن عضو في مجلس بلدي أن احدى جدتيه كانت آرية ، اعتبر غير يهودي ، وفقد الجنسية الاسرائيلية ... و ج . ب . يعلق على كلام

هيلل : « هذه الامثلة القليلة تبين اي درجة الصهيونية تفضي في النهاية الى لا سامية (مناهضة اليهود) معكوسة والى تدخيل interiorisation للنازية وعنصريتها البيولوجية والثقافية .

« السلام اليهودي »

تحت هذا العنوان ، تنشر المجلة **رسالة من اسرائيلي** الى أحد ذويه (في فرنسا؟) . السؤال : السلام الدائم في الشرق الاوسط ، المصالحة العربية الاسرائيلية ، كيف الوصول اليهما . الجواب : البارحة فتحت السلطات الاسرائيلية أبواب أورشليم في الاتجاهين ، أنا ذهبت الى المدينة القديمة ، صافحت أيدي وصافحتني أيد ، « شالوم » ... سيارات عربية على الطرق اليهودية ، ... التعايش بين العرب واليهود في الاقليم « الفلسطيني » (بين مزدوجين) ، مقتطفات من خطاب وزير الخارجية آبا ايبان امام الامم المتحدة ومشاريع اسرائيل في التعاون الاقتصادي مع الدول العربية (مواصلات ، تنمية زراعية وصناعية ، اسرة اقتصادية مشتركة) . « ان مسألة التعايش بين اليهود والعرب في فلسطين ممكنة لولا وجود معضلتين أخريين : ١) المعضلة العربية ـ الاسرائيلية أي حقد عبد الناصر الذي **يعلن بلا انقطاع رغبته في ابادتنا والمصمم جيدا على عدم عقد** الصلح معنا ، **حقد السوريين الذين يرفضون كل عرض** صلح، الايديولوجيا العربيةالتوسعية التوحيدية pan-arabe

المعادية لمصلحة الشعوب العربية ذاتها . لكان باستطاعتنا ان نتدبر امرنا مع عرب فلسطين والاردن لولا تدخل الشعوب النائية مثل مصر ، الجزائر ، العراق . لكانت مشكلة اللاجئين العرب قد نالت حلها منذ زمن طويل ، باستعمار (توطين) مثمر لو لم يفعل القادة العرب البعيدون كل شيء لتجنب هذا الاعمار . ٢) معضلة الشرق الادنى ، اي معضلة الدول الكبرى التي لها مصلحة في خلق جو من القلاقل لتبقي حضورها » . . .

تعليق هيرتم :

كان يمكن ان ننشر بيانات صادرة عن حربيين تتحدث عن اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات الخ . . . الا انه بدا لنا اكثر اهمية ان نضع تحت نظر قرائنا رسالة شخصية ـ ليس عندنا اي شك في صدقها ـ تظهر آمال بعض الاسرائيليين ، عقب حرب الستة أيام ، حول اقامة سلم يهودي في الشرق الاوسط . بالنسبة لنا ، اللهجة المستخدمة تذكر بعض الشيء بآمال التآخي داخل جزائر فرنسية مجدّدة الآمال التي راودت كثيرا من اوروبيي الجزائر بعد ١٣ ايار ١٩٥٨ . نعلم ماذا حصل بعد ذلك في الجزائر وما يحصل اليوم في فلسطين حيث في نابلس ، وغزة ، وحتى في الناصرة (وهي اقليم محتل منذ ١٩٤٨ وسكانه العرب هم رسميا مواطنون اسرائيليون) السكان يجابهون بيد عارية بوليس يهود اسرائيل .

ما تحجبه هذه الايديولوجيا السلامية ، بينه آتجر Atger جيدا في هرمس Hermés (١) العدد الاول ، اسرائيل جزء من الاقتصاد الرأسمالي وفي هذا القدر تشارك في هذا « النهب للعالم الثالث » في النطاق العالمي .

« في اللحظة الآنية ، دورها الاقتصادي المحلي تحجبه مقاطعة البلدان العربية ، المقاطعة التي تقيم نوعا من جدار بين الاقتصادين ، ولكن في **حال الصلح** ، سيظهر هذا الدور ، ستقوم **تبادلات اقتصادية** ، ستوظف رساميل اسرائيلية في البلدان المجاورة ، الامر الذي سيقيم التبعية الاقتصادية من الاقل تطورا للاكثر تطورا ، سيكون بوسع اليد العاملة اجتياز الحدود للعمل كبروليتاريين في اسرائيل . الاستغلال يمكن ان يسير سيرا طبيعيا تحت غطاء العون والتعاون النيو كولونيالي» . (مقال الاقتصادي الاسرائيلي ميخايل شيفر Shefer الذي يختم العدد الخاص من مجلة « الازمنة الحديثة » (٢) بالغ الدلالة من هذه الناحية) . نفهم ان اسرائيل ترغب في السلام وتحتاج اليه . « الصراع بين اسرائيل والبلدان العربية هو احدى النقاط الساخنة في الصراع بين الامم البروليتارية والامم الناهبة . يمكن ان يحلل بوصفه فصلا من صراع الطبقات في المستوى الدولي . كل تعاون طبقي ، أيا كان الاسم الجديد الذي سيدعى به ، لن يكون سوى تصويف مخترع لابقاء سيطرة الطبقة المهيمنة اي سيطرة الامبريالي الغربي . السلام بين الناهب والمنهوب لا يمكن ان يكون سوى اكذوبة اخترعها المستغلون . لا يمكن ان يكون هناك سلام بين الامبريالية والثورة » (٣) .

شروح :

١) هرمس هو الاسم السابق لمجلة هيريتم . غيرت اسمها اثر دعوى قانونية نظرا لوجود مجلة اخرى تحمل اسمها السابق . صدر تحت الاسم السابق اربعة اعداد . اذن العدد الاول من هيريتم هو العدد الخامس ..

٢) العدد الخاص بالنزاع العربي الاسرائيلي ، الصادر عن مجلة

« الازمنة الحديثة » (مجلة جان بول سارتر) ، قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ . نصفه كتاب عرب ، نصفه كتاب يهود . انظر ، بالعربية ، « من الفكر الصهيوني المعاصر » ، ترجمة واصدار مركز الابحاث الفلسطيني ، مجلد كبير ومرجع ثمين .

٣) ترجمت Paix ب سلام (سلم) وصلح .

هيريتم ، في عددها الثاني ، الخاص بجريدة « لوموند » ، ذكرت بحق ان اللغة العربية بخلاف الفرنسية تقول ، تميز ، « سلام » و « صلح » . لا صلح مع اسرائيل ، و ، سلام في الشرق الاوسط ، سلام قائم على العدل الخ . هذا جيد ، صحيح . لا صلح مع اسرائيل وسلام ـ سلام ـ سلام في الشرق الاوسط .

كان يمكن اذن ان اقول في ترجمة القسم الاخير من هذا التعليق «صلح» بدلا من « سلام » . لم أفعل : فالنص فرنسي ، والمسألة مسألة محتوى ، مسألة علاقة . ان اية كلمة لا قيمة لها الا في السياق ، وان اية كلمة (وعبارة وجملة واكثر الخ) لا تستنفد المحتوى ، واذا لم تع ذلك ولم تأخذ قياسه في الاساس فان الصواب يتحول الى خطأ والحق البديهي الى باطل الاباطيل ★ .

مثلا ، اقول وأؤكد : لا صلح او لا سلام مع الامبريالية ، بين الثورة والامبريالية . هذا لا يعني اننا من سنة ١٩١٧ الى سنة ٢٠١٧ لا نفعل سوى « الثورة » و « اللاصلح » و « اللاسلام » و « الحرب » ، بدون « صلح » و « سلام » و « لاحرب » .

رجوعا الى قضية النطق ـ اللغة ـ المنطق ـ الاساس ، نحن هنا مهددون بخطرين ، بخطأين ، متقابلين ، (ظاهرين هنا تماما) ، ينبعان من أساس لا جدلي واحد .

★ من جهة اخرى ، كلمة « صلح » في اللغة العربية والاستعمال العربي ليست كلمة رجيمة . بالعكس . صلح ، صالح ، صلاح . الصلح سيد الاحكام . الخ .

نقــد فيلم « جدار في القــدس »
الحركة ضد العرقية المناهضة للعــرب

احدى ملازم هيريتم ـ ١ تحـــوي : ١) كشف فيلـم « جدار في اورشليم » ، بوصفــه « مساهمــة » في العرقيــة المناهضة للعرب في فرنسا، كشف بقلم « الحركة ضد العرقية المناهضة للعرب » وهي اختزالا M.R.A.A. ٢) مقــال جيزيل بلوك Bloch « الفرنسيون اليهــود ... بين التمثل والصهيونية » . ٣) الحركة ضد العرقية المناهضة للعـــرب تقدم نفسها ، أهدافها ، عملها . ٤) مقال بيـــار بيرمـــان Pierre Bierman « تبديد سحر الكلم » .

نقد فيلم « جدار في القدس » عمل ممتع . عملي تمامـــا مسلح بعقل نظري جيد ، يبعدنا عن الموجود عندنا باسم نقد سينمائي ، (لا ـ نقـــد سينمائـــي) ، ونقـــد سينمائـــي « مسيس » ! . والمجلة تعلمنا ان هذا نقد أول ، وان الحركة كاتبة المقال ستقيم مع منظمات اخرى لقاء شعبيا مــن اجــل اجراء التشريح الكامل !

حسب الفيلم : فوق فلسطين تعاقب فاتحون عديدون، أحدهم العرب . مثل الانكليــز . « ويصير نضال المستعمرين اليهود نضال تحرر قومي ضد الانكليز . وجود الفلسطينيين لا يذكر او انه يذكر حين هم يثورون ، ثورة دبرها الاجانب . العرب هم كسالى متأخرون وقدريــون او هم فاشستيون او متعصبون . تراث تسامح الاسلام ، صانــع الفيلم يجعلــه نتيجة ادارة رخوة للاتراك » . صانع الفيلم ؟ كيسل kessel روسيف ، كنوبلر الخ ... الصانع واحد : الصهيونية .

« يوضح الفيلم ان اليهود والعرب على قدم واحد ، كل أمام دينه : « لليهود وعد التوراة ، للعرب وعـد القرآن » . أليس هذا حلوا ؟ ما وعد القرآن ؟ أليس العـرب في فلسطين قبل القرآن بكثير ، نحن نتهم مؤلف الفيلـم بتعهير التاريخ . التقنية المستخدمة اسمها ألعاب الخفه ، وهـي ميدان صار فيه الصهاينة أساتذة » .

ولكن قد يردّ صاحب الفيلم : « ألم نكن موضوعيين ، لقد ذكرنا مجزرة **دير ياسين »** .... ولكن يـا ساده اقرؤوا جريدة **هاآرتس** الاسرائيلية عدد ١١/٤/١٩٥٧ : سفاحو دير ياسين عوملوا كأبطال في اسرائيل . حين دخلوا الـى قاعـه المحكمة كانوا يضحكون ، بعد قليل من صدور أحكام بحـق بعضهم كان الجميع على رأس عملهم في وظائفهم ، مـع زيادة ٥٠٪ على مرتباتهم الخ ، ولكن السادة مؤلفي الفيلم لـم يروا ان هذه الايضاحات جديرة بالذكر .

حذف هنا واضافة هناك . يقول الفيلم أنه « اثناء حرب ١٩٤٨ غادر ألوف ومئات الالوف من العرب بيوتهم ، تدفعهم الى ذلك الاذاعات العربية التي كانت تعدهم برجوع مجيـد بعد النصر » . نحن نطلب من صانع الفيلم ان يقدّم الاثبات ! الاذاعة الاسرائيلية كانت تصدر الاوامـر للعرب بـأن يهربوا أمام تقدم جيـوش « التحريـر » الاسرائيلية . ايرسكايـن تشايلدز في مجلة سبكتاتور (لندن) كشف استنادا (الـى نشرة استماع الاذاعة البريطانية) أنه ما من اذاعة عربية دعت العرب الى مغادرة بيوتهم (انظر مقاله « الخروج الآخـر » ، المجلة المذكورة ، ١٢/٥/١٩٦١ ، مذكور في عدد مجلة **الازمنة الحديثة** رقم ٢٥٣ / مكـرر ، الخاص بالنـزاع العربـي الاسرائيلي) .

كذلك قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ : الفيلم يقدم « خطاب عبد الناصر في شكل خطاب تحريض على التعصب والحقد . .

هذا لعب جيد . ولكن ترجمة خطــاب ناصر تبين ان رئيس الجمهورية العربية المتحدة لــم يكن يحدث جمهوره الا عــن قضايا البلد الداخلية ، عن تأميم قنــاة السويس . لماذا لم يترجم الخطاب في الفيلم ؟ لان صانعه على الارجح كان يفكــر أن الفيلم لن يشاهده سوى العرب !؟ اسمحوا لنــا بأن نشك في ذلك ! » . . .

ما هي الـ ح. ع. م. ع. ؟

تحت هذا العنوان ، تقــدّم **« الحركة ضد العرقيــة المناهضة للعربي »** نفسها . ننقل حرفيا مع بعض الاختزال .

انها حركة أسسها شغيلة (عمال ، مثقفون ، معلمون ، طلاّب) . فالعرقية المناهضة للعربي هي العرقية الاسوأ التي يجب مكافحتها . يبــدو للناس « الطيبين الاوادم » غريبا ، غير طبيعي ، بل غير صحي ، أن يدافع عن العرب ضدّ المظالم النازلة بهم والعرقية التي هم ضحاياها .

لئن قرّرنا أن نتخــذ كموضوع لنضالنــا لا العرقية ــ وهذه كلمة مجرّدة ــ بل عرقية خاصة ، فلكــي بالنضال ضد الاشكال المحدّدة لعرقيــة محددة ، نكافح ضد كــل العرقيات ، بجعلنا نضالنا نموذج نضال ضد العرقية . (۱)

.... في العرقية ، الضحايا تتغير ولكــن المسؤولين لا يتغيرون . انهم الايديولوجيون الساسة الذين يريدون حماية البنى الاقتصادية المتعفنــة وتناقضاتها . الـ ح. ع. م. ع. تناضل ضد « العرقيــة الاقتصادية » التــي تصيب الشغيلة الاجانب في فرنسا وبشكل أخصّ الشغيلة العــرب وتكافــح سموم الصحافة المكتوبة والجهرية . . .

الحركة تذكر بأن كفاحها لا يمكن الا" ان يمر" بالنضال ضد الصهيونية ، الايديولوجيا السياسية الامبريالية العرقية وخالقة عرقية ، وضد المدافعين عنها . (في نشرتها الاولى ، الحركة أوضحت ان كل صهيوني ليس يهوديا وكل يهودي ليس صهيونيا) .

الحركة نشأت من حركة أيار (١٩٦٨) . منذ تأسيسها في ١٩٦٨/١١/٢٠ في قاعة الموتواليته أمام ٣٠٠ شخص ، حذ"رت كل شخص يريد ان يجعل من نضال هذه الحركة منبرا من أجل العرقية المناهضة لليهودي ، موضحة أنها ستناضل ضد كل العرقيات ، بعد اختبار وشرح الادلة ، وأنها ، فيما اذا عادت العرقية المناهضة لليهودي ، في فرنسا ، عادت عنيفة ، ستكون أول من سيناضل ضد"ها .

أردنا ان تكون حركتنا مجهولة الاسماء في الانطلاق . كان بامكاننا ان ندعو شخصيات لاطلاق الحركة . ولكن في هذه الحال كان يخشى ان نكتفي بألعاب نارية انسانية وعابرة. نريد أن يحكم علينا بموجب عملنا وليس بموجب الاصل الاجتماعي الثقافي لمسؤولي الانطلاق ...

... لسنا مشروع تبرير لسياسة الدول العربية ولا مشروع اتهام لسياسة اسرائيل . نتحد"ث عن سياسة الدول العربية او سياسة اسرائيل بالقدر الذي فيه تؤلف الصورة المعطاة عنهما في فرنسا سببا من أسباب العرقية المناهضة للعرب .

نعتبر أن أحد أسباب العنصرية هو التشويه الطوعي الارادي للوقائع الحضارية وأن كتابة الوقائع الثقافية في ضوئها الحقيقي هي وسيلة لاعادة الامور الى نصابها .

حركتنا أنشأت ثلاث مجموعات شغل ــ فعل تنعقد

اسبوعيا : ١) شغيلة أجانب ★ ٢) صحافة ونـزع التسميم ٣) فلسطين .

... المجموعة الثالثة هدفهـا دراسة وتطبيق أفضل وسائل التعريف بالنضال العادل للشعب الفلسطيني الـذي سيكون انتصاره (تدمير دولـة اسرائيل واعـادة دولـة فلسطينية علمانية ديمقراطية اشتراكية فيها سيتمتع اليهود والمسلمون والمسيحيون والملحدون بحقـوق متساوية) نصرا لقوى التقدم البشري ضد القـوى الاضطهادية للامبرياليـة العالمية .

بيـان ★

من أجل تدميرها او شل أعمالهـا ، يريـد البعض ان يجعلوا من الحركة ضد العرقية المناهضة للعرب حركة حسب رغباتهم . لذا فان ح. ع. م. ع. تحرص على أن توضح من جديد أهدافها من جهة ومن جهة أخـرى موقفها ازاء النزاع الفلسطيني ــ الصهيوني .

ان ح. ع. م. ع. ، حركة مناهضة للعرقية ، تؤكد أن العرقية هي نتاج بنية اجتماعية اكثر منها بعد للانسان . اذ يعتبرون أن العرقية لوثة للانسانيـة فهم يرضون بالتضحية بقسم من « راحتهم » في النضال ضد هـذه اللوثة الخيالية لكي يفبركوا لانفسهم وجدانا طيبا .

★ وعددهم في فرنسا « ثلاثة ملايين على الاقل » .

★ البيان الكامل الذي لم تنشر جريدة « لومونـد » سوى الفقـرات الاربع الاخيرة منه . (لوموند ١٩٦٩/٢/٢٧) . [انقل هـذا البيان بنصه الكامل . ا. م.]

ان ح. ع. م. ع. تناضل ضد كـل العنصريات وتعتبر نضالها ضد العنصرية المناهضة للعربي نموذج نضال مناهض للعنصرية . هذه الحركة تحذر الذين يريدون ان يروها تصير منبرا للعنصرية المناهضة لليهودي . فهي تعي وعيـا بالغـا وزائدا الاخطاء التي وقعت فيها بعض الحركـات المناهضة للعرقية مما يجعلها لا تسمح لنفسها بأن ترتكبها هي بدورها. (عديدون هم الذين اذ يناضلون ضد العرقية المناهضة لليهود ـ المسماة خطأ لا سامية او مناهضة السامية Antisé-mitisme ـ ، يجعلون هذا النضال نضالا عرقيـا مناهضـا للعرب .) . (٢) .

ان ح . ع . م . ع . مصممة عـلى النضال ضـد المسؤولين الحقيقيين عن العنصرية ، لذا فهي تناضـل ضـد بنى الدول الرأسمالية او شبه ـ الاشتراكية [الاشتراكية ـ الزائفة] . هذه الحركة تـدرج نضالهـا في النضال ضـد الامبريالية والرأسمالية والاستعمار وتجد نفسها متضامنـة مع كل الذين يناضلون ضد هـذه الاشكال لاستغلال الانسان من قبل الانسان . ان ح . ع . م . ع . تفكر أيضا ان ثـورة البنى يجب ان ترافقها ثورة النطق ـ اللغة وهـذه الحركـة تناضل ضد كل شخص او اويديولوجيا تعمل لتبريـر تفوق عرق او ثقافة او شعب او ديـن وتستخدم لهـذا الغرض البلبلة والغموض والخلط في الخطاب ، الخلط الذي هو تقنية عزيزة على قلب العرقيين .

بنتيجة هـذه الايضاحات ، تناضل ح . ع . م . ع . ضد الصهيونية ، وهي ايديولوجيـا عرقية وخـالقة عـرقية بارادتها الاستعمارية والامبريالية .

وبنتيجة هذه الايضاحات أيضا تجد ح . ع . م . ع . نفسها متضامنة مـع النضال الثـوري والشعبـي للشعب الفلسطيني ، لان نضاله نضال مناهض للامبريالية والعرقية .

أن ح ع م غ متضامنة مـع جميع نضالات تحـرر الشعوب المضطهدة ، سواء كان الاضطهاد خارجيا في شكل الامبريالية او الاستعمار (امبريالية اقتصادية وسياسية وثقافيه) او داخليا في شكل الرجعية التي تضطهد غالبية الشعب بواسطة أقلية لها سلطة سياسية ــ اقتصادية مطلقة .

شروح :

هذا الخط الصائب العميق لا يحتاج الى تعليق . ولكن لا بأس مـن وسم نقطتين ، اصابتين :

١) « مبدأ الانطلاق » : نضال ضد عرقية خاصة محددة ، هي العرقية الاسوأ والاكثر وجودا في فرنسا .

٢) ادانة الذين حولوا الدفاع عن اليهود ضـد العرقية المناهضة لليهود (والمدعوة لا سامية او مناهضة السامية) الـى مناهضة للعرب في فرنسا وخارجها . الاضبارة واسعة : اليسار الفرنسي وأحزابه الكبرى ، عصبة حقوق الانسان ، الحركة ضد العرقية واللاسامية ومن أجل السلام ، هيئات ــ أحلاف انسانية برجوازية ــ اشتراكية ــ شيوعية ــ ماسونية ، بول ريفه Rivet ، جاك نانته الخ ، نوفل اوبسرفاتور ، اكسبرس ، ... وهلمجرا . مذهب « مناهضة مناهضة اليهود » غطى بضائع عديدة ، وواحدة في الجوهر : صهيونية متنوعة الاشكال ومتفاوتة الدرجة .

١٩٦٩/١/١

بيـــان

(**فتح** اللجنة المركزية) (١)

١ ــ ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني **فتح** هي تعبير الشعب الفلسطيني وارادته في تحرير أرضه مـن الاستعمار الصهيوني كي يسترجع هويته الوطنية .

٢ ــ ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني **فتح** لا تناضل

ضد اليهود من حيث هم جماعة اثنية ودينيــة . تناضل ضد اسرائيل ، تعبير استعمار مرتكز عــلى منظومــة ثيوقراطية عرقية وتوسعية ، تعبير الصهيونية والاستعمار .

٣ ــ ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني **فتح** ترفض كل حل لا يحسب حساب وجود الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره .

٤ ــ ان حركة التحرر الوطنــي الفلسطيني **فتح** ترفض بشكل قاطع قرار مجلس الامن ١٩٦٧/١١/٢٢ ومهمــة يارنغ الناجمة عنه . ان هذا القرار يتجاهل الحقــوق الوطنيــة للشعب الفلسطيني . يلزم الصمت عن وجود هذا الشعب . يسمي نفسه سلميا يجهل هــذا المعطــى الاساسي سيؤول بالتالي الى فشل محتوم . في اي حــال ، ان قبــول القــرار السياسي المزعوم من قبل طرف أيا كان لا يربط بتاتا الشعب الفلسطيني المصمم على أن يتابع بلا هوادة نضاله ضد الاحتلال الاجنبي والاستعمار الصهيوني .

٥ ــ ان حركة التحرر الوطني الفلسطيني فتح تعلن ان الهدف النهائي لنضالها هو اعادة الدولة الفلسطينية المستقلة والديمقراطية التي سيتمتع كل مواطنيها ، أيــا كان مذهبهم الديني ، بحقوق متساوية .

٦ ــ بما ان فلسطين جزء من الوطن العربي ، فان حركة التحرر الوطني الفلسطيني **فتح** ستعمل لكي تساهم الدولــة الفلسطينية بنشاط في بناء مجتمع عربي تقدّمي وموحد .

٧ ــ ان نضال الشعب الفلسطيني مثــل نضال الشعب الفيتنامي والشعوب الاخرى في آسيا وافريقيــا واميركــا اللاتينية هو جزء من السيرورة التاريخية لتحــرر الشعوب المضطهدة ضد الاستعمار والامبريالية . (٢)

شروح وملاحظات .

١) نشرت هيريتم هـذا البيان (فتح : النقاط السبع) في ورقة مستقلة ضمن هذه الاضبارة الفلسطينية المتنوعه . انقله عنها .

المقاومة الفلسطينية ثبتت عالميا مبدأ « فلسطين » ضـد « اسرائيل » ، ضربت التعادل بـين المفهومـين ــ الاسمين ــ العلمين ، ضربت الالتباس الصهيوني الذي تضافرت لصالحه عوامل وجهود مختلفه ، ثبتت او اقامت عالميا هويـة فلسطين (في هذه العلاقة العدائية ، بهذه العلاقة التناقضية التناحرية الطاردة ، التي بدونها لا هوية) .

هذا البيان نقطة علام . وفي فرنسا وثيقـة ، مستند ، شاهد .

٢) ملاحظاتي الشخصية :

آ ــ هذه النقاط السبع دفة (بلا تفورم) مقبولـة بـل جيدة . لها مزية البساطة والاقتضاب . وقد لعبت دورهـا التعبوي ، التنظيمي ، الاعلامي . .

ب ــ هذه النقاط ولا سيما النقطة ٤ والنقطة ٣ لا تبرر الموقف الذي اتخذ في اواخر تمـوز ١٩٧٠ ، خـط صيف ١٩٧٠ . أرجو القارىء ان يقرأها بتأن ودقة . في رأيي ذلـك الموقف والخط يخالف هذه النقاط ٣ ، ٤ .

ج ــ هذه دفة ، وليست برنامجا ، برنامج حـد أقصى وبرنامج حد ادنى ، منظورا تاريخيا وستراتيجية وتاكتيكـا الخ . ربما يصح القول انها فكرة برنامج الخ . ولكن هـذه الفكرة غير صالحة كبذرة تبسط بدون تعديلات جوهرية . ما أوردته في ب قرينة (وما حدث في أواخـر تموز ١٩٧٠ ليس ابن اللحظة !) .

د ــ لا أعتقد (بخلاف النقطة ٦) انـه ستقـوم ، في

مستقبل قريب او بعيد ، دولة فلسطينية واحدة تساهم في بناء مجتمع عربي تقدمي وموحد ، لا أعتقد أن تحرير فلسطين سيسبق الوحدة العربية ، أعتقد العكس . بالطبع لا أعتقد أن الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة (١٩٧٣) هي الاخيرة ولا قبل الاخيرة . . .

لعل هذه النقطة السادسة تقبل تفسيرا آخر غير فهمي لها . قد لا يكون « **بناء** المجتمع العربي التقدمي الموحد » هو الوحدة العربية الدولتية التي هي شرط أساسي أولي من شروط تحرير فلسطين أي زوال دولة اسرائيل . ولكن على اي حال ، يجب ، في البرنامج ، او ربما في دفة من سبع نقاط ، يجب وضع حد لذهنية او روحية او سيكولوجية او ايديولوجية قوامها أن النصر وشيك ، ان تحرير فلسطين هدف قريب ، انه ليس ثمة مراحل ، درجات ، اي هذا الامر المحمول في شعار « ثورة حتى النصر » الذي لا يستطيع ان يكون بديلا عن الخط . حرفيا ، هذا يصح على « الانتفاضة المسلحة » ، معركة يوم او يومين . (التراجع موت الانتفاضة المسلحة . اما الثورة فتموت ايضا باللاتراجع) .

هـ ــ قلت : هذا البيان نقطة علاّم . المقاومة الفلسطينية بعثت ، ثبتت ، فرضت ، فلسطين **ضد** اسرائيل ، اي **الهوية** فلسطين . قصدت ، بشكل خاص ، حركة التحرر الوطني الفلسطيني فتح ، **فتح الفلسطينية** . بقدر ما الفلسطينوية باطل الفلسطينية حق ، صواب ، تاريخي ، ستراتيجي ، تاكتيكي .

أعارض الركب على فلسطين ، الركب العربي ، ولا سيما اليساري و « الماركسي » (الذي تجاوز الركب السابق) ، الذي تجلى ــ مثلا ــ في حذف العرب ، العلاقات السياسية في الساحة العربية ، أخذ الاقوال على أنها الافعال ، لم يطبق مبدأ « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما **لا** تفعلون » ،

جعل أقواله (= عمله) هادفة بالعكس ، جعل « فلسطين » ه ونفسه أداة في يـد بعض القـوى العربية وبعض القـوى « التقدمية » العربية .

أعارض المنهج الذي أراد « تحرير فلسطين » ب « حرب التحرير الشعبية » الفلسطربية (الفلسطينية ـ العربية) ، بدون الدول والجيوش ، بدون واقـع أن الدولتين العربيتين الاهم محتلتان ، بدون وسم هذه الحقيقـة البالغـة الخطورة والحيوية ، بدون سلاح البترول العربي ، بـدون السياسة العربية والدولية ، اي الذي ــ عمليا ــ طبق بنشاط سياسة مضادة لهذا الخط البديهي . بعـد كارثة حزيران ، كتبت جريدة « الحرية » تقـول : الوحـدة العربية ، البترول العربي ، . . . ، ولكنها سرعان ما « طوت » هـذا الخط ولفت الواقع في دخان ماركسوياتها .

أدين توسيع « فلسطين » ، سينائيا وشرق ــ أردنيـا وعربيا . . . في ايام ثورة ــ مجزرة ــ حرب أهلية ايلول ١٩٧٠ كان مذيع القيادة الفلسطينية يصدر أوامر الى « مقاتلينا في سيناء » (حرفيا) بين جملة مقاتلينـا في فلسطين الواسعة . (أوامر شكلية بالطبع ، ولكن الشكل شكل لمحتوى ، تلـك اقوال ــ خطابات ولكن الاقوال أفعال بين البشر) .

أعارض الخلط . وألاحظ :

عقب وفاة عبد الناصر ، قالت غولـدا مايـر لمجلـة « اكسبرس » انها لا تقبل التفاوض مـع « المخربين » ، ان المقاومة ليست ممثلة للفلسطينيين وأن شعب فلسطين ليس له ممثلون ، واضافت (ختمت المقابلة بهـذا الكـلام) : « الفلسطينيون عندهم وطن ، فهم اكثرية السكان في الاردن ، ولا أحد يمكن ان يمنعهم من ان يقرروا مصيرهم في وطنهم كما يريدون ، مع حسين او بدونه » . ـ وهذه « **الاردن** » **يمكن** ان تكون شرقي الاردن او المملكة الاردنية الهاشمية ــ **الضفتين**

او بالاحرى والاصح شيئا ما بين بين ، شرقي الاردن + قطعة من الضفة الغربية المحتلة سنة ١٩٦٧ ...

هذا أيضا ما قاله سفير اسرائيل في باريس بعد ١٩٧٠ لمجلة « اكسبرس » . على حد قوله : فعلا ثمة مكان لدولتين ، يهودية وعربية ، في فلسطين ، فلسطين هي البلاد الممتدة من البحر المتوسط غربا حتى حدود الكويت شرقا ، الاستعمار الانكليزي (الباغي المجرم الذي يحب التجزئة) هو الذي أوجد شرقي ــ الاردن او الاردن الخ .

« نوفل اوبسرفاتور » وآخرون على هذا الخط : مع « فلسطين » ضد « الاردن » ، ومع اسرائيل ضد فسلطين والعرب ...

هنا أيضا أثمن العمل التاريخي لفتح : « فلسطين » ضد « اسرائيل » ، هوية حقيقية ، قوام كيان وهوية واستقلالية فلسطين .

و ــ قد يعتبر البعض هذه الملاحظة (او هذه الملاحظات) نافلة ، فات أوانها ، بدليل تصريحات أساسية ادلى بها قادة تاريخيون من فتح ورئيس ج. ش. د. ت. ف. عقب حرب تشرين (١٩٧٣) منشورة في جريدة « لوموند » و « لوموند ديبلوماتيك » . وقد يعتبر البعض المسألة متجاوزة فكل حالة تختلف عن الحالة السابقة الخ . في رأيي هناك **ثابت** والا انتقلنا من الجدل المادي الى جدل الهواء (وأظلم الهواء ، فالهواء مادة) . لا بأس اذن من وقفة قصيرة .

أقرأ في جريدة « فتح » ٢٧ تشرين اول ١٩٧١ ، ص ٣ ، **« الحقائق الاساسية التي أكدها قتال الايام الاخيرة » :**

« هذه الافتتاحية مهداة الى الابطال الذين يصنعون ملاحم النصر فوق ارض فلسطين [....] الى الجماهير الغاضبة في الاردن [....] وهي مهداة ايضا الى الذين بدأوا يعزفون الالحان الجنائزية لتأبين الثورة ويدعون الى « اقامة الإحتفال

المهيب الذي يليق بها ... « احتفال الدفن » والى الذين ينظرون لفشل الثورة ولاسباب نهايتها ويفلسفون التاريخ والاهداف من غرفهم المكيفة » . – بما أن المعروف عني أنني أفلسف ... من غرفة غير مكيفة (لسوء حظي !) لا من مكتب او مقهى مكيف (لحسن حظي !) فقد لا أكون المقصود . على كل حال ، شخصيا دعوت وادعو الى اقامة الاحتفال المهيب ، احتفال الدفن ، لشعار « حرب التحرير الشعبية » ، كي تعيش المقاومة الفلسطينية مئة سنة وكي تنتصر . وفي حرب تشرين لم أسمع هذا الشعار . الاذاعات صارت رديفة لحرب الجيوش النظامية الدولتية ، والشعب هلل وكبر .

واقرأ في عدد ١ ايلول ١٩٧١ : « والذين ينظرون اليوم لانتهاء الثورة ويدعون الى اقامة الاحتفال المهيب الذي يليق بها : احتفال الدفن . هؤلاء لا يعرفون جدلية هذا الشعب وهذه الثورة . هؤلاء لا يعرفون – ربما هم لا يريدون ان يعرفوا – بأن الشعب الفلسطيني هو شعب صاحب قضية وله مشكلة لا تحلّ الا بالتحرير الكامل » . – وأنا ، يا أخ ، وجهة نظري ان التحرير الكامل هو القضية والهدف ، وليس الوسيلة . أنت ، في أحسن حال ، تقول : التحرير الكامل يتحقق بالتحرير الكامل . تعطينا مثالا فذا عن بديهية توتولوجية او حقيقة كبيرة وعظيمة تتحول الى باطل الاباطيل ، على جناح منطق الهوية الميتافيزي ... . « هذه الحقيقة قدّم شعبنا الصغير من أجلها عشرات الالوف من الضحايا عبر اكثر من خمسين سنة من النضال والتي مثلت ضحايا ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ حلقة من سلسلة هذه التضحيات الطويلة » . – لو قرأت ، يا أخ ، الياس كما هو وليس كما تتصوره (ولا أفهم لماذا تتصوره) ، لرأيت انني بالضبط رفعت لواء شهداء ونضال نيف وخمسين سنة من النضال في معارضة بعض الذين عمليا افتروا على شعب فلسطين ،

شوهوا تاريخ نضاله قبل « ظهور » هم .

ولكن عنوان المقال يقول : « ٣ قضايا ... تحقيقها كفيل بخروج الثورة من مأزقها الراهن » ، والاولى هي « **خط سياسي واضح ومحدّد** وقادر على الاجابة على كل الاسئلة المطروحة » ، والبند **الاول** في هذه القضية الاولى هو « **تحديد العلاقة مع الانظمة العربية** وتوضيحها للجماهير او التنظيم لكليهما معا » . ـ يسرني ان كاتب المقال قد قرأ كتاباتي . ليته تعامل معها بدقة . لم أدّع يوما ان « كل ما كتبت » صحيح لا يأتيه الباطل الخ . ولكنني أزعم بقوة ان كل ما كتبته صحيح في العلاقة ، في السياق ، في المعارضة ، في النسبة الى هدف الضرب . هو صحيح وحق وما أعارضه تحديدا هو خطأ ، باطل . هكذا ، وليس على غير هكذا ، يكون الحق ، الصواب ، الاصابة . غير هكذا عمومية ، حق كبير يتحوّل فورا الى باطل كبير ، يستوعب في العدوّ ومن قبله . وأزعم أيضا أن حديثي عن العلاقة مع الانظمة والجماهير الخ هو أصوب من كلامك ، هو صواب ضارب ، في السياق .

وفي ٢٥ آب ١٩٧١ ، مقال أبو اياد بعنوان : « **أزمة الثورة الفلسطينية والاختيار الصعب** » يقول « المطلوب الآن حل ثوري ينسف كل شيء سلبي دون خوف ودون تردّد » ، « **خط** سياسي واضح **يحدّد مهام المرحلة وشعارات المرحلة** » ... ، « وفي رأينا انه ليس امامنا الا اختياران : **اما** الاستمرار كما نحن وهو الاستمرار نحو الهاوية والسقوط **او** الاتجاه الى الحل الثوري .. الحل الجذري الذي ينسف كل شيء سلبي ليبني البناء الجديد دون خوف ودون تردّد ... وعلينا ان نتذكر ونحن نختار ان التاريخ لا يرحم وان الجماهير لا تنسى ولا تغفر لمن يحتقرها ويحتقر ارادتها » .

رغم ان المقالات الآنفة (وهي تالية زمنيا) انتكاس عن هذا الكلام لابو اياد واختلاط ونصف لفلفة ، فان ما قيل بقوة

بعد حرب تشرين ١٩٧٣ كان تأكيدا لـــه في معارضة جذرية وحادة مع الاتجاه الذهني السيكولوجي الآخــر الباطــل . في هذا الاتجاه الباطل ، كان القبول بما ليس تحرير فلسطين من البحر الى النهر ضياعا ونهاية وخيانـــة ، صار العكس هــو الضياع والنهاية والخيانة ، والتاريخ لا يغفر ، وابناؤنا لــن يغفروا .

ليست القضية هنا الحكم علــى هــذه الحالة العيانية المفردة (دوما) او تلك . بــل هــي اولا وأساسا خــلاف بين طريقتين في التفكير ، حسم **هذه** النقطــة : ان الاعتقاد بأننــا سائرون خلال ٣ سنوات او خمسين سنة نحـــو « تحريــر فلسطين » وان بين حالنا وتلـــك الحال المستهدفة لا يوجد سوى العدم ، هـــذا الاعتقاد عـــدم ! خط سياسي واضح ومحدّد ، مرحلة ، شعارات المرحلة ، كــل الامور الصحيحة الواردة في المقالات الاخرى أيضا = نضال ضد العدم ، محاولة خروج من العدم ، ادراك او بداية ادراك أن السديم = عدم ، وأن هذه المسألة (مسألة « الشكل ») ليست في « التنظيم » مقطوعا ومجرّدا بل هي أولا وأساسا في **الوعي** .

جيزيل بلوك

الفرنسيون اليهود ...
... بين التمثـل والصهيونية

عن العرقية :

مع أنني أشاطر ، بشكل عام ، وجهة نظـر جان بوبيرو ، فانني على خلاف مع جملته « ضد كل العرقيات حماقة مثل ضد كل العنفات les violences » . ليس لانني « اناضل» في « الحركة ضد العرقية واللاسامية ومـن أجـل السلام » التي أعرف نواقصها وعيوبها . ليس لان عندي ردود الافعال الجلدية التي عند هؤلاء القراء اليهـود لجريـدة « الكانار أنشينه » (الجريدة الكئيبة) الذين كانوا يصرخون ويهوّلون باللاسامية (١) ، اثر كشف وفضح تشارك حكومـة بومبيدو وبنك روتشيلد . ولكن ألا يجب البدء بتعريف العرقية ؟ نؤكد ان الموقف العام من العمال البرتغاليين عرقـي (٢) ، لمـاذا لا نضع في السؤال الازدراء الـذي ضحيته مجموع الطبقـة العاملة ؟ أليس ثمة عرقية قوموية كـما هنـاك عرقية اثنيـة وبالطبع عرقية طبقية ؟ نحن حين نلعـن البرجوازيـة نحلـل موقفنا الذي بذلك لا ينحط الـى عرقية . الاسرائيليون هم ربما مثل البرجوازيين المحشوكين ★ .

أجل ان ما يدعى عرقية ليس قابلا لأن يقلص تماما الى **صراع الطبقات** ولكنه أليس دائما مرتبطا بـه بشكل مباشر او

★ رجوعا الى مقال جان بوبيرو ، أجد أن الصبي الفلسطيني معذور في صرخه « الموت لليهود » ولكن المرأة العاملة في منظمة الـ CIMADE او الاخت الراهبة الرمزية على حق في تخطئته .

غير مباشر ؟ اذا أخذنا مثال عرقية « البيض الصغار » والمتمثلين (حاليا ، العمال الانكليز مثلا) ، اليست نتاج سلسلة من التصويفات او الخداعات المتنوعة التي عنها الطبقات المسيطرة مسؤولة ؟

بمفردات أخرى ، مذ نؤيد أنّ العرقية ليست فطرية ، لا تؤلف مركبة في طبيعة بشرية مزعومة ، فأية بنية (او قوى، أو شيء آخر يحتاج الى اسم آخر) تشكلها ؟ ان « الحركة ضد العنصرية واللاسامية ومن أجل السلام » البلجيكية اسمها « الحركة ضد العرقية واللاسامية **وبغض الاجانب** ». منذ بعض الوقت ، عرض فرع محلي من حركتنا [الفرنسية] فيلم « أحقاد » تأليف لوسي Losey . أية علاقة لهذا مع العرقية ما دام موضوع الفيلم رجالا بيضا .

اللاسامية وبغض الاجنبي :

ربما ليست اللاسامية عرقية حقيقية بل بالاحرى شكل من بغض الاجنبي . وبالطبع التحسس ضد أناس كانوا يريدون أنفسهم « غير ما الآخرون » . من طفولتي أتذكر اعتزاز أهلي بكونهم فرنسيين وازدراءهم لـ « البولاك » Polaks في نفس المدينة [اي « البولونيين » ولكن الكلمة تحقيرية] ، ولجميع القادمين الجدد زمن النازية .

والدي ، الذي كان طفلا أيام قضية دريفوس (٣) ، كثيرا ما قيل له آنذاك « يهودي قذر » . بيد ان شغله الاول كان أن لا يخلط مع اليهود غير الفرنسيين او المجنسين حديثا . في ألمانيا كان نفس الموقف موجودا . أسيرا اثناء حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، أصيب بوجع أسنان . لا ادري اية سلطة اعتقدت انها تحسن صنعا بتسليمه الى طبيب أسنان يهودي ألماني . . . ولكن هذا صرفه .

مثل كثير من اليهود في ذلك الوقت كان والدي يرى في اليسار حاجزا فعالا ضد اللاسامية ، كان يثور غضبا أمام اليهود « صلبان النار » (٤) . حين أصبحت اللاسامية مهددة و فاعلة نشيطة ، من هتلر الى بيتان ، أحنى رأسه ، جعل نفسه صغير الحجم ، ناسيا بشكل ارادي كثيرا او قليلا الضحايا اليهود خارج فرنسا وساعيا الى ان ينسى . وأنا نوعا ما سلكت نفس السلوك .

في وسطي العائلي ، قيل لي دائما : « لئن كانت اللاسامية موجودة فهذا الى حد كبير بسبب اليهود أنفسهم ، **فهم يجعلون أنفسهم يلحظون كثيرا ، يتلاقون ويتعاضدون** (زبائن ، أطباء ، الخ) (تهمتان مختلفتان) . حين كنت طفلة ، كنت دائما اليهودية الوحيدة في صفي ولكننا كنا نعلم ان اليهود ، في مدن اخرى فيها طائفة يهودية ذات شأن ، كانوا يعاشرون بعضهم بعضا (بطبقات او مراتب اجتماعية ، طبعا !) وما كانوا يرون أحدا من الـ « غوي » goy [غير اليهود ، سائر البشر ، « الامم »] . هل يمكن القول ان هذه الحالة تاريخيا قد خلقتها اللاسامية ؟ على اي حال كان يجري تحليلها في مقولات لاسامية .

فشل التمثل استثمرته الصهيونية :

من ١٩٣٣ الى ١٩٤٤ ، ضاقت الحلقة حول العائلات المماثلة لعائلتي ولم يفد في شيء كوننا **تجاهلنا ماذا كان جاريا .** في منطقة تولوز كما في منطقة بوردو (٥) **اليهود الذين نجوا** موقتاً كانوا يتلاقون ولكننا كنا نتجنبهم «على سبيل الحيطة» . ولكن هذه الفطنة لم تكن فطنة : **كان معنا تذكرة هويتنا** الحقيقية ، احتراما للقانون والشرعية **كنا « معلنين » عن**

أنفسنا : الحرص على القيام بالواجب لا بدّ ان يكافأ ! (في ١٩٤٠ ، والدي ركض وأعطى الذهب القليل الذي كنا نملك) .

ان مثال والدي هو اذن مثال اليهودي الفرنسي الذي أراد نفسه فرنسيا وانكر التضامن اليهودي . اعتقد بامكانه ان يسير منفردا . ولكن هذا الرفض لم يحمنا ولو دامت الحرب والاحتلال اكثر قليلا ...! (في ١٩٤٤ كان علينا ان نهرب) . هنا نعود ونجد المشكلة الصهيونية الراهنة : معظم يهود اوروبا الغربية أدركوا نحو ١٩٤٥ ان مثل هذا الموقف خداع وان الاضطهاد لا يوفر أحدا : « سنؤكل جميعا بنفس الصلصة » . كما ترون ، أتكلم مثلهم ، كما لو كانت اللاسامية قدرا محتوما ...

اليهود القلائل المناهضون للصهيونية **المناضلون** يعلمون بشكل سديد أنه اذا ما اندلعت موجة أضطهاد جديدة فانها ستصيبهم (ستصيبنا) ، أيا كان موقفهم (موقفنا) ازاء اسرائيل (انظر بولونيا) (٦) . اقرؤوا رودنسون ، اقرؤوا مقدمة آنيا فرانكوس لكتابها « **الفلسطينيون** » ـ نحن متفقون مع « هم » على هذا . ولكن هذا لا يقودنا الى ان نعلن أنفسنا متضامنين مع اسرائيل . والحال هذا ما « هم » يفعلون . الصهاينة يتمكنون من أقناع « هم » بانهم بدون ذلك يكونون خونة ، بأن عليهم هذا **الواجب** ، واجب **التضامن** ، ثم أليست اسرائيل البلد الذي سيستقبلهم اذا ... يوم ... يجب إذن ان تعيش اسرائيل وان تكون قوية ...

من جهة أخرى ، الإسرائيليون يهزون اكتافهم حين يأتي يهود الشتات كسياح ، لا ريب يحتقرونهم قليلا . قبل قيام الدولة الاسرائيلية كان يقال « الصهيوني هو يهودي يعطي مالا ليهودي ثان كي يرسل يهوديا ثالثا الى اسرائيل » .

اسرائيل وحنين الجتو :

هذا القول كان سخرية من دعاة الدعوة بمعارضة الذين كان عندهم « شجاعة » الذهاب . في الرأي العـام اليهودي قبل ١٩٤٨ ، كان الصهيوني الحقيقي هـو اذن الذي كـان يرحل ، والزائف الذي كان يذيع ايديولوجيا الرحيل .

الذهاب الى هناك ، يجب ان نتذكر ، كان يتطلب بعض الشجاعة ، شجاعة المهاجر الذي كان عليـه ان يتعلم لغـة جديدة وكان اما يغير عاداته ليعيش في الكيبوتز واما يقبل أي عمل .

كان ثمة الذين لم يكونوا يعلمون أيـن يذهبون وكـان الصهيونيون يقنعونهم ، باطلا او حقا ، بأن أمنهم سيكون أكبر « هناك » حيث سيعيشون مع يهود . اليهـود المراكشيون مثلا ، وهم بوجه عام متمسكون بدينهم ولكنهم كانوا قد لعبوا تماما لعبة الاستعمار الفرنسي . شخصيا ، اعتبرهم « أقداما سودا » شأنهم شأن الآخرين (٧) .

وكان هناك ايضا « المثاليـون » او « المخدوعون » ، الذين « ظاهرا او وضوحا » لم يكونوا في خطـر الوقوع تحت تمييز (الفرنسيون ، مثلا) ، ولكنهم أقنعوا أنهم لـن يكونوا أبدا ، هم او أولادهم ، في أمن كامل . خشية نازية جديدة ، أليس كذلك ، كانت الحكمة تقضي بأن يرحلوا ... ألم يكونوا يشعرون أنفسهم في طمأنينة ، قبل ١٩٣٣ ، في اوروبا الغربية، والنازية ألم تكنس هذا ... « الوهم » ؟

الفكرة ـ القوة كانت أنه لا فائدة اطلاقـا في محاولـة التمثل . ان كلمة **تمثل** هي كلمة ـ مفتاح في فم الصهيونيين وحتى في فم الدينيين غير الصهيونيين . انهم يناضلون بعزيمة ضد هذا المفهوم : **يجب** أن لا تفقد **طهرك** (اليهـودي) ـ أن لا تأكل من الـ غوييم ـ أن لا تتزوج من غوي : اذا مـا حبـل

شاب الخادمة ورغب في جعل الحالــة « طبيعية قانونية » ، كانت تنفجر دراما مزدوجة ، أولا بسبب الفــرق الاجتماعي وثانيا لأن الخادمة المعنية لــم تكن يهودية في أغلب الاحيان ! نحن هنا أمام **عرقية دينية** في الاصل ، ثم استثمرت على يــد الصهاينة بأنواعهم : اليهود لن يكونوا أبــدا مواطنين مساوين شركاء ، مثل الآخرين .

الجتّو ، هذا مثــل ، بالطبع ، طريقــة حصر لليهود ، تجميدهم في حالة غرباء أجانب ، وتشديد عــداء السكــان ضدهم . ولكن ، في مستوى الحس اليهودي ، الجتّو مثــل ايضا المكان الذي فيه يعاش « بين الذات » « entre soi » يوجد **حنين للجتو** يفسر ، جزئيا ، الصهيونية .

ربما ليس من قبيل الصدفة ان اسرائيل بنت نفسهــا بطريقة لم يكن معها باستطاعة السكان المحليين الا أن يكونــوا عدائيين لها . وهذا ، رغم ان الصهاينة بوعي لــم ينشغلوا او نادرا ما انشغلوا بهذه المعضلة . ربما جــرى تدخيل انخلاع والآن هذا الانخلاع لا ريب مراد بصورة غير واعية : وجــود الذات بين يهود بلا خطر تلوث مع خارج يحس حاملا الاساءة والسلبية . اسرائيل يمكن تحليلها بوصفهــا **جتو جديدا** ، بحثا غير واع عن جتو جديد اثر « فشل » محاولات التمثل .

مع انــه كان هناك جموح تمثلي

مثال بين مئة . في زمن الجتوات ، اليهود والمسيحيون كانوا معا يحرّمون الزيجات المختلطــة . في دولــة اسرائيل ، حسب القانــون الصادر عــن البرلمــان في ١٩٥٣/٨/٢٨ ، الزيجات المختلطة بين يهود وغير يهود مستحيلة . مع انه ، في سنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ ، كــان الاعتقاد بحتميــة الاضطهاد

واللاسامية قد خلق عند كثير من البرجوازيين الفرنسيين اليهود رغبة جامحة متسلطة في التمثل . كان هناك ارادة وتصميم على الضياع في الجمهور .

آنذاك كان يمكن مشاهدة تغييرات أسماء ، عمادات كاثوليكية ، بل وأحيانا سعي وراء زيجات مختلطة . هذا الطراز من الزواج الذي كان قبل قليل مرفوضا من قبل نفس البرجوازية اليهودية اعتبر آنذاك الخلاص الوحيد الممكن . كانت القضية ان ننسى وان ننسي أننا ولدنا يهودا وان يمنح المرء أولاده مصيرا « طبيعيا » .

في هذا المستوى عائلتي على ما يكفي من النموذجية واسمح لنفسي بالتحدّث عنها ثانية ، لا كتابة لاعتراف بل اعطاء لامثلة . عمي ، مثل أبي ، كان رجلا عصبي المزاج ومتشائما ، مع خوفه شبه المرضي . ولكنه لم يفكر يوما في تغيير اسمه او في نيل العمادة . ابنه ذهب الى اسرائيل في ١٩٤٩ في كيبوتز لاسباب دينية . صار قوميا أحمق وأولاده يربون على كره العربي ، ولا يفكرون الا بقتل العرب حين سيكبرون .

مع أن رحيل ابن عمي أثار آنذاك دراما عائلية ، لو ارتكب سرقة او اغتيالا او الخ لما كانت العائلة اعتبرت ذلك عارا أكبر . عمتي ، عمي ، أبواي ذاتهما ، ما كانوا يجرؤون ان يقولوا أين هو . منذ ذلك الحين ، لسوء الحظ ، لاحظوا أن « الغوييم » يرون مثل هذه الهجرة بعين ايجابية !

ابن عمي الآخر ، شقيق الذي رحل ، سلك سلوكا معاكسا تماما . هو وزوجته (اليهودية) قطعا علاقاتهما معنا ، اذ لا يريدان ان يكون ممكنا أن يقال أنهما يهود (مع ان كل الناس ، على ما أفترض ، يعلمون) . يرغبان ان يلعبا الى النهاية وبكلبية (٨) لعبة التمثل . عمادة (طبعا كاثوليكية)

معتبرة صكا ضروريا للدخول في « المجتمع » ★ . لم يمدا يدهما الى تعويضات الحرب المعطاة لليهود . وهذا فعل هو بشكل ما بطولة حتى حين يكون المعني في مستوى معاشي جيد . بطبيعة الحال (!) ، رغم هذا الهروب ، هما مع اسرائيل .

وفي هذه الاثناء ، في حركات الشبيبة اليهودية ، رجال الكوادر يحشون رأس الاولاد : كونوا يهودا ، دّينين اذا شئتم ، صهيونيين بقدر ما هو ممكن ، كونوا يهودا وفخورين بذلك . ولكن من يعلم ماذا يعني بالضبط « هو يهودي » ؟

هو يهودي ليس الا ، او هو اسرائيلي بواسطة شخص وسيط :

يمكن ان نقول « نحن يهود » ، اي **أناس مثل كل الناس** (★) ، ولكن اذا كان شعارنا « لنكن فخورين بكوننا يهودا » ، فالنتيجة هي اسرائيل !

أثناء حملتنا المناهضة للصهيونية ، أحد عمال سكك الحديد ، يهودي من شمالي افريقيا ، كتب الى أحد رفاقنا استنكاره وألمه . تحدّث عن دولة اسرائيل الصغيرة ، المهدّدة ،

★ الام تؤكد انها ما ان يحقق أولادها مناولتهم الاولى فانها ستقول لهم ان كل هذه المعتقدات لا توافق شيئا . ومن جهة اخرى ، ليس أكيدا البتة انها ستفعل ذلك .

★ ملاحظة من جان بوبيرو : جيزيل بلوخ ، حين كتبت هذا المقال لم تكن قرأت سوى الشكل الاول لنصي ، الشكل الذي لم أكن فيه بعد أعالج « البنية القدسية لليهودي التابو tabou . ومن جهتي حررت الشكل النهائي لمقالي قبل قراءتي مقالها . لذا اعتبر من المفيد مجابهة هذه الفقرة مع فقرة مقالي التي عنوانها : « هو يهودي ، قدس أقداس الاسرائيلي حرمه الشريف » .

وأضاف « (نظرا لموقفنا) لم أعد أشعر نفسي شيئا ، أنا مجرّد عار ، **لم أعد سوى يهودي** » . ورسالته كانت مؤثرة . كيف نعمل لفتح أعين مثل هؤلاء ؟ خدعوهم ، يخدعونهم . هم كائنات بشرية مثل الفلسطينيين لا كائنات فوق البشر (سوبرمانات) او بشر ليسوا كالآخرين .

الايديولوجيا الصهيونية ، المؤسسة على الخوف ، تبدو لي قصيرة تماما : بفضل دولة اسرائيل وسلسلة انتصاراتها ، أضحى مجيدا ولم يعد مهينا ان يكون المرء يهوديا او بالاحرى اسرائيليا عن طريق شخص وسيط . يجب ان لا ننسى ان العائلات التي ليس عندها « واحد » في اسرائيل نادرة .

الصهاينة يخدعون يهود الشتات بجعلهم يؤمنون :

١) بأن العرقية الوحيدة التي لها شأن هي اللاسامية (هذا ليس صريحا بالطبع ، ولكن يكفي ان نلاحظ الى اي حد بالنسبة لكثير من اليهود تتطابق « الحركة ضد العرقية واللاسامية ومن أجل السلام » مع النضال ضد اللاسامية وحدها) .

٢) بأن مناهضة اسرائيل هي مناهضة للسامية .

٣) وبالتالي **يجب على كل اليهود ان يساندوا دولة اسرائيل .**

وهذا سواء كانوا أو لا صهيونيين في أعماق قلبهم ، ما داموا في كل الحالات ستصيبهم نفس الانتقامات . ومثال بولونيا يأتي في الوقت المناسب ليعزز محاججتهم .

لا أناقش هنا وجود او عدم وجود « شعب يهودي » . بعض أصدقائي يقولون انه كان يوجد شعب يهودي UN بالمفرد) في أوروبا الشرقية (بولونيا ، اوكرينيا ، الخ) على كل حال حتى النازية ، يتهمون الاتحاد السوفياتي بأنه لم يسع بتاتا لحماية الثقافة اليهودية (**بل فعل العكس**) . ولكن لا في نظرهم ولا في نظري هذا الموقف يبرّر الصهيونية وما

تتضمنه وتقتضيه (دولـة يهوديـة ، تهجير الفلسطينيين ، توسعية ، جمع التبرعات من أجل الحربِ القادمة كما في أيار ١٩٦٧ ، الخ) .

عـن « اليهـود الصهيونيين » :

هل يمكن التحدّث عن « يهود صهيونيين » ؟ يبدو لـي أنه يجب اقامة عدة تمييزات .

ـ هناك اليهود الذيـن يعيشون في اسرائيل والذين ، الآن ، هم اسرائيليون . جاؤوا بدافع المثل الاعلى الصهيوني ، ولكن ايضا بالقوة ، بالصدفة ، بالانخلاع . انهم في أحيان كثيرة ضحايا الخداع الصهيوني اكثر مما هم صهيونيون مقتنعون .

ـ في الشتات يوجد ايضا مناضلون صهاينة . طبيعيا المفروض ان يكونوا قليلين ما دام الحقيقيون ليسوا في الغرب الا بصورة موقتة . هنـاك آل روتشيلـد وشركاه الذين هم صهيونيون على طريقتهم ـ لا ريب الدولة الاسرائيلية تتيح معرفة ما العمل بالبروليتاريين الذين هم على نفقة الطائفـة ـ (بل « أنصار التمثل» فيما قبل ٢٠ سنة صاروا صهيونيين) . ثم هناك الآخرون ، الجمهور المنخلـع ، المخـدوع اعلاميـا ، الذي هو صهيوني كما هو ديغولي ، ـ نعم ، أحدهما لا ينفي الآخر !

قصة صغيرة : يوم الاحد ١/٢٦ ، شارع اميل دوكلـو (باريس الدائرة ١٥) ، كان يمكـن قـراءة شعـار طـازج : « الموت لليهود ا. ش. ت. » (ا. ش. ت. هـي « اتحـاد الشباب من اجل تقدم » ، جماعة « ديغوليـة يسارية ») . بعد يومين ، جاءت المنظمة المذكورة ترتب الامر ولم يبق سوى

صليب اللورين (٩) ، مضافا اليه غيث من صلبان اللورين في الحيّ . من كان واضع الكتابة ؟ جماعــة « الغــرب » (١٠) ؟ أعضاء من ا. ش. ت. ؟ يهود ؟ لغز ! ولكن هــذا النوع مــن الحوادث الصغيرة ما زال يجعـــل المرء يفكر ان اللاساميــة المخفية الكامنة مشكلة دائمة .

العرقية المناهضة للعــرب واللاسامية :

يبدو لي بالواقع ان العرقيــة المهيمنــة في فرنسا هــي بشكل واضح العرقية المناهضة للعرب . في ح. ع. ل. س. (الحركة ضد العرقية واللاسامية ومن أجل السلام) لاحظنا مرارا ان مدراء مقاهي يضعون لوحــات مهينــــة للشمال ــ افريقيين في مؤسساتهم . ولكنه لا يوجـــد عمليا تشريع ضد العرقية وينكشف أنه من شبه المستحيل اقناعهم برفع هــذه اللوحات . كذلك تقارير « الوقائع المتنوعة » في معظم الصحف تتحدّث عن أعمال ارتكبها « شمال ــ افريقيون » . لم أقــرأ أبدا عناوين حديثة صحفية تتكلم عـــن « لص يهــودي » او « مجرم يهودي » يبدو لي من جهة أخــرى أن ، في مستــوى صراع الطبقات ، أن العنصرية ضد العربي هــــي ، بالنسبة للبرجوازية ، أكثر عملياتية بشكل واضح مــن العنصرية ضد اليهودي .

ولكن ، وهذا هام ، لكـــن قسما كبيرا مـــن اليهــود الفرنسيين لا يشعرون مشكلــة اللاساميــة محلولــة حاليا . بالواقع ، من حين الى آخر نصادف منغصات . هكذا ، مثلا ، منذ بضع سنوات ، أجابتني فتاة رفضت ان أقدّم لها خدمة صغيرة ــ لسبب أعتبره وجيها ــ أجابتني أن والدتهــا أخفت يهودا أيام الحرب . . . ذلك مرّضني . أحيانا يتحدّث بعض

الاشخاص عن اليهود بمعنى « لصوص » ، ذات مـرّة أجبت بقوة وفي الحال « تراجع » الرجل وشرع يمتدح الاسرائيليين!
ان مسيحيين كثيرين ما زالوا من جهة أخرى على موقف ملتبس . ما زالوا يرون في « مصائب » اليهود اصبـع اللـه وبالتالي تبريرهم . « المضجر أنه مـع النازية سبب ذلـك خرائب ، والاّ فان قليلا من اللاسامية في هـذا المكان وذاك ، لا نكون مسؤولين عنها طبعا (؟) ، ذلك مـن شأنه أن يذكـر الناس الاوادم ، الخ » . لا اخترع شيئا ، ثمـة اصدقـاء مسيحيون كلموني مثل هذا الكلام ، عـلى سبيل نصف ـ مداعبة بالطبع . صحيح أنني أعلم أننا لم نعد قتلة الله تماما لكن . . . وعن دولة اسرائيل ، نفس السيرك : انهـم مـع وجودها وقوّتها ، فاليهود شعب الله ، ولكن من وقت الـى آخر يجب ان يكون لها بعض ما يزعجها ، فهـو ايضا الشعب الذي لم يعترف بالمسيح .
أحد أصدقائي وهو كاهن ، يهودي المولد ، نشأ في الدين اليهودي ، تنصر حين كان أسير حـرب لا يفوّت فرصة الا ويقول فيها للبرجوازيين الاوادم الذين يصادفهم أن أمه كانت يهودية . ولكن في الوقت نفسـه ، ان حملتـي الصغيرة ضد الصهيونية (مع أنه يشارك فيها قليلا) تجرحه وتصدمـه . فهو يخشى ان نكون بنقدنا لاسرائيل أمام مسيحيين ينهضون بالكاد (وبدرجة متفاوتة العمق) من مرضهم اللاسامي عامـلا مساعدا لانتكاسهم .

نمو المقاومة الفلسطينية :

بالواقع ، هذه الحملة ، في مرحلة أولى سعت الى افهام الناس حقيقتين أوليين ليستا كذلك بالنسبة لكل الناس :

١) ليس كل الاسرائيليين « غاطسين » في الايمان التوراتي .

٢) يمكن ان يكون المرء يهوديا بدون ان يكون اسرائيليا او مع اسرائيل . هذا لا يعني من جهة أخرى أن وحدهم يهود اليهود الدينين : اليهودية ليست تماما (أو ليست فقط) دينا . نابوليون الاول ، القرن التاسع عشر ، صنعا : فبركا **فرنسيين اسرائيليين** israélites (١١) كانوا يذهبون الى الصلاة مساء الجمعة كما يذهب الفرنسيون الكاثوليك الى القدس . اليهودية الراهنة هي بالاقل دين قومي واثني : لسوء الحظ وذلك رغم اتجاه كلي ـ كوني . حماية طهر « العرق » بتجنب الزيجات المختلطة يعتبر بشكل عام أهم من حضور الصلاة الكنيسية . معضلة الايمان ليس لها الطابع الذي ترتديه في عالم المسيحية . اسم الله لا يلفظ : واليهودي يقيم ويصون علاقة خاصة وخصوصية مع ربّ « ه » . مفاهيم الـ « شعب يهودي » ، ثورا Thora ، ميتسووث (١٢) ، جوهرية .

بالنسبة لليهودية الفرنسية ، المناضلون اليهود المعادون للصهيونية القلائل أجروا قطيعة ابان حرب الستة أيام . موقف الاسرائيليين فرض علينا التغلب على التصويفات او الاوهام التي كانت باقية لنا . في الآونة نفسها ، مقال رودنسون **« اسرائيل واقع استعماري »** مكننا من اعادة تفكير المسألة في جملتها واعطانا أسلحة نظرية لا غنى عنها .

في مستوى خياراتنا السياسية حققنا في عام واحد مسيرة كبيرة . يجب القول ان نمو المقاومة الفلسطينية قد أتاح لنا الكلام عن النزاع بصورة اوضح بكثير . كانت القضية ان نتجاوز مسألية يهودية فيها كان السؤال الرئيسي هو : « ماذا سيحل بيهود اسرائيل ؟ »

بهذا الصدد أعتقد أن بعضهم سيبقون كفلسطينيين

يهود . أفكر بشكل خاص بأعضاء المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتزبن » Matzpen او باليهود السفارديم الذين ، في سياق سياسي آخر الطبع ، يمكن ان يشعروا أنفسهم متضامنين مع العرب ★ .

بعض الآخرين ليسوا في فلسطين الا لأن اسرائيل دولة يهودية ، سيأتون (او سيعودون) الى بلدان شتى ، منها فرنسا . بالنسبة لبعض الراشدين سيكون في الامر بعض الصعوبة ، أما الاولاد فسيتكيفون على الارجح بسهولة رغم الايديولوجيا التي علموهم اياها (الاعتزاز بالهوية الاسرائيلية، الخ) ورغم صعوبات عملية (اعرف عائلات اسرائيلية فيها حرص الاهل ، وهم فرنسيو اللسان ، حرصوا بدقة على ان لا يتكلم أولادهم سوى العبرية !) .

سيكون علينا عندئذ ، اذا توصلنا الى استبعاد الحل الباطل الذي تأتي به الصهيونية ، أن نواصل النضال ضد مختلف أشكال العنصرية وكره الاجنبي ، واللاسامية احداها، كي يستطيع اليهود في بلدانهم المختلفة ان يعيشوا كيهود ، اي كبشر مثل البشر الآخرين .

شروح :

١ ــ الكانار أنشينه ، حرفيا : البطة المقيدة ، جريدة هزلية ساخرة خفيفة الدم . او هكذا تتصور نفسها . بالحقيقة : خفيفة العقل وثقيلة

★ في ١٩٦٦ ، عدا ذلك ، حدث اضطرابان شعبيان جمعا يهودا من شمالي افريقيا وعربا « اسرائيليين » . صحيفة T. C « الشهادة المسيحية » العدد ١٢٨٧ ترى فيهما مسودة لقاء يهودي ــ عربي واحد العوامل التي قررت وحزمت البرجوازية البروقراطية على القيام بحرب الستة ايام.

الدم . ـ « يسارية » او « يسارية جدا » ، مناهضة للسوفييت ، مناهضة للشيوعيين الفرنسيين ، ومناهضة للعرب ، صهيونية .

٢ ـ الطبقة العاملة في بلدان الغرب الصناعي المتقدم ولا سيما في فرنسا باتت في تركيبها مؤلفة بنسبة تتراوح (حسب البلدان) بين ٢٢ و٨٠٪ من عمال أجانب ، اي عرب وبرتغاليون واتراك وهنود ويوغوسلاف الخ . ـ صدرت كتب كثيرة عن الموضوع في السنوات العشر الاخيرة . ظاهرة بالغة الاهمية ، يجب ان تضم الى مفهوم العالمية اللينينيي . الطبقة العاملة في الغرب « تتشرق » في قاعدتها الدنيا . كما سابقا الطبقة العاملة الحديثة في بعض بلدان الشرق ظهرت غربية الى حد كبير . بالطبع مفاهيم « الحاضر » و « الماضي » و « المستقبل » ليست « اشياء » منفصلة ، متخارجة . قلت: مفهوم العالمية اللينيني ، كان يمكن ان أقول : الهيغلي ـ اللينيني ، العياني، الكلي ـ العياني ... من هذه الناحية ، مقولة « صراع الطبقات في النطاق العالمي » تبدو لي ناقصة عند معظم أصحابها ، تترك « فراغا » تخالف البينين الذي غطى القضية التي يريدون تغطيتها بدون « الفراغ » المذكور .

٣ ـ قضية دريفوس : قضية فرد يهودي مظلوم شطرت فرنسا الى معسكرين في اواخر القرن ١٩ . الضابط دريفوس اتهم وحوكم (١٨٩٤) زورا بتهمة التجسس للالمان وخيانة الجيش والوطن . سارت القضية على هذا النحو رغم ثغرات الادلة ، رغم تبين العكس ، انقاذا لشرف الجيش وسمعته وما شابه (يبدو ان ضباطا أعلى رتبة كانوا تجارا سماسرة لصوصا). قامت حملة عظيمة لصالح دريفوس والحق والعدالة (١٨٩٧ ـ ١٨٩٩) ، صدر عفو عنه في ١٨٩٩ ، ثم رد له الاعتبار في ١٩٠٦ . خصومه ، اي اليمين وكتابه ، اجتمعوا في « عصبة الوطن الفرنسي » ، وانصاره في « عصبة حقوق الانسان » . من جهة : « الوطن » ، « الجيش » ، « الشرف » الخ ومن جهة : العدالة ، الجمهورية ، الديمقراطية ، الانسان .
قضية دريفوس معروضة في المئة صفحة الاخيرة من كتاب اناتول فرانس L'Iledes Pingouins ، وهو بمثابة تاريخ فرنسي بشكل ادبي ساخر ورائع .
هرزل الذي كان صحافيا نمسويا في باريس « صدم » . الصهيونية كانت في الجو (وبعض الكتب) قبله ، في روسيا بشكل خاص . في ١٨٩٦ ، يصدر كتابه : « الدولة اليهودية » او « دولة اليهود » (بالالمانية) . في ١٨٩٧ ، ينعقد المؤتمر الصهيوني الاول .

٤ ـ ((صلبان النار)) عصبة يمينية ((وطنيـــة)) ملكيـة فاشستية ، معادية للاجنبي ، معادية للالماني . هناك تشكيلات أخرى مـــن نفس النوع . جميعها تواصل خط ((وطني)) ١٨٩٥ ــ ١٩٠٥ ، اي خط معسكر ((مناهضي دريفوس)) . كثيرا من هؤلاء الوطنجيين وزعمائهم صاروا مـــع الالمان ، مـع الاحتلال النازي لفرنسا وحكومة فيشي والماريشال بيتان ((رمز الوطن)) .

في فرنسا ١٨٩٠ ـ ١٩٤٠ ، تيار ((اليمين)) التاريخي كان يضم طبقيا : عائلات ، جنرالات ، كبار رأسماليين ، صغار برجوازيين ، مثقفين ، قسمـا كبيرا من الفلاحين (الاتباع) . لعله يصح تقديره ب ٣٠ ـ ٤٠٪ من الامة .ـ ((اليسار)) يضم الراديكاليين (حزب البرجوازية الليبرالية مـــع شعارات ((الجمهورية)) و ((حقـــوق الانسان)) ومناهضـــة الاكليروس) والاشتراكيين بيمينهم ويسارهم الذي صار في ١٩٢٠ الحـــزب الشيوعي . ـ بين الاثنين ((وسط)) .

٥ ـ عقب استسلام فرنســـا (١٩٤٠) ، صارت : فرنسا محتلـــة (الشمال مع باريس والوسط والشاطىء الاطلسي) وفرنسا حكومـة فيشي برئاسة بيتان (الوسط والجنوب) . منطقـة تولـوز في الشطر الثانـي ، منطقة بوردو موزعة .

٦ ـ كنت افضل التوضيح . هل يهود بولونيا أصابتهم موجة اضطهاد ملاحقة Persécution وأصابتهم أيا كان موقفهم من اسرائيل ؟ ألـم يبق من يهود بولونيا مئات او ألوف والذين هاجروا الى اسرائيل يعتبرونهم (ويقولون في اذاعة اسرائيل) : اولئك لم يعودوا يهودا ، كفوا عـــن كونهم يهودا ؟ (مما يعيدنا الى سؤال : ما اليهودي ، من اليهودي ؟) .

لا ريب ان جيزيل بلوك اكثر اطلاعا مني . ولن اقابل ((حدا)) بآخر . أحذر من القبض على جانب دون آخر . وحين نكون بصدد هذا الامر الـذي تفتحه هيريتم : الصهيونية و ... والغرب ، أحذر من سوق مثل هذه الامور وكأنها بديهيات ، أحذر من البديهيات . (علما بأني مع جيزيل بلوك ومـــا تقوله من ألف الى ياء) .

٧ ـ ((اقدام ـ سود)) Pieds - noirs ، استعماريـــون ـ فرنسيون متطرفون في الجزائر ، حثالة متعصبة انتقلت مـــع نوازعها الـى فرنسا عقب الاستقلال .

(٨)

٨ ـ كلبية Cynisme (من كلب) . بالاصل : مـــذهب الفلاسفة الكلبيي وأشهرهم ديوجين (ق ٤ ق م) الذي عرف بازدراء شديد للبشرية وسخافتها (ذات يوم ، صادفوه في شوارع آثينا وبيده فانـوس في الظهيرة وهو يعلن أنه يبحث عن رجل) . في لغة الاستعمال اليومـــي : الكلبيـــة = احتقار للاخلاق العامة ووقاحة معلنة. (تحتها معرفة زيف الاخلاق السائدة، تشاؤم ...) . باختصار : وقاحة وكذب بلا رادع .

٩ ـ صليب اللورين : شعار الجنرال ديغول ، ((فرنسا الحرة)) ثـــم ((فرنسا المكافحة)) ضد الاحتلال ، ثم بعد الحرب ظـــل شعارا ديغوليـــا للحزبين اللذين أقامهما ديغول حول شخصه (ورمزه) في ١٩٤٧ ثم ١٩٥٨ .ـ اللورين موطن جان دارك ، ثم منطقة تنازعت عليها فرنسا وألمانيا .

١٠ ـ ((غرب)) Occident جماعة فرنسية يمينية متطرفة ، فاشستية محاربة ...

١١ ـ بخصوص اللغـة والترجمـة : النسبـة هنـا (اسرائيلـــي ، israélite) الى اسرائيل ـ الديـن ـ الشعب ، اسرائيـــل التـوراة والمسيحية والاسلام ، اسرائيل المذكر باللغة العربية .

اسرائيلي israélien نسبة الى اسرائيل الدولـــة ، الدولـة الصهيونية ، اسرائيل المؤنث باللغة العربية .

هذه النقطة اللغوية البديهية تأخذ مداها في مقال ليفين .

نابوليون ، القرن التاسع عشر ، عصـــر انبساط الثورة البرجوازية والثورة الصناعية ، سار شوطا كبيرا في تمثل اليهود . مقابل هذا الاتجـاه الغالب ظهر ((من البداية)) اتجاه معاكس ، قومي ، صهيوني ، ثم ... جاء بينسكر ، هرزل ، نورداو ، بوروخوف الخ .

كاستعمار وامبريالية ، التمهيد يبدأ من أوائل القـرن التاسع عشر ، يبرز في دوائر الامبريالية البريطانية حوالي سنة ١٨٤٠ ضد محمد علي باشا والوحدة العربية في المشرق ، بدون ان يكون لذلك نتيجة مباشرة . موزس هس يجمع الوجهين الاثنين : القومي والاستعماري .

ورغم هذا القدم النسبي ، فقد ظل الاتجاه الى التمثل هو الغالب الى ما بعد تأسيس الصهيونية في ١٨٩٦ بكثير ، مع فوارق بين المناطق والبلدان.

١٢ - ثورا ، توراه ، توراة = شريعة . تورا - مــين - هاشامايم (الشريعة التي من السماء) ، والتورا التي على الفم ، والتورا التي فــي الكتاب . كلام الله النازل المقيد الابدي .

ميتسووث Mitswoth ؟ يؤسفني انني لم اهتـد الى مرجع يساعدني ويساعد القارىء .

هذه النظرة (السلبية) على الدين اليهودي من قبـــل جيزيل بلــوك تلتقي مع ما سنقرأه في مقال بيار بيرمان . ظاهرا ، ليفين بالعكس . ولكـن ادانته اليهودية القائمة ، الواقعـــة ، الواقعية ، للديــن الواقعي ان صح التعبير ، او الشعبي ، ليست أقل ...

جان بوبيرو

الفلسطينيون ... الغرب ...
و دينية اللسان

- ١ -

فلسطين والكلمات

اذا بالعبرية كانت « فلسطين » تقال وتكتب « اسرائيل » ، فبالعربية « اسرائيل » تقرأ « فلسطين » ، ولئن كانت الكلمتان (وهذه دراما يعرفها معظم المترجمين) تزعمان الحديث عن نفس الارض (تعيين نفس «الموضوع ») ، فان كلا منهما تروي بلدا مختلفا واستبعاديا ، تعلم وتشكل واقعاً آخر ، مناقضا .

في الشوارع الشعبية او الارستقراطية في باريس ، [...] العبرية لغة محلية ، بها يعبر كل فرنسي عن نفسه والجميع يتفاهمون (★) . في العبرية [أي في الصهيونية الفرنسية ـ الاستعمارية] ، كلمة فلسطين ومشتقاتها موجودة . ولكنها تسمي بلدا اختفى ، بلدا تحتفظ الاطالس

(★) هامش من ج. بوبيرو : كلمة « عبرية » مستخدمة هنا بمعنى « رمزي » . [...] يجب ان نعي ان كل شيء يتقرر في مستوى اللغة ، في مستوى كلماتنا اليومية وطريقتنا في استعمالها . المحتوى مستوى ثان موجه، محدد ، مفخوخ ، من قبل الاول . يكفي ان نلفظ كلمة « اسرائيل » بشكل حيادي [...] حتى يكون قولنا تماما تحت سلطة الامبريالية العالمية وليست كلمة « اسرائيل » وحدها موضع سؤال هنا . وما من أحد يفلت من اللسان الغربي الذي العبرية احدى لغاته الفرعية .

التاريخية وحدها بآثاره . استعمال كلمة محصور في جمل من نوع « فلسطين في زمن يسوع » . أحيانا قد يؤدي استعمال متجاوز الى نقل معنى الكلمه بي اتجاه معنى قرينتها العربية . يجري تجنب هده الفكرة الشاذة الهرطوقه بفضل اضافة عباره واقية (تحفظ المصطلح في المعنى الجيد ، تحوله عن المعنى المحظور) : « **اللاجئون** الفلسطينيون » [...] او « الاراضي المحتلة من فلسطين » (فلسطين عندئذ لا تعني سوى جزء من فلسطين : الضفة الغربية وغزة) . نتعرف هنا على لغة الرجعية التي لا تبقى وتستمر الا باستيعابها الاعتراضات التي تصيبها وتقليصها والسعي الى تأهيلها او تدجينها .

عندئذ يصبح الخطاب متلاحما ، مغلقا ، ويدع حرا التعبير عن مضامين مضادة ولكن غير مناقضة في النزاع الاسرائيلي ـ العربي ، « في الحرب » التي تزاولها البلدان العربية ضد الدوله « العبرية » ، يسمح بأن يكون امرء مع اسرائيل بلا شروط او بأن يعطي تحفظات على سياسة حكومتها (مثلا كلود بورديه يكتب مقالا يكشف كثيرا من الانخلاعات الصهيونية ـ جريدة لو موند ، رأي حر ، ٧١ / ١ / ١٩٦٩ ـ ولكنه في النتيجة يطلب تطبيق قرار مجلس الامن) (١) . يبقى على « المشكك » أن يستسلم لحجة اللسان القائم وان يبرهن انه ليس « ضد وجود اسرائيل » . والحال ان الوجود يخلق الجوهر (والعكس بالعكس) ، البني أي « الدولة اليهودية » (= ثيوقراطية وعرقية ★) ، « شريعة العودة » او الهجرة الدائمة ليهود

★ **هامش من ج. ب : مثلا لا يحق لليهودي ان يتزوج غير ـ اليهودية ولليهودية ان تتزوج غير ـ اليهودي [....] . ان مجمل التشريع عن الجنسية الاسرائيلية يعطي اليهود وغير اليهود حقوقا مختلفة جدا . بالمقابل، تشريع الارث اكثر ليبرالية (حرية الرأسمال) .**

(= الاستيلاء الدوري على أراض جديدة ، طرد السكان ، قصف معسكرات تحشدهم ونفيهم الخ) (٢) . باختصار ، القتال بين داود الشجاع (الذي احيانا يبالغ قليلا ولكن ما أهميه دلك . . .) وجليات الجبار الدي يحركه حقد متعصب وخفي وخطر (٣) ولكنه في كل مرة يهزم في النهاية اذ هكذا دوما تنتهي افلام الغرب الاميركي على الاقل في الواقع .

الايمان بمتانة اللغة والولاء للصهيونية

بواسطة كلمات ، الذين يستعملون اللغة يؤكدون للشعب ان الاقوال لا قوة لها . مع ان « ماليرب جاء وكان أول فن في فرنسا علم سلطة كلمة موضوعة في مكانها » (٤) . حفظ الدرس ومفهوم « **النضال ضد اللاسامية** antisémitisme

» (كلمة مليئة بالدم والبراز والحقد الصوفي والغدر الآثم وعقدة الذنب ، كلمة مكيفة من قبل كل تاريخ فرنسا من الحروب الصليبية الى دريفوس وبيتان) يحطم كل مقاومة أمام اللغة العبرية العاملة بوصفها وكيلة الايديولوجيا الصهيونية ، تلونها وتموهها وتغلفها بجبروت اسطوري . لقد قلب سترته وغير معناه [. . .] . كلمة « لا سامية » الآسرة المتسلطة الوسواسية تنفذ وتنبسط ، تفرض نفسها ، تقيم تحالفات ، تجر وراءها تداعيات أفكار ، جملا ـ كليشيات ، لغة « حس سليم » مسطح تقعد في الرؤوس ، تعلق على الجلد ، وتطرد أصغر طرف كلام يحاول ان يعيق قليلا دولاب الخطاب . لسان يعتقدونه محبا لليهود وهو اسرائيلي وحسب . كل الامور تتخالط . نعتقد اننا نتحدث عن قتل شعب ، ولكن لا ، اننا نتحدث عن شعب صغير غلب الصحراء . لا أبدا ، نبدي اعجابنا بدولة بالغة التقنية تملك أقوى جيش في الشرق الاوسط . كل الامور تتخالط

وتتشوش : كاسرائيليين اليهود أبطال ، كيهود الاسرائيليون ضحايا . ولكن الفلسطينيين ، هم ، ليس لهم حق ان يكونوا لا هذا ولا ذاك ، بل فقط حقوديـن متعصبين ... وجبناء فوق ذلك : يرجى منك ان تكون متوافقا مع الاقوال التي يطلقها عليك اللسان الفائم .

ولكن من يتكلم فلسطينيا ؟

اربد ، صموع ، كرامة ، عمر عبدون ليلى ، محمد سمارو ...

ان « كبار المثقفين » الفرنسيين الذين نجحوا في جعلنا نعتقد ابان حرب الجزائر انهم يعلمون بضع كلمات من اللغة العربية هم الآن ، في أفضل الحال ، لا ينطقون (سارتر ، ل . شفارتس) أو هم يعوون مع الذئاب (دانييل ماير ، كاستلر ، فيدال ناكه ، جماعة الـ « كانار انشينه » الخ) .

كل الناس وليس فقط في فرنسا سمعوا في عام ١٩٥٨ بقصف ساقية سيدي يوسف . ولكن السافيات العديدة الحالية ــ ولائحتها تتطاول في كل فصل (اربد ، الحولة ، السلط ، الصموع ، الشونة ، الكرامة وقد قصفت ثلاث مرات في سنة واحدة ، الحمة ، ميسلون ، الخ ...) من لفظ اسمهم ؟ دير ياسين لا تقول شيئا لاحد او تقريبا ولكن أختها النازية معروفة أكثر واسمها اورادور Oradour [بلدة فرنسية شهيرة] ★ .

ولكن لنطمئن أنفسنا . في الصمت والهدوء ، بعض المنظمات الخيرية ــ نتاج أدنى مشتق من هيئة الامم المتحدة او

★ هامش ج. ب : بخصوص دير ياسين [...] ، بيجن Begin الوزير الحالي في دولة اسرائيل ، اعترف : « لما كان ثمة دولة اسرائيل لولا دير ياسين » (صحيفة Jewish New letter ، ١٩٦٠/١٠/٣) .

من المجلس العالمي للكنائس او من الكنائس الكاثوليكية ـ تعطي بمنقارها بعض الحبات ـ بضع حريرات لا طعم لهـا ـ تحت بعض الشروط لبعض « اللاجئين الفلسطينيين » . ليس اكثر مما يجب ، فقد يحملون بندقية (ويعرضون بذلـك السلام العالمي للخطر او يهيئون « الحل الاخير الشهير الذي تصوّره هتلر » كما قال ذلك جيدا الاب ريكه Riquet بين اعترافين لسيدتين جميلتين في كنيسة نوتردام) . ولكن بعض الحبات على كل حال : هناك الشروط غير الصحية ، الاوبئة ، ونقص التغذيه اذا تحوّل الـى مجاعـة فسيموتون بوتيرة سريعة وسنتكلم العبرية بلهجة جرمانية قوية جدا .

مثال آخر . في ١٩٦٨ ـ وخصوصا في أيار ـ حزيران ـ ، وسط الاعلانات الجدارية التي تجلـد القمع او الامبريالية الاميركية او العدوان السوفياتي ، بين بيع وآخر ل « بريـد فيتنام » ، وسط تظاهرات التضامن مـع طلاب برلين او المكسيك ، هـل حرّر ووزّع اي منشور يؤيـد الشعب الفلسطيني ؟ وبين الاشداء الصارخين مـن جميع الالوان ، حقيقيين او زائفين ، منشدي نشيـد الاممية وقبضتهم مرفوعة ، مردّدي هتافـات « شي ـ شي ـ غيفـارا » او « هو ـ هو ـ هو شي منه » لم يأت الى ذهن أحد أن يهتف « الفلسطينيون سينتصرون » او أن يردّد « ياسر ـ عرفات » (أنت ايها القارىء لم تكن تعلم أنـه قائـد فتح ، كم هـذا غريب . . .) ★ .

وأسوأ ايضا . في ايلول ، ابان تظاهرة وحدوية نظمتها اللجنة ضد القمع ، دانييل غيرين D.Guirin ذكر « مقاتلي فتح المجيدين » . العديد الكثير من مكافحي أيـار السابقين

★ هامش ج . ب : في السوربون تواجد قسم Stand عربي لفتـح واخر فرنسي ل « الاشتراكيين الصهيونيين » .

صفروا . ميشيل دوبريه M. Debré على اي حال أقل منهم يمينية بقليل : في مطلع كانون الثاني تكلم في ميكرو « راديو اوروبا ـ ١ » عن « الارهابيين ، عفوا المقاومين الفلسطينيين » ★ . ان موقف النضالوية النشيطة يكشف هنا كل المسائل التي يضعها بين قوسين ويسعى الى اخلائها ، والعديد من اليسراويين يكشفون رفضهم القيام بأي تحليل نقدي لانخلاعاتهم الذهنية والثقافية . هؤلاء هم في أحيان كثيرة نفس الذين لا يريدون ان يعقدوا وجودهم بالمشكلات الايديولوجية ، التي هي بناء علوي فولكلوري لا شأن له بالنسبة للواقعي السياسي الموضوعي .

(١٩٦٩/١/١٥)

ـ ٢ ـ

فلسطين : عظمة جديدة للقضم أم سؤال ومحاكمة ؟

قاعة الموتواليته Mutualité ، الاربعاء ٦٩/١/٢٢ ، ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ شخص يحضرون اول تظاهرة دعم للمقاومة الفلسطينية . هل سنصل الى الحديث قليلا عن علاقاتنا مع الفلسطينيين ، الى الشروع في نقد لـ « التضامن الحضاري

★ هامش ج. ب : ولكن اذا كانت الديغولية ، بصدد بيافرا Biafra ، تستطيع ان تستند الى ايديولوجيا انسانوية ، فانها عن المشكلة الفلسطينية لن تكون في يوم من الايام مقنعة لانها لا تستطيع أن تخرج من الطريقة الاسرائيلية في وضع المسألة .

الذي يربط الذهنية الفرنسية باسرائيل ويتجلى على كل الاصعده الثقافيه ، الدينية ، العاطفية » ؟ (انظر مقال جاك اتجر « تمثيلات تعطى في فرنسا عن نزاع الشرق الاوسط » ، مجب Hermes ، ١٩٦٨ ، العدد الاول) . ام بالعكس ، ستعامل فتح بوصفها موضوع خطاب ، عظمة جديدة للقضم ولتهدئة **جوع الضالية الكلبي** لهؤلاء السادة وتسكينه قليلا ؟ (انظر بهذا الخصوص نقاشنا مع رفيقة من حركة M L ، المنشور في ملزمة لاحقة من هذا العدد) .

اللحظة المختارة كانت تبدو مشبوهة : هذا الشهر الاول من ١٩٦٩ ، حيث حرب الفوار في اميركا اللاتينية راكدة او حتى في بعض الاماكن متراجعة ، حيث مفاوضات باريس باتت حقيقة (اقل تحميسا من هجوم رأس السنة القمرية حتى وان كانت نتيجته) ، وحيث حركة أيار اذ تريد المعاودة لا تستطيع الانطلاق .

الاطار العام للاجتماع ظل تماما في نغم المشهد التقليدي : تعاقب خطابات سيدة ، تأطير جيد على يد هيئة نظام جيدة ، هتافات عديدة وقوية ، شعارات ايقاعية دورية (« الصهيونية لن تمرّ » ، « فتح ستنتصر ») ، نشيد الاممية عند الخروج ، وأخيرا ، كتتويج ، قرار معدّ سلفا لا أدري من قبل اي بروقراطيين ، كالعادة ، وكالعادة يجري اقراره بالاجماع من قبل قاعة بات همها ارتداء المعاطف والركض الى باب الخروج .

حركه Vigier ، الحركة الثورية ، اتحاد طلاب افريقيا السوداء في فرنسا ، مناضلون من جماعات صغيرة سابقة ، الجميع سهروا على ابقاء كل الخصائص المألوفة . من البداية انكشفت الجمل طقوسية وجامدة . هكذا جرى فضح الصهيونية على نحو أسطوري بوصفها الشرّ المجسد والغريب تماما عن الذين يؤلفون الحضور لا بوصفها جملة

بنى ايديولوجية مؤسساتية ، أفيون الشعب ، يجب فك آلياتها وفك بناء لغتها . كذلك ظهر النصر النهائي بوصفه يقينا دينيا ، يكفله **الاله النازل من فوق « اتجاه التاريخ » .**
بعض الخطباء عاملوا المسائل الايديولوجية على انها حجاب غير جوهري ، قناع (وجهه لا يهم) للعقلانية السياسية المزعومه ، التي هي المستوى التي نستطيع عنده أخيرا ان نطرق المسائل الحقيقية الحقة : الامبرياليه ، البترول الخ .
أخيرا ، في اطار الحقل السياسي التقليدي نفسه ، جرى محو بعض المسائل بالممحاه ، وكثيرا ما أعيدت عقدة البنى والاليات الى مانوية مقلصة ودوغمائية . ممثل اتحاد طلاب افريقيا السوداء في فرنسا تكلم عن « ملايين الثوريين الافريقيين الذين يساندون بشكل نضالي نشيط المقاومة الفلسطينية » (يا لها من ثرثرة سحرية يا رفاق !) ولكنه لم يحاول اي تحليل للدور النوعي الخاص الذي تؤديه اسرائيل لدى بعض بلدان العالم الثالث ولا سيما بعض بلدان افريقيا السوداء (انظر جزءنا الثالث) . بل ولم يقل كلمة عن الضباط الاسرائيليين الذين يؤطرون ويقودون وحدات معادية للغوار في تشاد ، الحبشة ، كامرون ، الخ .
مثال آخر : الموصوف « الامبريالية » يستدعي الصفة « الاميركية » ، أبدا « السوفياتية ـ الاميركية » (مع ان خلق دولة يهودية في الشرق الاوسط كان احدى أولى تظاهرات ـ في ظل ستالين ! ـ التواطؤ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . هذه الدولة كانت احدى الدول الاولى التي اعترفت بالامر الواقع بعد خطب غروميكو « الصهيونية » في هيئة الامم) ★ ، نادرا « الاميركية

★ في ١٩٤٨ ، قدمت البلدان الاشتراكية اسلحة للاسرائيليين وهي اليوم تضمن وجود بناها الدولتية . الاتحاد السوفياتي حاليا يستخدم اسرائيل كي يستطيع تسليح الدول العربية وابقائها تحت سطوته . (م) .

والاوروبية » . ديغول يأخذ ـ نسبيا ـ جانب العرب فقط بسبب البترول . البرهان : لم يقطع العلاقات مع « دولة اسرائيل الكراكوزية » (ولكن في هذه الحال لماذا توجد سفارة اسرائيلية في كوبا ؟) ★ .

هنا ، كما في غيره ، « الدوغمائية » ليست اتخاذ موقف متطرف بل استعارة جمل جاهزة ، اختصارات جامدة ، رمي في البحر أطنان من الاسلحة المحرجة التي من شأنها أن تفرض الكف عن طمس البواعث « الوجودية » ، « الذاتية » [. . .].

عنصرية دقيقة ناعمة

[. . .] . في هذا القدّاس السياسي ، حصلت ثلاث محاولات تسعى لطرق المسألة بشكل مغاير ، أكثر وجودية ، وتسعى الى اجراء نقد سياسي للذهنية الغربية :

ـ ١) العرقية ، لا كوجه أساسي للانسان بل كبنية ايديولوجية مرتبطة (دون ان تكون انعكاسا فقط) ببعض البنى الاجتماعية . كيف المعاني تغير كلماتها والكلمات معانيها: النضال ضد اللاسامية كغطاء للايديولوجيا الاستعمارية ـ العرقية للصهيونية بعد ان كان عنصرا مركبا في النضال المناهض للفاشستية . العنصرية « الدقيقة » لجريدة لوموند

★ لا نقصد ان الديولية يمكن ان تكون في اي لحظة على اليسار ، ولكن الجنرال أحيانا يضع المبادىء الامبريالية قبل المصالح الامبريالية (المحاسبة ستلحق) وهذا لا يجري تحليله .

كوبا تساند نضال الفلسطينيين المسلح ولكن بشكل ملتبس اذ انها تعترف باسرائيل . هذا يبين في آن نقص تحليل الكوبيين في بعض المجالات وتعقد المعضلات التي لا يجوز ان تكون موضع تقليصات واختزالات ارهابية . ـ هامش من ج. ب. (٦) .

(التي تبدي اعجابها بالاسرائيليين ، وشفقتها على العرب ، تجد الفلسطينيين خطرين ولكن ترى أنه يجب ان يؤخذوا على محمل الجد لان قادتهم درسوا في الجامعة) او فيلم « جدار في اورشليم » .

ـ ٢) طالب عربي من لجنة مساندة لفلسطين استعرض الصحافة الفرنسية بروح ساخرة ناعمة وبلا تسخن او تسخين : « نوفيل اوبسرفاتور » ، « كومبا » (التي كانت تتظاهر انها في ضربة أيار) ، « الكانار انشينه » ، « اكسبرس » ، « لوموند » . بين سخافة الجمل الجاهزة والعرقية التي ترافقها هذه الجمل « من أقربو » .

ـ ٣) الارتباط بين دعم الفرنسيين الجماهيري او الكتلي للصهيونية والثقافة المسيحية (مع او بدون الايمان) التي تطبعنا وتبنينا .

سلطة اسرائيل والسلطة الطبية

ولكن هذه المحاولات أغرقت الى حد كبير في النغم العام للمداخلات ، في شكل الاجتماع المهرجان الخ . وفي معظم الاحيان لم تذهب الى النهاية . المثال الابرز : نقد الذهنية المسيحية سئلِم ... لأخ واعظ [لكاهن] ، فالآخرون على الارجح يعتبرون أنفسهم خارج السؤال . ولقد وجد الأخ نفسه أمام قاعة في حالة سخونة عالية ، أكثر تديّنا من شخصه وقليلة الاستعداد لسماع جمل أخرى غير الشعارات السياسية الطقوسية وشواهد من شي [غيفارا] في كل مناسبة وخارج اي مناسبة . عندئذ (وهذا يترك بتمامها مسألة معرفة ما اذا كان الخطيب ، رغم وضعيته كرجل دين ، قادرا على اجراء نقد جذري للمسيحية ، تعرّض فعلي

للديني) ، عندئذ بدا كلامه ملتبسا و ــ فيما عــدا بعض الملاحظات الجيدة عن المسيحانية [او الخلاصية] ــ لم تفك الا بشكل سطحي رموز آليات استلاباتنا الذهنية . رغم كــل شيء ، قطع نغم او لحن : مــن بانثيون الآلهــة الصالحين والابالسة الشريرين نزلنا قليلا الى فرنسا ، وهــذه العودة كانت اكثر مما يتحمله البعض . من المهم ان نلاحظ ان تلــك كانت اللحظة الوحيدة في ذلك المساء التي انكسر فيهــا شبه الاجماع وظهرت فيها الافتراقات . ولكــن [....] أسكِتَ « المخلون بنظام المسيرة » .

أثناء هذه التظاهرة (وعلى ما أتصور في أوقــات أخرى وأماكن أخرى) ، اسرائيل شبهت بالتوسع الاميركي في القرن التاسع عشر (من أين كان يأتي هؤلاء الهنود الشريرون الذين كانوا يهاجمون الــرواد البواسل المشغولين ب « ارجــاع الصحراء الــى وراء » !) ، بفيتنــام ــ الجنوبيــة (دولــة تركوزية) ، بجنوبي ــ افريقيا (بنــى دولتيــة عرقية) ، بالمحتلين النازيين ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ (الامر الصادر للسكان بأن يذلوا أنفسهم بالتعاون مع المحتل ومساعدته على القبض على المقاومين تحت طائلة العقاب الانتقامي الجماعــي) . هــذه التشبيهات لا تبدو لي خاطئة ولا غير مفيدة . ولكن يجب ان نتساءل عما تكشفه ضرورتها . هذه المقارنات انما تكشف عن أن اسرائيل في ذاتها غير قابلة للطعن . اسرائيــل في السلطة ، العبرية هي الحالة اللغويــة القائمة . ليس ممكنــا اصابة اسرائيل الا بطريق جانبي ، بتبيان ان لهــا قرابات مشبوهة ومع الامل أن عار اصدقائها سينعكس عليها . فهذه المشابهات هي حاليا ذات اتجاه واحد : لا يأتي عــلى بال أحد ان يبين طابع دولة جنوبي ــ فيتنام بمقارنة هذه الدولة مع اسرائيل . الاشخاص القلائل الذين يحاولون التعرض للكهنوتية الطبيــة ينعتون الدكاترة بأنهم « خوارنة » و « رجال بوليس » . ولكن

لن يأتي في بال أحد أن يشتم رجـــل البوليس بنعتـــه بكلمة « طبيب » . ان سلطة الطب تسند نفسها وراء ايديولوجيا عن الصحة تجعلها غير قابلة لأن تهاجم رغم كل الاستلابات التـــي تخضع لها مجموع السكـــان ★ . اسرائيـــل نفسها تتصرف بأسلحة نوعية ، مختلفة كيفا عن أسلحة امبرياليات اخرى .

قريبا ، في كل البراميل (براميل الاقذار) المسماة يسارية ..

أخيرا ما من خطيب في هذه الحفلة الاولى كان عنده قلة أدب أن يطرح سؤالا وقحا : مـــن بين القسم الفرنسي مـــن الحضور يقدر أنه لم يخطىء قط بخصوص فلسطين وأنـــه كافح دائما اسرائيل كدولة ؟

لماذا الآن فقط بدأت حركة تضامن ؟ سيرد علي ان المهم أن الامر قد حصل . يقينا هذا شيء لا يمكن اهماله ، ولكـــن نقدنا الذاتي من شأنه **أن يكشف عددا من الروابط بين العناصر النظرية** (المكتسبة منذ زمن لا بأس بـــه) ، **الايديولوجيا ، الاعتدال العاطفي ، الخ** . اذ أخيرا من الخطأ القول ان حـــرب الغوار بادئة في هذا البلد ، كما فعـــل الكثيرون او تقريبا . واعمال الفدائيين في سنوات ١٩٥٠ ... وأيضا بعد ذلك رغم حضور قـــوات الطوارىء الدوليـــة ؟ ولكـــن جراحاتنا السيكولوجية كانت كبيرة ولم نكن نجد مسندا او مرجعا في **كلماتنا المتدفقة او المصطلحة** (كلمة « اشتراكية » مثلا) . وقد

★ ج. ب. : انظر ج. ب « الاطبـــاء كهنتنـــا الجـــدد » ، مجلـــة le Semeur ، ١٩٦٧ ، العدد ٥ .

في القسم الثالث من هذا المقال ، أحاول انضاج طريق بحث يصل بين سلطان اسرائيل النوعي والاكليريكية الطبية .

جانبنا القضية تماما : حتى ان العدوان على سيناء لم يقدنا الى ربط النضال ضد حرب الجزائر بكفاح مناهض لاسرائيل. لماذا ؟ في أية « قيم » كنا مرّبطين غاطسين ؟ اية لغة كانت تغطينا وتغمرنا من جميع الجهات ؟ ماذا كنا نريد انقاذه من حضارتنا الغربية ؟ ★

باختصار ، لئن كان من الواجب التميز عن الذين يقبلون ، طوعا او كارهين ، البنى الدولتية الاسرائيلية ، فمن المهم ايضا لكي نولد تضامنا صغيرا نحو الشعب الفلسطيني ان نكافح السياسويين المقلصين . بالنسبة لهم ، كل شيء بسيط : شعاران او ثلاثة تفتح كل الابواب وستتجرجر قريبا في دل براميل اليسار ، وبطرفة عين القضية في الكيس على المستوى النظري ـ الايديولوجي . (« الصهيونيون هم الذين يعدّون اللاسامية » ، « اسرائيل عميلة الامبريالية الاميركية في الشرق الاوسط » ، « صهيونية = نازية » الخ) . هكذا نستطيع ، بلا تبكيت ضمير ، بلا فكرة خلفية لان بلا فكر وحسب ، ان ننصرف الى النضالية النشيطة المعتادة ، ان نكون أعلى المتطرّفين ، ان نزين سترتنا بوردة الثوري الحق ، ان ننعت هذا وذلك بكلمات « رجعي » ، « برجوازي » . نشهد محادثات مدهشة : فلان الذي كان نصيرا لاسرائيل عشية حرب الستة أيام ، ثم غير مبال ، سيطلق الآن صيحات قوية تناصر فلسطين وتناهض اسرائيل لان القادة الكبار قد أشاروا وعنوا انه **يجب** ان يكون المرء **ضد** الصهيونية بعنف لكي يبقى في ريح التاريخ الثوري .

★ هامش ج. ب : ولماذا كنا مجتمعين رجالا مقتنعين في صالة مغلقة بتواجد سلمي مع خارج موال لاسرائيل ؟ مسألة لا تحلها بداية المظاهرة المحاولة فيما بعد . استحالة كلام ؟ خضوع لنسبة قوى ، لعلاقة قوة ؟

ولكن ، بعيدا عن خدمة القضية التي يزعم الدفاع عنها، سيكون بالاحرى عامل نبذ ...

(١٩٦٩/١/٣١)

- ٢ -
الاضطهادات ـ الضغوط الغربية

١) أضطهاد اليهود والصهيونية :

أن لا نتكلم عن الصهيونية بطريقة أسطورية ربما هذا معناه ان نحفظ في ذاكرتنا الوضع اللاسامي الذي أنجبها . بالنسبة للكثيرين ، الصهيونية كوّنت أمل خروج من اضطهادات المنظومة الغربية ـ المسيحية . نستطيع ان نحللها الآن بوصفها جملة بنى ايديولوجية مختلفة متباينة ، جمع عناصر مسيحانية لاتباع اليهودية الشرقية ومذاهب ليبرالية ليهود برجوازيين في طريق التمثل في اوروبا الغربية . المهم أنه في ذلك الحين ـ اي في الوقت الذي كان فيه التحليل ذا مسك على العمل ـ المهم ان هذا الخليط من الافكار نال رضى منظرين ماركسيين وذلك من وجهة نظر صراع الطبقات بعينها (اليهود الذين سيهاجرون سيتحولون الى بروليتاريا ونمو القوى المنتجة الذي سيتبع وصولهم سيسهم في تحرّر العرب من قبضة اقطاعييهم ★) . **أن تنخلع ايديولوجيا مظلومين وأن**

★ من بير بوروشوف : « صراع الطبقات والمسألة القومية » الى عبد القادر : « النزاع اليهودي ـ العربي » ، الذي أصدره ماسبرو في نفس السلسلة مع فانون وكاسترو ، مرورا ب بوال زيون [حركة او حزب عمال صهيون] ، غروميكو ، حزب المابام ، الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، الخ .ـ هامش من ج. ب. (٧) .

نستلب وتغرّب الى هذا الحد من قبل الحضارة التي ضدّها كانت هذه الايديولوجيا تتكوّن ، ان تنكشف عند الاستعمال واحدا من أمتن أعمدتها ، يبين الى أي حد مسيراتنا النقدية ومواقفنا الطعنية [التشكيكية او الرفضية] هـــي نفسهـا مسيئة من قبل البنى والوضعيات التي أنجبتها ٠٠٠٠ ★★ ٠

٢) الصهيونية واضطهاد الفلسطينيين :

ان اضطهاد الفلسطينيين مــن قبــل اسرائيل لا يذكــر بشكل صريح ولا يفضح في فرنسا الآ منــذ قليل . اذن فقــد احتاج الامر الى مجموعة من العوامل (لنذكر بلا ترتيب حرب الصاعقة في حزيران ١٩٦٧ ، طريقــة التحليــل الماوية لنمــو النضالات المناهضة للامبريالية ، حركة أيار ١٩٦٨ ، المفهــوم النظري عن « اسرائيل واقــع كولونيالي » الــذي أنضجــه رودنسون ، الضربات التـــي وجهتهــا للصهيونيين مختلف المنظمات الفلسطينية وتغير شعاراتها الخ) ، كي ، بعد تأخر ، تنفجر الدرابيس اللغوية في قسم مـــن الحركـــة المسمـاة « يسارية » وتقال بعض الكلمات المناصرة لفلسطين . ولكــن الآن ايضا ما زالت قواعـــد ومفردات العبريـــة الحديثــة

★★ هامش ج. ب : مع كونها اعطتنا أسلحة نظريـــة وايديولوجيــة ونقدية جوهرية (لا سيما مفهوم صراع الطبقات) ، الماركسية اللينينية هــي في نظري ايضا نتاج مخلوع من قبل الفكر الغربـــي وبعض الثنائيات التــي لا نصل الى الخروج منها . من جهة أخرى ، لا توجد ماركسية ــ لينينية في ذاتها ، بل تأويلات مجازفة وكثيرا ما هي مفخوخة مـــن قبل وضعية الذيــن يحاولونها .

[= اليهودية ــ الصهيونية ــ الفرنسية الخ] أهلية قريبة من مجموع الفرنسيين ، لأن هذه اللغة ليست الآن فرعا من فروع اللسان الغربي ★ . ومؤسس الصهيونية ، هرزل ، قد أبدى هذه الامنية صراحة . فقد قال حول انشاء دولة يهودية محتملة في فلسطين : « سنكون هناك قطعة من الجدار الحصين ضد آسيا ، سنكون الحارس المتقدم للمدنية ضد البربرية » ★★ .

هكذا فالاسرائيليون قادرون على السيطرة على كل التراكيب ، على فهم كل دقائق أشكالنا اللغوية . منتشرين في بلدان متعددة ، الصهيونيون يسبحون كأسماك في الماء في مورفولوجيا مختلف فروع « الغربي » المحلية . **يعرفون كل الالسن واللغات الفرعية** : للاساميين يبينون ان اسرائيل وسيلة جيدة لتخليص وطنهم من اليهود الموجودين فيه ، يسقون ويطعمون المسيحيين شواهد من التوراة . أمام الاذهان الانسانية الخيرة يتخذ كلامهم رنة عاطفية عالية حيث يبينون لهؤلاء أنهم لا يستطيعون الآن أن « يؤيدوا أفعال أبناء الجتو ومعسكرات الموت » ، لاتباع التكنولوجيا يمجدون « المآثر » التقنية المحققة ، الخ .

★ وهذا ، في عين مستوى اللغة كلغة : « اليهود اليمنيون الذين كانوا يلفظون العبرية مع حروفها السامية القديمة التي احتفظت بها العربية ... يجهدون فى اسرائيل للتخلص من هذه « العادات السيئة » ، يتعلمون لفظ العبرية على طريقة اليهود الاوروبيين ... مبتعدين الى أقصى حد عن معايير العبرية القديمة في فلسطين » . رودنسون : « اسرائيل والرفض العربي » ، ص ٢٠٦ . هامش ج. ب.

★★ تيودور هرزل : « الدولة اليهودية » ، ترجمة فرنسية ، باريس ١٩٢٦ ، ص ٩٥ . هامش ج. ب.

ولكن ثمة اكثر . الصهيونية تولد سيرورة تحوّل نازي في مستويين للغـــة متكاملين : خلـــق قوالب ـ كليشيات والماكيافيلية .

ان « طريقة كلام » النازية لم يدرس بمشكـل أساسي على حد علمي . ولكنها الهمت روايـــة اورويل Orwell « ١٩٨٤ » ونجد عددا من الاشارات في « التقرير عــن عادية الشر » [في كتاب Rrendt « آيخمان في القدس ، تقرير عــن عادية الشر » ، اي عن كونه شيئا مبتذلا بتصرّف جميـــع الناس . . .] (٨) .

اثناء محاكمته في القدس ، نصف دزينـــة مــن علماء الامراض النفسية شهدوا بأن آيخمان رجل **سوي ـ طبيعـي** بدقة . أحد علماء النفس أعلن أن « تصوّره للعالم » وموقفه ازاء عائلته « ليسا طبيعيين فقط بـل هما أيضا مثاليان » . القسيس أكد أن « أفكاره ايجابية تماما » . ولكـن ، وهــذا وجه آخر لطبيعته وسويته ومعياريته ، لوحظ ان الاخصائي السابق بـ « المسألة اليهودية » لا يعرف سوى لغة واحدة هي **((اللغة الادارية))** . « كان بالواقع عاجزا عن ان يلفظ جملـة ليست كليشه . . . رغم ضعف ذاكرته ، كان آيخمان يـردّد كلمة كلمة وبثبات مرموق نفس العبارات الجاهــزة ، نفس الكليشيات من ابتكاره (حين كان يحالفه الحظ ويمكنه مــن الوصول الى بناء جملة من عنده ، كان يردّدها الـى أن تصير كليشه) في كل مرة كان فيها ينوّه بحادثة تبدو ذات اهمية . . وأمام الموت وجد نفس الجمل الجاهزة التي تقال في المراثي » (كتاب Arendt ، طبـــع غاليمار ، ص ٦١ و٢٧٧) . ان « موظف النازية هذا » كـــان المستخدم المثالي لـ **((قواعـد اللغة))** (نفي اليهود الى معسكرات الاعتقال دعـــي « اعــادة

تجميع » او « عمـــل في الشرق » ، « المعسكرات » دعيــت « تغيير مكان الاقامة » الخ .) التي ساهمت بشكل كبير فــي صيانة النظام والتوازن العقلــي للمستخدمين الموزعين فــي المصالح والدوائر المختلفة والذين كان تعاونهم أمـــرا لا غنى عنه . . . هذه المنظومة اللغوية لم تكن تمنع المعنيين مـــن أن يعلموا ماذا هم فاعلون ولكنهـا كانت تمنعهم مـــن أن يقيموا الصله بين هذه المنظومة الجديـــدة والاكاذيب القديمـــة ، الاغتيالات القديمة » (كتاب Arendt ، ص ١٠٠ ، ١٠١) .

والحال ، ان الصهيونية هي أيضا أنجبت «قواعد لغوية» حقيقية وهي تسهم بشكل جوهري في بسط وانماء وادامـــة قوالب عنصرية مضادة للعرب . الناس يحاولـون ، أحيانا ، بصعوبة ، أن لا يخدعوا تماما من قبل السلطة وان يفلتوا قليلا من لغة السلعة والاصطناع والوهمية (اللغة التي نموذجها هو الاعلان التجاري) . يستعيرون بعض الاقـــوال ، يشكلـون أسلحة أيديولوجية نحيلة تتيح لهم تملكـا صغيرا لوجودهم . التسميم الاسرائيلي الولاء يعيدهم ويدرجهم بشكل مغلق في يومية على مقربة من عالم الاشيـاء ، في معايير مصنوعة ، فـي مجموعات كلمات جامدة ، في جمل جاهزة . هكـذا كان رابي Kahn رجل سلام ، وهو الآن يغني ويمجد ويسبح لدولة حربية فيهـــا النساء أنفسهن جنـــود . ايلـول Ellul كان يقضي وقته في فضح الانخلاعات التــي تسببها التقنية ، وهو الآن يصفق لدولة تريد نفسها نموذج نجـــاح للحضارة المتقننة . آخرون كانـــوا يفضحون موقف أقران بيـلاطس البنطي المشككين ب « وجود التعذيب » في الجزائر ويتظاهرون اليوم بنفس الجهل حول فلسطين . سارتر الذي ، في مقدمته لكتاب فانون « معذبو الارض » ، كان يجلـــد « الانسانويـة العرقية » لليسار الفرنسي (الـــذي مـــا كانت مناهضته للاستعمار تستطيع ان تقبـــل العنـــف الضروري لثـورة

المستعمرين) لا يستطيع ان يطيق فكرة ان ظالمين ومستعمرين يهود يجب ان ينزل بهم نفس الغضب . يرفض اصدار حكم للفلسطينيين . « ان مثال سارتر يبين جيدا انني هنا أفتح دربا ولا أدّعي حل شيء . النقاش مفتوح لمحاولة فهم كيف ولماذا يستطيع أحد فجأة ، عن مسألة معطاة او موقف معطى، ان يتراجع في محاولته النطقية وأن ينتكس الى مستوى الخطاب الاكثر تسطحا ، الى لغة « الحس السليم » الخ . ربما ــ هذا درب يسير فيه أحد الاصدقاء ــ ربما المقدمة لكتاب فانون التي « حمستنا » كثيرا فيما يتصل بالمحتوى كانت هي نفسها مفخوخة بغياب اعادة النظر في اللغة . او لعل « البنية المقدسة لليهودي المحرّم Tabou » ، التي أفحصها في مكان لاحق ، تلعب دورا هاما . يجب أيضا التكلم عن معضلات أخرى حاول سارتر فحصها : الكينونة ، أخذ الوعي ، التباس او ازدواجية وضعية الشغيل الفكري الخ ». الصهيونية استاذ مجاز عال في فنّ استعمال اللغة وتحريك الكلام . ولها على اي حال زملاء عديدون .

كلبية Cynisme وكفاءة في الكذب

حين تحمل الكلمات هيئة سلبية ومعنى كريها ، اليهود الصهيونيون يعلمون جيدا كيف يشطبونها من قاموسهم . هكذا ، خلال مدة طويلة جدا ، كان عنوان مؤسساتهم وكانت نصوصهم الرسمية وجرائدهم وكراساتهم تستخدم العائلة السيمانطيقية لكلمة « Colonialisme » [كولونيالية ، استعمار] كوصف لمشروعهم او في الحديث عن الحالة المقامة في فلسطين . هذا ، من بينسكر Pinsker الذي كان في ١٨٨٢ يطلب خلق « جماعة كولونيالية يهودية » (كتاب

« التحرر الذاتي ») الى المابام ، حزب اليسار الاقصى الذي، في ١٩٥٣ ، كان ينسب نفسه الى لينين وستالين وماو ويجمع مرارا عبارات « صراع الطبقات » ، « الاستعمار الصهيوني » ، « النضال ضد الامبريالية » ، « المهمات التعميريه الاسرائيلية » ، و « اخذ الوعي عند الجماهير العربيه » [اي وصول الجماهير العربية الى مستوى الوعي] (انظر كتاب « الهيونية والعالم الاشتراكي » ، اصدار المابام ، باريس ١٩٥٣) . ولكن بعد سنوات قليلة أخذ الانعطاف ...

ان قراءة بعض أعداد صحيفه« la terre Retrouvée » [« الارض التي عدنا ووجدناها »] لفترة ما بين الحربين العالميتين ذات دلالة بالغة بهذا الصدد . كل ما هم الآن يفضحونه مدّعين انه حجج كاذبة معروض آنذاك بوضوح من قبلهم : الثورات العربية في فلسطين وفي افريقيا الشمالية مماثلة ، الاقطاعيون يسلمون أراضيهم بـ « أسعار واطئة جدا » والـ « كارن كايمث » يشتريها بفضل « الرأسمال البناء ، الرأسمال المحرّر » . « أنصار فلسطين عربية مستقلة » يعتقلون وينفون الى جزر سيشيل » . من جهة أخرى « الفرويون يشعرون ان شراكتهم مع الارهابيين يمكن أن تكلفهم غاليا ... وتزايد الفقر والبؤس يحفز الميل الى التهدئة » الخ ... (انظر الصحيفة المذكورة ، ١٩٣٧ ، الاعداد ١ الى ٧ . العدد ٥ يتكلم ايضا عن دولة يهودية « ضيقة » آنيا ودولة يهودية « واسعة « في وقت لاحق !)

للصهيونيين مؤسسات قوية تعطي وزنا لكلامهم . وهم يعلمون كيف يثيرون معارضين ــ مزعومين كي يقضوا بشكل أفضل على المعارضين الحقيقيين . باختصار ، الغرب يصدّقهم عندئذ في الوقت نفسه الذي فيه يعترف ، بلسان احدى مؤسساته الاكثر « وقارا » : هيئة الامم المتحدة ، بأن اسرائيل تكذب عليه وتركب له قرونا : فبالفعل ، اسرائيل

هي ــ مع جنوبي افريقيا ــ الدولة التي صدر بحقها أكبر عدد من الادانات على يد هذه الهيئة ، **والجنرال السويدي فون هورن** ، رئيس اركان بعثة الامم المتحدة خلال ٤ سنوات ، كان يكتب حول روايات حوادث الحدود المعطاة من قبل مصالح الاعلام الاسرائيلية انه **« بحياته كلها لم يتخيل ان الحقيقة يمكن ان تشوه بمثل هذه الكلبية وهذه الكفاءة »** (كتاب فون هورن : « جنود من أجل السلام » ، لندن ١٩٦٦) . ولكن هذه الكفاءة وهذه الكلبية في الكذب الماكيافيلي ليس مردّهما بالتأكيد الى طبيعة « فظيعة » صهيونيه او يهوديه ، بل هما او **هي النتاج التاريخي لقرون من المكر واقامة منظومه دفاع كان على اليهود ان ينضجوها كي يبقوا رغم اضطهادات وتعذيبات الغرب المسيحي .**

كما راينا ، الصهيونية نفسها هي بناء فوقي مزج ووحد ايديولوجيات متنوعة متناقضة (المسيحانية والعقلانية مثلا) هو نتاج ضرورة بقاء ملحة. ونمو « المادة السنجابية اليهودية » [القشرة الدماغيه ، الرمادية واللحائية] مردّه الضغوط الغربية التي منعت عن اتباع الدين اليهودي بعض الحرف وأجبرتهم على الالتجاء في صناعة الالبسة والربا والدراسة .

باختصار ، القضية انقلاب « عادل » للاشياء ، ولكن هذا الرجوع يسهم في حصر العرب في وضعية يهود جديدين للغرب . القوالب والافتراءات المعادية للعرب المتولدة من النزاع الفلسطيني ــ الصهيوني متعدّدة . بعد تدمير الطائرات اللبنانية في بيروت ، كتبت جريدة « le Dauphine المحرّر » في عنوانها « تل أبيب : هذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب » . وأغرب ايضا الثقة التي منحت لـ **« خرافة الجزم »** المذهلة ، التي لم تؤيدها أية وثيقة والتي سمحت بتمويه وطمس موت ألوف الجنود المصريين في صحراء سيناء حيث رفضت اسرائيل ان تأخذهم كأسرى . « حسب هذه

الخرافة ، كان الجنود المصريون يتخلصون من جزمهم ليهربوا على نحو أفضل ... في الرمال حيث الحرارة في ذلك الشهر تزيد على ٤٠ درجة ! ضجة هذه الاقوال غطت أقوالا أخرى كانت تؤكد ان اسرائيل لم تسمح للصليب الاحمر بالتدخل الا في ١٥ حزيران ، حين كان آلاف من المصريين قد ماتوا عطشا او جوعا او متأثرين بجروحهم (وكالة الصحافة الفرنسية) . الاب غوتيه Gautier يروي ان الجنود الاسرائيليين في رام الله ، بعد نهبهم وبقرهم لمخازن ، قالوا للسكان الجائعين « ادخلوا وتموّنوا » . عندئذ ظهر الصحافيون الذين صوّروا « العرب وهم ينهبون مخازنهم ذاتها » . » .

طابع الامبريالية الاسرائيلية النوعي الخاص

يمكن أن نعدّد الامثلة : كل النطق المحبّ لاسرائيل قائم على **« منظومة لغة »** مشابهة تماما ــ ولكنها اكثر تنعيما وانضاجا ــ للمنظومة التي يتحدث عنها Arendt او Orwell هذا يسمح لاسرائيل بأن تلعب دورا هاما في الامبريالية العالمية ، لا سيما في المستوى الايديولوجي (بدون ان يقلل ذلك من شأن المستوى الاقتصادي) ، حيث تقدّم نفسها ازاء عدد من بلدان العالم الثالث بوصفها **نموذج نموّ** [...] . من جهة ، الدولة اليهودية تستفيد من وعظ الامبريالية المسيحية المبشرة . من جهة أخرى ، تزعم انها خضعت لاضطهادات « مشابهة » لتلك التي تصيب بلدان « منطقة العواصف » .

معزّزة بهذا المسند اللغوي ، اسرائيل تريد نفسها « ملتقى الشرق والغرب » وتحاول اخفاء التناقضات التناحرية الموجودة بين الدول المتقننة والاخرى . السيد شوراقي Chouraqui يعرّف هكذا « رسالتها »: « تكوين عالم مصغر مثالي ... أن تكون البرهان على أن التهدئة

والسلام والتعايش ممكن بين جميع الفلسفات ، جميع القرون ، جميع الحضارات ، جميع الثقافات ... انها نموذج نمو لانها بلد أصغر من جميع بلدان افريقيا وآسيا ، أفقر ، أرضا وماء ورجالا » شواقي : « اسرائيل ملتقى الشرق والغرب » ، مجلة « العالم الثالث » ، ديسمبر ١٩٦٢) . أما أنّ عشرة ملايين من اليهود ، بينهم أربعة ملايين اميركيين ، يرسلون لها الدولارات وعملات أخرى تأتي من استغلال البلدان المسماة « تحت النمو » ، فهذه قصة لا أهمية لها ....

« هو يهودي » ، حرم الاسرائيلي المقدّس

نحن مقلصون الى سياسة الدفاع ونقضي وقتنا في فصل مناهضة الصهيونية ومناهضة السامية antisémitisme مناهضة اليهود) . سننهك سريعا بهذه اللعبة الصغيرة ولن نكون مقنعين . في اللحظة التي فيها سيصدّقنا البعض او تقريبا ، سيوجد دائما طفل فلسطيني يطلق بأعلى صوته حقده ضد اليهود القذرين الذين يحتلون أرضه ، الذين دمروا بيته ، قتلوا أمه وعذبوا أباه . وهذا البربري الصغير لن يصغي الى عاملة في هيئة CIMADE ، تحفزها الارادة الطيبة ، وتشرح له أنّ عليه بشكل خاص أن لا يتحدّث عن « اليهود » وأن يستعمل كلمة « اسرائيلي » . هذا حتى اذا كان الاسرائيليون يقصفون ويطردون لانهم يعتبرون من حقهم ان يسيطروا على فلسطين ، بوصفهم يهودا على وجه التحديد . يا الهي ، فليتوقف فورا عن صرخه « الموت لليهود » والاّ فهو عرقي ، ومقترف جريمة الـ génocide [قتل شعب] ، وسيخلع ضدّه كل الرأي العام العالمي الذي

كان بدأ يظهر له عطفا . (انظر بهذا الصدد أيضا النقاش مع الرفيقة من حركة ص ١٧١ . التأمل البادىء هنا لا يضع نفسه ، بالطبع ، في مستوى الشعارات السياسية) .

أن يكون المرء ضد كل النزعات العنصرية غباء مثل أن يكون ضد كل حركات العنف . يجب أن نبدأ بالقول ان الفلسطينيين لهم حاليا الحق في أن يظهروا معادين لليهود تماما كما حركة « السلطة السوداء » لها الحق في أن تظهر للبيض ايديولوجيا عرقية .

اذا كان روتشيلد يضطهد الشغيلة بوصفه رأسماليا ، ففي فلسطين ، ايبان ، آلون ، دايان ، بيجن ، و... الاسرائيلي المتوسط ، يسحقون ويجوعون الفلسطينيين **باسم يهوديتهم ذاتها** . ان قراءة الصفحات الحربية من العهد القديم (وتأكيد حق توراتي) ، ان التمجيد الفاسستي لليهودية (وبالتالي للصهيونية) ، الذي تذيعه المدرسة والجيش وأجهزة الحزب والمؤسسات اليهودية الدولية المغروسة في اسرائيل وخارجها مع موافقة وتأييد الغالبية العظمى من الحاخامات ، ان نداء التضامن اليهودي (في المستوى التقني والمالي والاقتصادي والاعلاني التجاري والديبلوماسي الخ) يخلق ويبقي ويعزز هذا الاضطهاد . عندئذ ، **الحالة** عرقية ، **الوضعية** عنصرية ، واذا كنا نرفض للفلسطينيين حق أن يسموا مضطهديهم ، فان هذا مآله أننا نريد نزع سلاحهم ثقافيا . ان استطاعة التمرد ، القدرة على الثورة ، تنزع حين اللغة تطمس الواقع اليومي وتقنع الحالات التي يفترض في اللغة أنها تعينها وتسميها [...]

لا يستطيع الفلسطينيون أن يسموا أعداءهم فقط تحت اسم اسرائيليين . ففي كل لحظة ، يهود اسرائيل يجعلون أنفسهم ((**تابو**)) [tabous ، حرم لا يمس] بالتجائهم وراء كلمة يهودي التي هي حرمهم المقدس الذي لا يجوز الاعتداء

عليه : **« أنا أضطهدك بوصفي اسرائيليا ولي الحق في ذلك : أنا انسان كغيري من البشر . لا تلمسني ، أنا يهودي ، أنا تابو : أنا لست انسانا كغيري من البشر »** .

في العلاقة العلاجية ، « الدكتور » يلعب دائما على الجملة المزدوجة : « الطبيب ليس انسانا ، هو انسان ، مثل غيره » ، وهذا يؤلف السلاح المطلق للاضطهاد الكهنوتي الطبي ، بعد جلائنا الاسباب الاجتماعية للمرض ونقص وقصور العلاج الحاصل في مستوى الفرد . كل تمرّد للمرضى يباد . هذا مفهوم ، اذ نحن أمام **بنية قدسية ،** بنية الشامان Chaman (= الساحر) ....

هنا ايضا ، ان تملك هذه البنية التقديسية من قبل اليهود هو نتيجة **مفهوم لاهوتي لـ « اليهودي »** أنضجته المسيحية . مختلف أشكال الفن ، والوعظ ، وبالتالي التقاليد والخيال الشعبي ، ربطوا يهودية وسحر وشيطانية [....] المآل الاخير كان أعمال النقل الى المعسكرات déportations النازية . الذنب الغربي المعمم الذي أعقب محاولة القتل الجماعي سمح لليهودي الاسطوري بأن « يمضي » من القدسي الرذيل الى القدسي النبيل . لم تحصل بأي شكل عملية نقد للديني ، عملية سؤال الذهنية المسيحية . القوالب المناهضة للعرب أعادت على الفور تكوين قدسي رذيل مآله الراهن أعمال النقل القاتل déportations الصهيونية .

مهاجمة البنية القدسية بوصفها كذلك

هذه البنية التكريسية تجعل مستحيلا فك او فصل النضال ضد مناهضة اليهود ومناصرة الصهيونية فكا كاملا . يجب ان نتعرّض بشكل اجمالي للبنية ذاتها وان نبين أن

مكافحة العنصرية المناهضة لليهود ليست قيمة أزلية وكونية، بل هي مثل سلبيها نتاج منخلع للحضارة الغربية .

ان محاولة فك دواليب وآليات « المسألة الفلسطينية » تفرض علينا ان نتكلم عن « الرأسمالية اليهودية » ، عن أهمية المراكز المفاتيح التي يشغلها يهود في بلدان عديدة ، أن نعامل ((اليهود)) **كما يقال ((المسيحيون))** ، بوصفهم جماعة (جماعات) منظمة ـ لها بنى ومؤسسات ـ جماعة (جماعات) مضطهِدين oppresseurs ★ . **باختصار أن** نطق جملا **تبدو مشابهة** ، اذا أخذت في ذاتها ، **لسطور من** « كفاحي » [كتاب هتلر] . نتيجة ذلك **سنحمل ثقل تهمة** اللاسامية ، مضطرين للعيش « مع » هذه الشتيمة **كما يعيش** هؤلاء المرضى الذين لا يشفون « مع » **دائهم** او « شر » هم . (ولكن بدون « تدخيل » هذا القمع . مع أخذه **بشكل** ساخر) ....

من المهم ان نعرف بحدّ أدنى من الوضوح **والدقة** النسيج المجتمعي والبنياني والتاريخي لعواطفنا **ومخططاتنا** الذهنية وجراحاتنا النفسية ، ان نحصر ونحدّد ماذا كان الوضع او الشرط المفروض على أتباع اليهودية وكيف **أن هذه** الوضعية اللاسامية تحوّلت « بالارادة الحرّة **لجماعات** يهودية قوية وتعلن نفسها ممثلة لمجموع اليهود » (**رودنسون**:

★ هامش ج. ب : آريندت Arendt تبين جيدا ، من جهة أخرى ، تواطؤ وشراكة بعض المنظمات اليهودية خلال الحرب . هكذا فالدكتور كاستنر Kastner وعد ، مقابل هجرة بضعة ألوف من اعضاء المنظمات الصهيونية للشبيبة الى فلسطين (الادمغة و ((اليهود النخبة))) ، وعد بسيادة ((النظام والهدوء)) في معسكرات الاعتقال النازية ، في المحطات على طريق اوشويتس Auschwitz وافران الغاز ، حيث كان يوضع مئات الالوف من اليهود . تلك واقعة ذات دلالة في مستوى صراع الطبقات . (٩) .

« اسرائيل واقع كولونيالي » ، الازمنة الحديثة ، العدد ٢٥٣ / مكرر ، ص ٨٠) الى حالة صهيونية . فقط هذا الكشف للدولاب المسنن يسمح بالحديث عن المال اليهودي او عن جماعات الضغط اليهودية الدولية دون ان يكون المتحدّث مناهضا للسامية ، ولكن أن يتحدّث فعلا .

« ارادة حرة لجماعات يهودية قوية » ، يكتب رودنسون : حرة ؛ كما نحن جميعا أحرار : لاصقين على الانخلاعات ورافضين القيام بنقدها . ان « ما قبل تاريخ » اسرائيل من شأنه ان يبين شبكة الشراكات والابتزازات المتبادلة المنسوجة بين الصهاينة واللاساميين . ان اخضاع فلسطين من قبل منبوذي الغرب ليس الا « **الحل النهائي** » (الجديد ، العاقل والمنطقي) للغرب المسيحي والمتقنن لـ « المسألة اليهودية » . (١٠)

ـ ٤ ـ

الفكّ المستحيل لبناء المنظومة الايديولوجية الغربية

الصهيونية ، وقد أفرزها الغرب في ساعتها ، مرتبطة تماما بحقله الايديولوجي (خصوصا في شكله الكشافي boy - Scout) ، ومن السذاجة الاعتقاد أنه يمكن ان يكون المرء مناهضا لاسرائيل او أن يقوم بحملة تضامن مع الفلسطينيين دون أن يفكّ في الوقت نفسه مجمل القيم الغربية .

من المستحيل مهاجمة اسرائيل دون التعرّض **لتأليه التقنية** والتخديرات الناتجة عنه . اذا رفضنا القيام بذلك ، من العبث ان نستغرب أن يبدي السكان بما يشبه الاجماع استفظاعهم لرقصات وصرخات الجمهور العراقي أمام خمسة عشر « جاسوسا » مشنوقا وأن يكونوا لامبالين أمام أعمال القصف بالنابالم .

من المستحيل التعرّض لاسرائيل بدون نقد **ايديولوجيا البطولة والعمل** (هؤلاء العرب يدعون أنفسهم يعيشون ، يحدث لهم ان يمارسوا « حق الكسل » الذي كان يطالب به بول لافارغ) ، **والكفاءة** (الاسرائيليون يبيعوننا من هذا ... يحبون ان يستثمروا « سلميا » البلدان العربية بهذا الاسلوب) ، **والتقدّم** الخ .

اذا في الحب ، كان **نقدكم للزواج** المسيحي او (و) البرجوازي يفضي الى حماية ولو قليلا ــ تحت ذريعة عدم السقوط في فخ « الوفاء » او في فكرة « وحدة الزوجين » الخ ــ الى حماية حرية فردية ازاء شركائكم ، عندئذ لا تستغربوا كون كل الناس يتبنون بهذه السهولة الاطروحات الاسرائيلية ...

اذا كانت كلمة « صحة » لا تظهر لكم كلمة سياسية ، اذا كانت **الكليريكالية الطبية** بالنسبة لكم لا مبالية او مسألة ثانوية يجب حلها « بعد » الثورة ، عندئذ لا تتفاجؤوا بقوة اقناع الصهيونية . أليس الطب احدى أأمن قيم الاستعمار في الامس والاستعمار الجديد اليوم ؟

فكّ بناء ذهنية (تشمل النظرية والايديولوجيا) هي ذهنيتنا . ان وجود اسرائيل يرغمنا على ان نتذكر دوما الى اي درجة الفاشستية هي النتاج الطبيعي والمنطقي للديمقراطية الغربية في حالة الازمة . ولكن لعله يجب ان

يكون المرء قد روى غزلا لصبراوات (١١) شقراوات ، أن يكون قد سمعهن يتكلمن عن وجودهن كشيء ما أعمق واكثر اقلاقا من السعادة . . . ، يجب ان يكون المرء قد شارك في كيبوتز ماركسي في مناقشة أطروحات لينينية (★) ، حتى يفهم الى اي حدّ أفواههم الاستعمارية ـ الامبريالية ـ العرقية هـي توأم افواهنا .

النضال ضد دينية اللسان

الكلمات تتضارب وتتصادم في رؤوسنا ولا نصل أبدا الى التخلص منها لكي نمضي ـ أخيرا ـ الى الافعال وحدها. ان نقد الصهيونية ، نقد الذهنية ، لن يكون في يوم من الايام جذريا اذا لم يكن اعادة نظـر فـي اللسان ، وضع اللغة فـي السؤال . هنا أيضا ، لا نملك اية نقطة استناد خارجي . هذا المقال ـ من داخل أفخاخ اللغة ـ وبدون ان يدّعي لنفسه أي طهر او اجمالية ، حـاول كشف بعض العمليـات المتصلـة بالمعضلة الفلسطينية . كاسيرر Cassirer يؤكد أننا حين نتكلم نتصرّف كما يتصرّف الفكر الديني حين يخلق « آلهـة موقتة » : ما يخيف ، يجذب ، يثير ، يسمى تبعا لخاصيته الاهم او الاكثر حيوية ، ثم يموضع الها ، كائنا موجودا بذاته،

★ احدى الحجج الناجحة لفترة طويلة هي الاتية : المهاجرون يأتون من طبقات طفيلية وبرجوازية ـ صغيرة من الشتات ، بدون سند موضوعي فـي نضالهم الاجتماعي . في اسرائيل ، يتحولون الـى فلاحين وعمال ، عناصر الاساس في صراع الطبقات . ـ هامش من ج. ب ـ

وهذه الخاصية تصير جوهره ★ . هذا درب ...
une piste ... درب للبحث ..

كثيرون كسروا أسنانهم على القضية . سارتر ، مثلا ، الذي لم يستطع ان يقف على مسافة من الكلمات والذي اعتقد ضمنا انه لا يوجد الا طريقة كلام واحدة ، الامر الذي قاده رغم أنفه الى ان يتكلم كغربي و موضوعيا (★) .

كل هذا الانعطاف ، كل هذا المعراج عن اللغة ، يعقد المشكلة لا يبعدنا عن الفلسطينيين ؟ يجب اولا أن نعلم الناس ... (وبما أننا أبدا لن ننتهي من اعلامهم ، لن يكون هناك ثانيا) ... أقوالي تكون صالحة فقط لاشخاص هم من الآن مع الفلسطينيين ... ، ويخشى أن تخلع ضد هذه القضية

★ حاولت اعطاء بعض المؤشرات في مقالات اخرى .

لنذكر مع ذلك الى اي درجة كل التراث الغربي من أفلاطون الى السكولاستيك ، ومن السكولاستيك الى الديكارتية الخ ، يرتكز على مسك ديني للغة . كان ديكارت يقول : « بعد ان تعرفت على انه ثمة اله ، لانني في الوقت نفسه اعترفت أيضا بأن كل الاشياء تتوقف عليه وانه ليس مخادعا ، فبنتيجة ذلك أحكم بأن كل ما أتصوره ـ افهمه بوضوح وتمييز لا يمكن الا ان يكون حقا ... » (التأملات ، التأمل رقم ٥) . برايس بارن Brice Parain درس هذه المعضلة . انه يلاحظ ان « باسكال Pascal كاد يسقط في شك نهائي لا علاج له بصدد حقيقة اللغة ولذا يحق لنا ان نتساءل ما اذا كان يؤمن بالله بقدر ما كان ديكارت يؤمن به » ولكنه في النهاية رضخ « للغة التقليدية وبالتالي في الاخير ... لله » . (بارن : « بحوث عن طبيعة ووظائف اللغة » ، ص ٨٧ و٩٩) . (١٢) .

★ هكذا فهو يقول : « يحق ليهودي من اسرائيل ان يبقى في وطنه . بحكم هذا المبدأ نفسه يحق لفلسطيني ان يعود اليه » (مجلة le Fait Public شباط ١٩٦٩) . يكون هناك اولا المبادىء ، وثانيا لغة تعبر عنها . هذا يقود الى اللسان الاسرائيلي الولاء الذي ذكرناه في بداية هذا المقال .

عددا من المتعاطفين المكنين الكامنين ... من الضروري خلق نيار أوسع ما يمكن ...

لا ، كلا ، لا اتحاد مقدّس يضع بين قوسين بعض المشكلات بحجة أنها خارج المسألة . لقد سمعتم بالبومرانغ boome rangs ، سلاح يرتدّ ويعود الى الرجل الذي أطلقه ، هنا في صيغة الجمع] ... لقد أمكن تحقيق اتحادات متزايدة الاتساع ضد النازية او ابان حرب الجزائر ، ولكن كي لا يخلع البعض (او انفسنا !) ضدنا لم يقل جذريا كم كل الحضارة الغربية ، مخططاتنا الذهنية ، مجمل البنى التي تشكلنا وتعلمنا ، يجب ان يفكّ بناؤها (وليس البنى الاقتصادية) . النتيجة : يرمون على رأسنا أفران الحرق ، او شفيتز وتريبلنكا ، البوجرومات ومحاكم التفتيش ★ ، وبعض الذين ساعدوا جبهة التحرير الوطني الجزائرية هم في معسكر « أعدائ » نا ...

الهروب مستحيل . للفلسطينيين خوض الكفاح المسلح ★★ . لنا أن نساعدهم بعض الشيء ، أن نحاول اقامة تضامن نحيل معهم . ولكن أن ننفخ صدورنا وأن نصرخ بعض

★ ليس محاكم التفتيش ولا الجرائم الخاصة باللاسامية المسيحية . بالمناسبة ، ما سبب هذا النسيان ؟ — ج. ب .

★★ ج. ب : لا نزعم ان المجابهة مع السلطة تحصل في مستوى اللغة وحده . الثورة تشمل مستويات أخرى ، ولكن يجب ان ننتهي من فكرة ان اللغة ، مثل ورقة الحساب ، ستتبع ... لقد لامني البعض قائلا انني اجعل من اللسان علاجا طبيا . بالعكس تماما . مثلا في هذه السنوات الاخيرة ، الرجال الحاكمون في بلدان عربية عديدة أرادوا حل المسألة الفلسطينية بواسطة « سحر الكلمة » . هذا أعطانا تصريحات الشقيري . حاليا الحرب الشعبية الفلسطينية تعطي قوة لكلمة « فلسطين علمانية ، اشتراكية ، أممية » . ولكن ليس بلا أممية أيضا ان تكون هذه الكلمات « مقبولة » للغربي . علاقة (ماكرة) مع اللغة القائمة . (١٣)

الشعارات هذا لا يكفي ... لن نخرج منـه الا ّ مجروحين .
رحلة طويلة الى آخر الليل ... سينتصر الفلسطينيون . كان
بامكاننا ان نقول ذلك بشكل مجر ّد وديني . ولكننا نغير النغم
لنعلن : علينا سينتصر الفلسطينيون .

(١٩٦٩/٣/١)

شروح وملاحظات :

١ ـ كلود بورديه يستحق اكثر من ذلك . أذكر انه منذ ايام حـرب الجزائر وزيارة ديغول للولايات المتحدة ، أبدى فهما جيـدا لبعض الامور ، وسم بعض النقاط التي كانت بعيدة عن اليسار وتلمسه للدنيا ، للعـرب : فلسطين ـ جزائر ـ فرنسا ـ اميركا ـ صهيونية الخ ، في جريدة (جريدته آنذاك) « فرانس اوبسرفاتور » (نوفل اوبسرفاتور) التي .... كان لهـا قبيل عدوان حزيران ١٩٦٧ ،وقف ودور في الحملـة ، في مرض اليسـار الفرنسي . في ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢ (وربما حتى اليوم) يمكن تلخيص موقفها في: مع فلسطين ضد ... الاردن ، مع اسرائيل ضد فلسطين والعرب .

هنا ، عندنا ، تحرير فلسطين هدف بعيد ، طريق طويل ، عدة حروب، طلعات ونزلات ، « مراحل » ، « درجات » ، الخ . هذه بديهية .

وهناك ، عندكم : يجدر ان تأخذوا وعيها بالتمام . حتى لا يصاب أحد منكم او منا بخيبة ...

٢ ـ عن « قانون العودة » نقرأ في كتاب رودنسون « اسرائيل والرفض العربي » (باريس ١٩٦٨) :

« في تموز ١٩٥٠ ، صدر قانون يعتبر أساسيا . ليس لـه مواز في اي تشريع آخر . وهو ينص على أن « لكل يهودي حق المجيء الـى هذا البلـد بوصفه عوله » . عوله كلمة عبرية غير قابلة للترجمة . حرفيا « العوله » او « العلي » هو « الذي يصعد » ، يهودي يأتي للاقامة في الارض الفلسطينية.

كان قد ظهر مستحيلا (او خطرا) تعريف كلمة « يهودي » . وصدر قانون عن الجنسية بعد سنوات من النقاش ، في نيسان ١٩٥٢ ، جاء يشدد على طابع الدولة الخاص . كل « علي » له حق الجنسية الاسرائيلية حتى اذا لم يتخل عن جنسيته الاصلية » .

٣ ــ داود رمز هام في تاريخ اوروبا ، لا سيما في فن عصر النهضة (تماثيل ميكل انجيلو ، فيروكيو ، دوناتيلو) . داود ضد جوليات (جالوت) = انتصار العقل الانساني على القوة البهيمية . هذا الرمز « اخذته » اللغة « العبرية » التي يفضحها بوبيرو . حسب هذه اللغة الصهيونية ، اميركا ليست موجودة او ليست جواليات !

٤ ــ عبارة شهيرة (لـ بوالو Boileau في تاريخ الادب الفرنسي. ماليرب Malherbe (اوائل ق ١٧) مصلح اللغة الفرنسية ، أكد اللغة القومية الواحدة ، لغة باريس ، لغة شعب باريس ، لغة الحمالين على نهر السين .

٥ ــ مرة أخرى : لن أعالج هذه المسألة التي تستحق معالجة وافية تشمل كل الوجوه ولا تهمل الوجه الايديولوجي بل أقول : الوجه المعرفي ، اي المعرفة ، الصواب والخطأ . ولا شك أننا نحن العرب بعيدون جدا عن تدمير البنى الدولتية لاسرائيل . × وبالطبع ، ان محاججة بوبيرو ضد اليسار الجديد محب النضال والعمل الخ صحيحة .

٦ ــ « نقص تحليل الكوبيين في بعض المجالات » .

احب ان أذكر ان كتاب « يقظة العالم العربي » ، تأليف جاك كولان الشيوعي الفرنسي المختص المسؤول عن العالم العربي ، الصادر قبل عشر سنوات ، انما وضع بتكليف من كوبا . كوبا ليست مسؤولة عن تفاهته ، ولكن !!

ولنقل ان تفاهة وسخافة وحماقة الكتاب محصورة (!) في الفترة الاخيرة من تاريخ العرب الحديث ، حقبة ١٩٥٦ ــ ١٩٦٣ ، حيث يصبح المرجع الرئيسي للمؤلف جريدة « الاخبار » اللبنانية (وعلى الارجح ٣ او ٤ طلاب عرب في باريس يقرؤونها) . ليته اكتفى بما قبل ذلك ، اي بكتب الجغرافيا البشرية والتاريخ ، او انتظر ــ بصدد جريدة « الاخبار » ــ ثلاث سنوات اخرى قبل تأليف هذا الكتاب الجامع عن عالم يقع على مسافة قصيرة

ن بلده وحزبه ، جغرافيا ، تاريخيا ، سياسيا ،اقتصاديا ، حضاريا وثقافيا ... مؤسف أن يكون هذا أول كتاب شيوعي فرنسي في هذا الموضوع . ومؤسف الاختيار او التكليف الكوبي . المسألة أوسع من أن تكون ((فلسطين)) هكذا ، وبالاحرى اعترافا وعدم اعتراف بالدولة الصهيونية .

ولقد قيل لي ان جاك كولان في كتاب تال له (عن تاريخ الحركة النقابية في لبنان) ـ بعد تحول جريدة الاخبار والكاتب الفرنسي (؟) ـ قبض علي متلبسا بخطأ ما !... ؟... رائع : هذا خطأ وذاك خطأ !!

٧ ـ بر بوروخوف (بالخاء او الشين او الحاء او الهاء) ، يهودي روسي ، منظر ورائد حركة ((عمال صهيون)) (حوالي سنة ١٩٠٠) ، صاحب كتاب ((الطبقة والامة)) او ((صراع الطبقات والمسألة القومية)) ، جامع ((الماركسية)) والصهيونية ، مؤسس الصهيونية العمالية ...

اليهود شعب هوائي ، رجال معلقون في الهواء . يجب ان يصيروا مجتمعا حقيقيا ، (صناعة وصناعة ثقيلة وزراعة) ، فيه برجوازية وعمال وزراع وصراع طبقات ومستقبل اشتراكي ، يجب تصحيح اوضاع الطبقة العاملة اليهودية والشغيلة اليهود (بوروخوف يؤكد ((اسلافه)) ـ بينسكر ، هرزل ، نورداو اي الخط الصهيوني القومي العام ، ويتجاوزه ((ماركسيا))) . لذا يجب ان يكون لهم اقليم ، اقليم غير متطور ، فلسطين .

كقومية ، بوروخوف يتجاوز قوموية البوند .

كتطلع خارجي ، كاستعمار ، بوروخوف التقدمي والماركسي و ((العلماني)) لا يبرر : لماذا فلسطين ؟ ـ بالطبع لاسباب دينية ولاسباب سياسية : بدون فلسطين ، لا مجال لالتزام الغرب ، بريطانيا العظمى ، الولايات المتحدة العظمى ، الامبريالية ، بالاقل على هذا الشكل .

رغم الصدام بين الكومنترن والصهيونية العمالية بما في ذلك الصهيونية الماركسية اليسارية ، يجب القول ان الكومنترن فوت هذه المناسبة الفريدة ، الاستثنائية ، لتأسيس الماركسية ـ اللينينية على الجدل المادي مع مفهوم العالمية . الصدامات جزئية ، الذين يتولون الرد على منطق الصهيونية ((الماركسية)) (وهم في معظم الاحوال آتون منها او من البوند ومشغولون اكثر مما يجب trop بالمسألة اليهودية والشعب اليهودي ومصيره) يقبضون على اجزاء ، ويتحمسون ، ولكن الفهم (بالمعنى الهيغلي) لا يرتفع الى مستوى العقل (بالمعنى الهيغلي للكلمة) .

ليس هنا مكان دراسة تاريخ العلاقات ـ الخلافات ـ الصراعات بين العمالية الصهيونية الماركسية اليسارية الخ ، والكومنترن والماركسية ـ اللينينية ، ولا قضية البوند ، ولا دراسة الاشخاص اليهود الذين في موسكو وفلسطين والمشرق العربي كانوا الى حد كبير مؤسسي ومسؤولي الحركة الشيوعية عندنا في العشرينات ولا التخريفات البوروخوفية اللاحقة في مصر والعراق الخ . اعتقد أنني سأتمكن من ذلك في الطبعة الجديدة الموسعة من « تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي » . ولكن لا بد من التذكير بنقطة واضحة في الفصل الاول من الطبعة الاولى : اليسراوية ومثقفو الاقليات الثوريون . اليسراوية ليست الحقيقة . البوروخوفية عندنا كانت يسراوية. حماقة مخيفة ، لا معنى non - sens ، ضلال مبين أن نتصور أننا نقبض على البوروخوفية وما شابه وما خالف في مقولة من نوع « يمين » او حتى « برجوازية ـ صغيرة » .

بخصوص خطاب غروميكو في ١٩٤٧ ، انظر كتابي « الماركسية السوفياتية والقضايا العربية » ...

عبد القادر ، صاحب كتاب « النزاع اليهودي ـ العربي » (ماسبرو ، باريس) ، هو حفيد او ابن حفيد الامير عبد القادر الجزائري . ولكن شتان شتان ما بين الامير الوطني والمسلم والانساني (الذي ترك في سورية تراثا وطنيا انسانيا ، نقله وجهاء من طوائف شتى الى أبنائهم وابناء ابنائهم) وهذا السليل المخلوع التقدمي والعمالي والديمقراطي والماركسي وهلمجرا. قلت : المخلوع . عادة يقال عنه : مصروع . فضلت « مخلوع » ، بمعانيها الفرنسية ومعانيها العربية وغيرها ، ولعله مثال جيد عن هذه الكلمة الشعبية ـ الفلسفية ـ الحقوقية . عاش فترة في اسرائيل ، تزوج فتاة من الكيبوتز ، أتاه النور « الماركسي » او اتاه مرة ثانية (الاولى : في الجزائر الاوروبية ؟) . فكتب كتابا فيه يساند دولة اسرائيل ، وحكومة بن غوريون والجنرالات الاسرائيليين وحروبهم الديمقراطية الظافرة ، ويعزو فيه فشل الاحزاب الشيوعية العربية وعدم شعبيتها لكونها قومية شوفينية غير أممية لم تساند جذريا اسرائيل التقدمية ! ومن لا يصدق فعليه ان يقرأ الكتاب ... الذي صدر في فترة صدور كتاب جاك كولان ، ولكن عن ماسبرو. بالطبع ، ليس هنا مكان نقد ايديولوجيا دار ماسبرو المنظرة للعالم ويساره الجديد .

ولكن لا بأس من أن أرسم هنا ، عند هذا المقطع من كلام جان بوبيرو ، خريطة البيشوف ـ اسرائيل ، خريطتها الاجتماعية ـ السياسية ـ العسكرية ـ الايديولوجية ..

يمين قومي ديني وفاشستي وعسكري	وسط برجوازي قومي	يسار او شغلية او عمالية يسار أقصى
أحزاب دينية ، حزب حيروت	ليبراليون ، صهيونيون ـ عموميون .	حزب الشغل (ماباي) آحدوت مابام شيوعيون هاعفودا هستادروت (= الاتحاد العام للشغل)
ايرغون		هاشومر هاغانا ★ ، شترن ، بالماخ
دين ، نازية	ليبرالية	اشتراكية ، عمالية ، ماركسية ، ماركسية ـ لينينية .
صهيونية		

٨) حنة آريندت Hannah Arendt: كاتبة ومفكرة خارجة عن المألوف في عصرنا هذا . يؤلمني انني لم أقرأها من جهة ، وأن مشرقنا العربي يجهلها ، ودور النشر تحب الموضات ...

عن كتابها يقول مكسيم رودنسون (في كتابه : اسرائيل والرفض العربي ، القسم الاخير : المراجع ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧) : « كتاب هانا آريندت الجميل ، ايخمان في القدس ، تقرير عن عادية الشر ، ترجمة فرنسية غاليمار ، ١٩٦٦ ، الذكي الفهيم بشكل كثيف وشديد ، تلقى انتقادات عنيفة بسبب تصميمه على وزن الحق والباطل رغم التابو ـ المحرمات tabous ، بما في ذلك المحارم التي ترتكز على العواطف المفهومة والمبررة تماما . رغم اخطاء تفصيلية ، هذا المؤلف يحكم كثيرا من الموضوعات الجوهرية » .

★ الهاغانا ، قوة الدفاع اليهودي (جيش الدفاع الاسرائيلي) ، تأسست في ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ على ايد جماعة آحدوت هاعفودا ، الصهيونية الدشترا ـ ديمقراطية ....

بالطبع خريطتنا ليست مستنفدة ، ولا تحيط بالتداخلات . مثلا « العمالية » داخلة أيضا في اليمين . هناك كيبوتزات يمين .

٩ ـ أذكر أن مجلة « الازمنة الجديدة » السوفياتية في حزيـران (؟) ١٩٥٥ تحدثت عن تواطؤ وتعاون متنوع بين عملاء ومسؤولين صهاينـــة وبين النازية ، في نفس الاتجاه الذي نراه في مقال بوبيرو (وكتاب آرندت) ... شبكات تعاون ، حبال اتصال ...

عن كارل آدولف آيخمان ، نقرأ في كتاب وليم شيرر « صعود وسقوط الرايخ الثالث » (موجود بالعربية) ما يلي :

(الجزء الاول ، فصل : ضم النمسا) ... صودرت أملاكهـم . نهب قصر روتشيلد . « استطاع البارون لوي دو روتشيلد فيما بعـــد أن يغادر مدينة فينا بأن سلم معامل الفولاذ التي يملكها لمصانـــع هرمان غورينغ . حين نشبت الحرب ، ربما نصف يهود المدينة البالغ عددهم ١٨٠ ألفا كانوا قـد استطاعوا شراء حق الهجرة ، تاركين للنازيين كل أملاكهم . هـــذه التجارة المربحة بالحرية البشرية كانت تديرها منظمـة خاصة ، هـي مكتب الهجرة اليهودية ، الذي وضعه هايدريش في أيدي الا اس . اس . والذي كان وحده مخولا اعطاء اليهود أذون مغادرة . كان يديره من البداية الى النهاية نـازي نمسوي اسمه كارل آدولف آيخمان (آيشمان) ، أصله من لينتس ، مسقط رأس هتلر ، وستصير هذه الو الة فيما بعد لا وكالة هجرة بـل وكالة ابادة وستنظم قتل اكثر من أربعة ملايين من الاشخاص أغلبهم من اليهود » .

١٠ ـ « الحل النهائي » بالمعنى الاصلي هو الحل الذي وضعه هتلر ـ هملر ـ آيخمان .

حصاده : ٤ ـ ٥ ملايين من الضحايا اليهود ، من أصل حوالـــي ١٠ ملايين يهوديا كانوا يقطنون أوروبا النازية قبل بداية المـأساة . السلطـــة السوفياتية كانت تنقل الجاليات اليهودية نحو الشرق . يهود احدى المدن السوفياتية او أكثر ما كانوا يصدقون ان « الاوروبيين » يمكـن ان يفعلـوا مثل هذا ، رفضوا الهجرة ، بقوا في مكانهم ، ثم ...

فضل الاتحاد السوفياتي على الشعب اليهودي بشكل خـــاص كبير . ولكن هذا لا يزن كثيرا في ميزانهم ... حقيقة لا بأس من قولها .

رجوعا الى قضية التواطؤ والتعاون صهيونية ـ نازيــة ، يجب القول ان هذا الالتقاء (الوارد في صميم عقيدة هرزل) أقدم مـن فترة « الحـــل النهائي » .

مجلة الكومنترن تفضحه في سنة ١٩٣٧ بمناسبـة المؤتمـر الصهيونـي العشرين المنعقد ابان الذكرى الاربعين لتأسيس المنظمة الصهيونية العالمية .

مجلة الكومنترن ، التي تدافع عن اليهود كما لم تدافع عنهم بناتها الديمقراطية والديمقراطيات ، التي تكشف وتفضح المقدمات قبل سنوات من « الحل النهائي » ، في مقالات كثيرة متواترة ، والتي تبعث مقالا قديما لمكسيم غوركي ، مقالا روسيا شعبيا بروليتاريا انسانيا مسيحيا مثاليا ، دفاعا عن اليهود وتمجيدا لليهود ضد القيصرة والموظفين والبوجروم الخ ، مجلة الكومنترن la Corres Pondance Internationale تفضح هذا الالتقاء واللقاء منذ سنة ١٩٣٧ (العدد رقم ٣٦ ، ١٩٣٧/٨/٢٨) ، في مقال « الصهيونية ومخطط تقسيم فلسطين » بقلم ارنست براونر Brauner . انقل منه ما يلي :

... « أن ننتظر من هذا المؤتمر انعكاسا صحيحا عن الحالة الفلسطينية وعن الحالة الدولية ليهود ألمانيا ، النمسا ، بلدان اوروبا الشرقية - بولونيا ، رومانيا ، الخ - الذين تهددهم الفاشستية واللاسامية هو جهل وانكار لطابع الحركة الصهيونية الحقيقي » ...... « فالصهاينة هم الذين ، على ظهر الجماهير الكادحة اليهودية ومصالحها الحيوية ، اعطوا اللاساميين البولونيين والرومانيين حجة السكان اليهود « الزائدين والنافلين» في هذين البلدن ، وهي حجة الان لا يكف عن استخدامها التبرير « اخلاء » اليهود . بتوافق كامل مع مبادىء مؤسس الحركة الصهيونية ، الدكتور تيودور هرزل (« اللاساميون سيكونون حلفاءنا الاكثر أمانة ») ، القادة الصهاينة يطمحون الى اقامة تفاهم مع اللاساميين والفاشستيين ، مع مراعاة الحاجات المختلفة لكل من الزمر اللاسامية . بما ان الفاشستية الالمانية لها مصلحة في ان تعطي العالم انطباعا مفاده ان مصير اليهود في المانيا ليس البتة مؤسفا كما تزعم « روايات الفظائع المزعومة » في الخارج ، لذا فان تقرير الدكتور وايزمان ، رئيس المنظمة الصهيونية لم يلمح تلميحا واحدا لحالة اليهود في المانيا . بالعكس : ان عمل الصهيونيين الرئيسي - أعلن وايزمان - يجب ان يتركز على بلدان اوروبا الشرقية ، فحالة يهود اوروبا الوسطى والغربية ما تزال جيدة . بالمقابل ، كما منذ سنتين ، نعب الدكتور وايزمان وضع يهود الاتحاد السوفياتي ، الذين هم على حد رأيه « ضاعوا » بالنسبة للشعب اليهودي. نضال الجماهير اليهودية الكادحة ضد الرجعية واللاسامية مشاركة الطبقة العاملة اليهودية في النضالات الاقتصادية والسياسية في مختلف البلدان ، المتطوعون اليهود من مختلف البلدان في اسبانيا ، هذا كله غير موجود بالنسبة للقادة الصهيونيين . ولقد أعلن الدكتور وايزمان من جهة أخرى ان الجيل اليهودي القديم محكوم عليه بالزوال ، فهو « غبار

معنوي » ليس أكثر ، ما يهم هو انقاذ « الشباب اليهود » .

ان الطابع الرجعي للحركة الصهيونية ، الذي ترجمته جيدا هذه الخطابات ، وجد تعبيرا أفضل ايضا في مناقشة مشروع تقسيم فلسطين الذي ، كما هو معلوم ، قررته الحكومة الانكليزية . [...] . ان المكتب السياسي للحزب الشيوعي في بريطانيا قد احتج على هذا المشروع بقرار دعا بهذه المناسبة الى سحب القوات الانكليزية من فلسطين ، والغاء الانتداب واستبداله بدستور ديمقراطي يؤمن ليهود فلسطين ايضا مساواة تامة في الحقوق القومية .

ان الهيئة العربية العليا ، اذ اتخذت موقفا بهذا الصدد ، قد اعلنت ان هذه الحقوق ستمنح تماما لليهود . [...] رغم ان المسألة الرئيسية كان يجب ان تكون التفاهم مع العرب ، ولو فقط لمصلحة أمن ووجود اليهود الذين يعيشون في فلسطين ، تفضل المنظمة الصهيونية ادامة الخلاف بين العرب واليهود ، الامر الذي في نهاية المطاف يتفق مع اعز اماني المفاتي [جمع مفتي] والامبريالية الانكليزية .

[...] هكذا فالمؤتمر الصهيوني العشرون ، الذي به احتفلت الصهيونية بذكراها الاربعين ، يبين افلاس حركة زرعت ، خلال سنوات طويلة ، في الجماهير اليهودية وهم حل للمسألة اليهودية بالهجرة والاستعمار في فلسطين ، ساعية بذلك الى اضاعة كل مصلحة واهتمام بالنضال ضد اللاسامية والفاشية . »

١١ ـ صبرا Sabra : جيل الشباب الاسرائيلي المولود في اسرائيل. (صبرا = بالعربية العامية الصبير او الصبر او تين الصبر) . هذا الجيل لم يعرف اوروبا ومأساة اليهود (وهو يحتقر الجيل السابق) ، وهو نوعية بشرية واثقة ، لسوء الحظ وبطبيعة الاشياء .

١٢ ـ هذا كله جيد وهام . ولكنني اذكر بمقدمتي : هيراكليت ـ هيبوقراط ـ كراتيل ـ بارمنيد ـ افلاطون ـ أرسطو ـ غورجياس ـ الريبية القديمة ـ هيغل ، فويرباخ ، لينين . ما بين البداية والنهاية ، وهو بالطبع بالغ التنوع (ديكارت ، باسكال ، بور رويال ومنطقها وقواعدها ، بيكن ولوك ، لايبنتس والبنيانية ، روسو والتربية الحديثة الخ الخ) ، لا يجوز ان يخفي عنا البداية والنهاية وعلاقتهما او هويتهما ، وهو في رأيي يفقد طعمه بدونهما . وكلام كاسيرر يدفعني الى ما يلي : يجب ان نقرأ مجادلة ماركس ضد شتترنر .

١٣ ـ كما قلت ، في مقدمتي : « تبديد سحر الكلمة » مبدأ يجب ان نطبقه على أنفسنا . في رايي : « الحرب الشعبية الفلسطينية » = سحر الكلمة . ممكنة في المستقبل ، على أساس جملة شروط ، في الاقاليم المحتلة في حزيران ١٩٦٧ ، ليس في منطقة « البيشوف » ، ليس هكذا في « فلسطين » اللغة العربية نقيضة « اسرائيل » اللغة « العبرية » . وبالطبع نستطيع اذا شئنا (!) ان ندعو الاعمال الفدائية « حرب شعبية » . سحر الكلمة في الكلمة نفسها ، في الهوية ، اللافرق : الكلمة لا تفرق . اذن ...

اذن : من تبديد سحر الكلمة ـ الكلام الى قضية اللغة ـ اللوغوس ـ الجدل ـ المادية ، الى قضية الكائن والعمل والفكر .

« تصريحات ـ بيانات ـ صراخات الشقيري » قضية تافهة وميتة بدون هذا الامر . لسوء الحظ ، في هيريتم ايضا ، الشقيري صار مضربا للضاربين . احيانا هذا الشقيري في محله ، أحيانا لا ، احيانا هو هروب وتهريب ، وفي هيريتم التي ليست قطعا مثل الاخرين ، التي هي فعلا بداية خروج من السديم مع ومضاته ، هو درب ضائع .

شخصيا ، لم أقرأ ماذا قال الشقيري قبيل حرب حزيران . (ولا اراه في هيريتم يبدو ان كل الناس يعلمون . ربما أنا أيضا . ولم « أقرأ » معناها : اعترض على كل الاحصنة) . ولكنني قرأت قبل ذلك على لسانه انه هو ، لافض فوه ، هو ايضا ، كان دائما من انصار او دعاة « حرب التحرير الشعبية » ...

وفي مساء ٤ حزيران ، في مدينة الرباط ، في احد الاجتماعات العديدة التي عقدها شعب المغرب البروليتاري لنصرة فلسطينوسورية ومصر والاردن، قلت : بالامس كنا في الجزائر ، زرنا الساحل بين العاصمة ووهران ، الساحل الذي كان فرنسيا اوروبيا وعاد جزائريا عربيا ، ودفع شعبنا ثمن ذلك مليون شهيد في حرب طويلة شاقة وبعد نضالات مريرة كلفت شعبنا الالوف وعشرات الالوف من الشهداء . معركتنا من اجل فلسطين فلسطينية وعربية أطول وأشق بكثير وستكلفنا ملايين وملايين من الشهداء . (والشعب الفقير ، على ما بدا لي ، فهم منطقي ـ المخالف لمنطق الثائرين المحاربين ـ وكذلك المعلم الفلسطيني ـ أحد الخطباء ـ وقد شكرني بحرارة) . رأيي لم يتغير بعد الحرب الثالثة ، بعد الحرب الرابعة . بالطبع أنا أكون مخطئا اذا ، استنادا الى الخط الاساسي الانف ، ومتذرعا بهذه الحقيقة غير الجميلة ، لم يكن عندي عرض لليهود الاسرائيليين ، عرض انساني بل وقومي، اذن يتجاوز فكرة الحق العادية والاساسية ، في اطار دولة العرب القومية

واقليم فلسطين المحرر من وجود دولة اسرائيل . ولكن خطئي يكون اكبـــر بكثير اذا انشغلت بهذا الجزء وهذا المستقبل على حساب الراهن والجملـة tota lité ، اذا شرعت لفلسطين المحررة وكأننا عـــلى عتبة التحرير بالحرب الشعبية وحرب الاذاعات الشعبية ...

... والفلسطينيون لن ينتصروا الا معكم .

تضامننا مع الفلسطينيين

(نقاش حول مقال جان بوبيرو)

١ ـ رسالة رفيقة من حركة M L

ايها الرفيق العزيز ،

أشكرك على ارسالك لي مقالك « الفلسطينيون ، اللاسامية ، ودينية اللغة » . بصراحة اعترف لك انني لا أؤيد محتواه . بل أحيانا أعارضه وأعاديه .

من جهتي ، أريد طرح معضلة الواقعة الفلسطينية بحدود ومفردات الجدوى العملية ، اي القيام بتحليل عياني لموقف عياني . أنت تبدأ مقالك بدراسة نقدية للكلمات المستخدمة . أنا سأقول ، وان كلفني ذلك احتجاجات مستنكرة ، ماذا تهمّ الكلمات ، أين الوقائع ؟ فيما يتصل بتاريخ وتكوّن الواقع الكولونيالي الخام الذي هو اسرائيل ، تحيل على مقال بعيد ومفيد جدا « مجلة هرمس Hermés ليس علينا حاليا ، نظرا الى الحاح الموقف ، القيام بتحليلات نظرية للغة بدون إن نستند ونرجع الى ـ وبأن نضع أنفسنا على نفس أرض الخصم ، الذي ، هو ، رأسه محشو بتواريخ وأطروحات ـ الى التاريخ الحيّ والعياني لفلسطين العربية . هناك وقائع يجب ان نشدّد عليها ايضا وايضا ، لن نشدّد عليها اكثر مما يجب مهما شدّدنا عليها .

والحال ، بصورة مفارقة ، انت تقبل في تحليل للغة ان تضع بين قوسين التفريق الاساسي بين لاسامي [مناهض لليهود] ومناهض للصهيونية اللذين يغطيان واقعين ليس بينهما اية صلة . اذا كنت تقبل العواء مع الذئاب (اليمين الاقصى ـ النازيين ...) ، اذا كنت تقبل ان تبدو جملك المعزولة وخارج سياقها ، ان تبدو مأخوذة من « كفاحي » لهتلر ، عندئذ لا يمكنك ان تكون رفيق نضال أصدقائنا الفلسطينيين . بأي حق تجرؤ على اعطاء دروس للمسؤولين الفلسطينيين الذين هم يشددون « كل مرة يستطيعون على هذا الفرق . اقرأ من جديد النقاط السبع لفتح بهذا الصدد . لم خدمة لعبة الخصم واعطاؤه اسلحه جبرده ، لم فسر وجدان أناس شرفاء يمكن ، اذا اعلموا تدريجيا وبصبر ، ان ينضموا الى صفوفنا ؟ التفريق بين مناهضة اليهود ومناهضة الصهيونية ، هو سلفا بذرة وعي سياسي . لم جذب غضب الجماهير العربية على يهود اسرائيل **من حيث هم يهود** ، ألقيادتهم نحو مذبحة عامة للسكان اليهود من قبل جماهير نكون سابقا قد عصبناها ضد اليهود ، حين ستنتصر فتح ؟ منطق موقفك يسوقك الى ذلك .

هذا لا يعني أنني أقلل من قيمة تحليل نظري للغة ، ولكن هذا التحليل لا جدوى فيه ولا معنى له اذا حصل في وعاء مغلق وبدون مسك على الحادث العياني . والحال أنت تعتبر معي أنه قبل عام فقط ، كان الكلام عن « الارهابية » ضد مقاتلين فلسطينيين بواسل وكان الناس يبتسمون ابتسامة مشفقة حين كنا نتكلم عن حرب شعبية . منذ قليل، اصبحنا نرى مكتوبا بوضوح مصطلح المقاومة الفلسطينية لتمجيد أعمال المنظمات الفلسطينية ، والتوافق مع المقاومة الفرنسية يفرض نفسه بشكل طبيعي على نحو متزايد يوما بعد يوم .

وهذا ليس نتيجة حصل عليها على يد مثقف ما من عندنا ، يكون بقوة اقناع تحليلاته النظرية للغة قد أمن هذه المماثلة . ان على أرض الكفاح المسلح تنلعب اللغة وفي ميزان قوة يفرض نفسه شيئا فشيئا على ظهر الخصم . الانتصارات التي تحرزها فتح والمنظمات الفلسطينية الاخرى ، القتالات الحاصلة كل يوم ، المآثر البطولية مثل مأثرة زوريخ ومأثرة آثينا ، هذا كله يقسر وعي الذين يريدون ان يفهموا شيئا ما ويفتح عيونهم .

شيء آخر ، يا رفيق ، ان تهم « جوع النضالوية » التي تصدرها ضد منظمي ومشاركي لقاء ١/٢٢ قد صدمتني بشكل عميق . في الساعة الراهنة ، حيث نعيد عد وجمع قوانا ، ان لقاء تضامن مع الشعب الفلسطيني الذي يعتدى عليه ويشتم يوميا ، هو شيء هام . قرار يصوت عليه ، عناوين تؤخذ ، وها بضع عشرات من ذوي الارادة الطيبة يأتون وينمون صفوفنا ويناضلون الى جانبنا ، شارحين بنشاط وجهد لسكان سيئي الاطلاع واقع الحقيقة الصهيونية . لماذا ، بينما القضية كما تقول هي وجودنا اليومي ، حين تكون القضية اعادة قولبة ذهنيتنا ومهاراتنا العملية كي نعطي عملنا أقصى قدرة وسعة ، لماذا تمارس ، وغالبا بشكل لا يصيب ، سخريتك ازاء الذين شرعوا في شيء ما ودللوا على ولائهم نحو القضية الفلسطينية ؟

ثمة مجال لاخذ كل جملة من جملك والبرهان على لا ــ معناها وعلى رفض المعضلة الحقيقية ، مثلا فك بناء اللغة الذي تقترح القيام به بشكل مسبق في حين ان اللغة ستتبع وتلحق اذا الوقائع أجبرتها على ذلك . هذا الرفض من جانبك لهذه « المانوية المقلصة والدوغمائية » التي دعاها آخرون ، وآخرون غير تافهين ، صراعا لا يقلص ولا يذوب بين الطبقات المستغلة والطبقات المستغلة .

أيجب أن نطرح معضلة حالة المرأة انطلاقا من اجتماع عن فلسطين ؟ اذا اتبعنا منطقك بهذا الخصوص يا رفيق ، فانه سيقود الى تسجيل فصل عن النضال الفلسطيني في برنامج كل نقاش عن شرط المرأة . وأيضا ، لماذا لا يأتي كاهن ويمارس بشجاعة نقده ازاء ذهنيته الدينية الخاصة ذاتها ويكبر صفوفنا بالدعم الكتلي لقسم من جماعته . يجب ان لا ننبذ المسيحيين في هذا القتال العلماني ، انهم اخوتنا في النضال .

اخيراً ، كلمة اخيرة ، يبدو لي أن دعمنا لفتح لا يمر ّ بتدمير منهجي ومنظم لقيمنا الغربية ، أنا من جهتي أرفض هذا « الاهلاك للغرب » التي أنت تتحد ّث عنه ، لأني اميز ايديولوجيا الطبقة المهيمنة وايديولوجيا البروليتاريا . بهذا الخصوص وعن مساندتنا غير المشروطة لشعوب منصفة العواصف ، تستطيع ان تعود الى أطروحات لينين عن الامبريالية . أعتقد انه أمر يضفي الغموض على المسألة ويخدم لعبة الرجعية ان نتخذ ، ولو برفضها ، من الحضارة الغربية مرجعا . ذلك نسيان ان الاشتراكية والشيوعية مشتقتان من الرأسمالية وان ماركس استطاع ان يستخدم بعبقريته الخاصة مواد النظرية الاقتصادية البرجوازية من أجل انضاج نظريته عن فضل ــ القيمة .

بدلا من ان نشنق حضارة عفنة ولا أمل لها في البقاء والتجد ّد ، لنضع انفسنا في وجهة نظر طبقية كما يعلمنا ماوتسي تونغ وعندئذ سنرى على نحو افضل كيف نستطيع ان نقد ّم دعما نشيطا لنضال الشعب الفلسطيني العادل .

٢ ـ ردّ جان بوبيرو

ايتها الرفيقة العزيزة ،

من الوهلة الاولى ، بينما تعلنين « ماذا تهمّ الكلمات ، أين الوقائع » ، يبدو لي أن رسالتك تكشف من جهة ان الكلمات تهم ، ومن جهة أخرى ان الوقائع لا يمكن ان تبلغ الا بوساطات ، ومثلا بوساطة اللغة .

أهمية الكلمات : تعتبرين أمرا جوهريا أن نميز جيدا كلمتي مناهضة السامية ومناهضة الصهيونية . ادراك انهما كلمتان مختلفتان يبدو لك « جنين وعي سياسي » . تعتقدين انه من الهام جدا ان تستبدل في بعض الاوساط كلمة « ارهابية » وان توضع محلها عبارة « مقاومة فلسطينية » . تخشين ان تغدو الجماهير العربية « متعصبة » (وعملية التعصيب جزء لا يتجزأ من انخلاع بالكلام) (١) . انت نفسك تستخدمين قاموسا واصفا ـ كيفيا qualitatif وليس فقط وصفيا descriptif (وهو قاموس في نظري مشكوك فيه على الاقل **في الفرنسية)** : « مقاتلون **بواسل** » ، « **تمجيد** الاعمال » ، « مآثر **بطولية** » ، « **أمل تجدّد** » الخ . باختصار الكلمات دوما هنا ولها بعض السماكة . (٢) .

ثم ، أنا أيضا أسعى الى اجراء تحليل عياني لوقائع عيانية ، ولكني أفكر أنك ستوافقينني على الحكم بأن هذا لا يعني بتاتا سيادة التجربية . العياني لا يبلغ الا بانعطاف من مجردات ووساطات ، لا سيما وساطة الاتصال وبشكل أخص ، **اللغة** . هكذا مثلا ، من « البديهي الجليّ » (بالنسبة لي) ان كل مقالي هو أساسيا ضدّ اللاسامية . أنت بالعكس تفكرين أنني أخدم لعبة اللاساميين او ان منطق موقفي يسوق الى اللاسامية . هذا يبين ان الاتصال ليس بديهيا .

أنا أعتبر أنني أقوم بتحليل عياني لوقائع عيانية حين أكتشف **بنية تكريسية ـ تقديسية** ، ايديولوجيا اليهودي ـ التابو ★ ، وانني بالتالي أضع ملاحظات ستراتيجية لقيادتنا الشخصية ، ومن جهة أخرى أخلص الى ان الفلسطينيين الذين يهاجمون ايديولوجيا اليهودية ويهاجمون الذين يدافعون عنها لا يمكن اتهامهم باللاسامية . (٣) .

اذ أفعل هذا لا أدّعي اعطاء أي درس للمسؤولين الفلسطينيين (رغم انه لن يزعجني أبدا ان يكون لي معهم نقاط خلاف وان اناقشها) ولا اقترح عليهم أدنى تغيير في شعارهم وتصريحاتهم . انما ببساطة أتخيل قصة صبيّ يصرخ حقده ضد قتلة أهله . كيهود قتلوا ★★ ، اذن هو يصرخ « الموت لليهود » .

اولا ، ليست القضية ان ندعوه الى ان يصرخ هذا . القضية هي **ردّ فعلنا** ، حرجنا وارتباكنا (واسباب هذا الحرج والارتباك) حين تطلق فعلا مثل هذه الصيحات (مثلا **آنيا فرانكوس** ، صاحبة كتاب « الفلسطينيون » وهو كتاب مفيد وهام ، تتحملها بصعوبة) .

ثم ، ان صرخة كهذه ، محض تعبير عن وضع لا يطاق ، محض ثورة ، لا تعني أبدا ذبح يهود اسرائيل . تعني ، بين أمور أخرى ، أن من حق الناس ان يقولوا أقوالا لا تخضع

★ وقد اوضحت هذه الايديولوجيا في الشكل المنشور في هذه المجلة اكثر مما في الشكل الاول (الجستنتر) . ـ (ج . ب)

★★ كما رجال محاكم التفتيش كانوا يقتلون بوصفهم مسيحيين والنازيون بوصفهم ألمانا (« المانيا فوق الجميع ») . هذا نضال ايديولوجي وليس عرقية . ولذلك كما كان هناك مسيحيون معارضون لمحاكم التفتيش ، وألمان مناهضون للنازية ، يستطيع بعض اليهود ان يعارضوا اليهودية ذات النابالم . هؤلاء سيفهمون جيدا ضرورة هجمات ضد اليهودية القائمة (انظر مقال ليفين) . ـ (ج . ب) .

الامر القطعي الكنطي وبالتالي لا يمكن أن تحوّل الـــى جمل ذات مدلول كلي ــ كوني ، الى كلمات يمكن ان يلفظها أي كان في اي وقت كان . لانـــك لا تقبلين (او لا تلحظين جيــدا) حركيه ومرونه المعاني التي تتغير معانيها لذلك تؤوّلين نصي تاويلا مقلصا جدا ، في رايي .

تقليص اللغة الـــى الشعارات السياسيـــة ، حتـــى الصحيحه ، هو ، على مـــا أعتقد ، تقليص السياسي الـــى الايديولوجي .

من جهتي ، لست مستعدا لقبول (وتبني) أي شكـــل كان من اشكال الاتصال ولـــذا أنقـــد لقـــاء التضامن مـــع الفلسطينيين الذي انعقد فـــي صالة الموتواليته . سخريتي لا تصيب : لا أفكر ذلك .

١ ــ أعرف مباشرة (او بواسطة اصدقاء) عددا لا بأس به من الناس الذين هم حاليا على درجة مـــن التردّد ولكنهم سيكونون غدا مناضلين ممتازين اذا برهنا لهـــم الاكـــاذيب الصهيونية وبالتالي صواب القضيـــة الفلسطينية . ولكنهم ينفرون لا من أعمال ج د ت ف او فتح بـــل مـــن تخطيطية ودوغمائية وجمودية وتبسيطية بعض اليساروين (الحديثي العهد بمناصرتهم لفلسطين) الذين يصادفونهم .

٢ ــ أما مداخلة الكاهن (الشكل الثانـــي لمقالـــي أقل نقدية بقليل من الشكل الاول ازاء الكاهن) ، فمن المفيـــد ان نعلم أنه « الاجتماع الذي هيأ للقاء الشعبي ، لـــم يكـــن ممثل منظمة Rouge (« أحمر ») يريد أن يتطرّق الى التداخل بين الصهيونية والذهنية المشبعة بالمسيحية فـــي خطابـــات اللقاء . من جهة أخرى ، ان اصدقـــاء الكاهن الذيـــن كانوا يعرفون النص الذي كان يريد القاءه قد أكدوا لـــي أن هذا النص كان يذهب الى أبعد بكثير مـــن الطعن فـــي المستوى الديني للايديولوجيا مما ذهب اليه في الاخير . عـــلى حـــد

قولهم ، ان عداء بعض الخطباء وقسم مـــن الحضور (قسم شعر انه موضوع قيد السؤال ولم يكن راضيا عن ذلك) هو الذي جعله يلين قليلا .

٣ ــ ان أحد الاشخاص ، وهو في فرنسا منذ سنوات يناضل بأكبر عناد ومهارة ضد الصهيونية وقـد ساعد بكتبه ومقالاته على تطور قسم من « الرأي العام » ، لـــم يشأ ان يكو نأحد خطباء اللقاء ، بالضبط بسبب الشكل الذي كـان يتخذه اللقاء (٤) .

باختصار ، ثمة أناس في نظري لم « يدللوا على ولائهم للقضية الفلسطينية » بتاتا ــ فيما عدا مستوى بيانات النوايا التي أنت تمحضينها ثقة غريبة ، على مـا أجد ــ يختصرون ويقطعون ويجمدون تضامن او تطـــور البعض ، او ، سواء اراديا او بالواقع ، يضعون آخرين فـــي منأى (آخرين منـــذ سنوات يناضلون في العزلة والسمعة السيئة) في حين انهم « اهتدوا » حديثا ، وهذا الامر ليس مخجلا البتـــة ، شرط ان يحللوا مسيراتهم الفكرية ويشرحوا لمـاذا وكيف انخدعوا مدة طويلة الى هذا الحدّ .

المطلوب كما تقولين شرح الواقع الصهيوني في حقيقته . ولكن أن نصرخ شعارين او ثلاثة ، أن نلفظ بضعة أقوال مديح عن الفلسطينيين ولعن على الصهيونية ، هـــذا لا يكفي . ان عددا من خطباء اللقاء كانوا كأنهم حرّروا مداخلاتهم في المترو مستعينين بمقالين او ثلاثة من « لوموند » ليكـون بتصرّفهم بعض المعلومات . بعض الآخرين لا . في مقالي ، لـــم أضع الجميع تحت لافتة واحـدة . هكـذا فمداخلة ممثـل حركة النضال ضد العنصرية المضادة للعرب ، وبشكل عام الطريقة التي بها هذه الحركة تربط المسألـــة الفلسطينية والكفـاح المناهض للصهيونية بدراسة ونضال سياسي عـــلى العرقية

المناهضة للعرب في فرنسا ، تبدوان لي شيئا هاما وقريبا من واقعنا العياني .

ليس عندي اي رغبة في تعاطي تحقيرات منهجية . بعض اللجان الفلسطينيه ، لجان العمل الشعبي ، اللجان المناهضه للامبريالية ، الخ ، تقوم بعمل لا يمكن اهماله . ولكن كثيرين من اعضائها يؤكدون بالمناسبه انهم ضائعون نوعا ما ، أن الممارسات السياسية التقليدية يجب أن توضع موضع سؤال : غالبا ما تنكشف غير مطابقة (تخطيطية ـ تبسيطية ـ مهدّدة بخطر الانزلاق نحو اللاسامية ـ لا تسير الى النهاية ـ تترك أكواما من المشكلات معلقة ـ لا تصل الى فك حصار القوالب الصهيونية ـ الخ) .

وكي نتوصل الى الكلام بشكل واقعي نوعا ما ، بطريقة تهمّ يومية كل واحد ، عن الفلسطينيين ، عن الاضطهاد الصهيوني ، الخ ، سرعان ما نجد أنفسنا مضطرين الى الكلام عن مشكلات أخرى . اذ بعض الاسئلة « محرجة » حقا : لماذا عدد كبير من الناس الذين كانوا يريدون أنفسهم مناهضين للامبريالية ، لماذا كانوا ، حتى موعد قريب مناصرين للصهيونية (او هم لا يزالون كذلك) ؟ لماذا ، من بير بوروخوف الى الحزبين الشيوعيين الاسرائيليين مرورا بستالين ، ساند تيار ماركسي الصهيونية (انظري رودنسون الذي يشرح ان الصهاينة الاشتراكيين اضطهدوا العرب اكثر من الصهاينة الرأسماليين) ؟ الخ ... عندئذ والحالة هذه ، بما أن عناصر عديدة متباينة ظاهرا هي بالواقع مربوطة في الجوقة ، بما أننا نبدأ نلحظ التمفصلات الموجودة بين اضطهادات مختلفة ، لذا نشرع نتكلم عن « وضع المرأة » بصدد الفلسطينيين (لا أرى في ماذا هذا الامر يصدمك) وزيادة الخير خير اذا تحدّث آخرون عن الفلسطينيين في نقاش عن علاقة النساء والرجال ...

بالتأكيد ، في الكفاح المسلح تنلعب أيضا اللغــة (لــم أنف ذلك ، بالعكس ، انظري ملاحظتي الاخيرة) . اني أعــي تماما ان أعمال مقاومة الفلسطينيين تعطي قوة لكلامهم ولكــن ـ وهناك ميل شديد الى نسيان هـــذا ـ فــي الخمسينات [سنوات ١٩٥٠ ـ ...] قام الفدائيــون بأعمال كثيرة دون ان يكون لها نفس الصدى . لماذا ؟

ـ ربما لأن **الكلام** ، التعليق الشفوي او المكتوب ، الذي به أرفقت المنظمات الفلسطينية هذه الاعمال ، مختلف عــن كلام اليوم . في رسالتك ، مثــلا ، تعطين كما يبــدو أهمية حقيقية لكون الفلسطينيين ممثلين بالنقاط السبع لبيان فتح او بتصريحات ج. ش. ت. ف. وليس بخطابات الشقيري .

ـ ربما ايضا **طريقة التحليل** الماويه ألتي قام بها الرفاق الصينيون عن الامبريالية وتجلياتهــا الايديولوجية ساعدتنا على فهم وكشف **الدور الايديولوجي للمناخ الموالــي لاسرائيل في فرنسا .**

ـ ربما أيضا **أنضاج** رودنسون **للمفهـــوم النظــري ،** مفهوم « اسرائيل واقع استعماري » (بعكس جملتك القائلــة « وهذا ليس نتيجة حصل عليها مثقف ما من عندنا يكون قد أمن هذه المماثلة » . أعرف عددا لا بأس به مــن الناس الذين صاروا مع فلسطين منذ ان قرؤوا واشتغلوا عــلى مقــال رودنسون) جعلنا نخرج مـــن مسألية صهيونية الاتجــاه ، الــخ ...

مرة أخرى ، ان الوقائع الفلسطينية لا تصل الينــا الا بوساطة اللغة ، الكلام (شكل و محتوى ، قواعد ومعاني) ، وفي هذا المستوى هي لنا الاقرب .

اني لا اقترح فكا لبناء اللغة بشكل مسبق ، لا ، ولكــن ليس لدينا أي أمان او اطمئنان على ان « اللغة ستتبع » . في « مداخلاته عن الاحاديث حول الادب والفن » ، ألح ماو على

ضرورة مزاولة صراع الطبقات في المستوى الايديولوجي (حتى بعد زوال قواعد النظام الرأسمالي الاقتصاديه والسياسية بزمن طويل ، اي بصورة مستقلة نسبيا عن هده القواعد) . وقد شدّد من جهة أخرى على ان الايديولوجيا هي ، في بعض الظروف التاريخية ، الارض التي يمكن فيها كسب أو خسارة الثورة . والحال ـ نصّ كالفه Calvet بين ذلك ـ الايديولوجيا هي **في اللغة ، منذ** اللغة . وفي هذا المستوى يأخذ مكانه عمل ممكن من جانبنا (لسنا نحن نخوض النضال المسلح ، سلطتنا على البترول قليلة ، الخ ...) .

نقطتك الاخيرة ، في نظري ، هي الاكثر اساسية . ان هذه المسألة ، مسألة ضرورة فكّ بناء الغرب ، هي ، بالنسبة لنا ، مفتوحة ، وأعداد هيريتم المختلفة لها كمهمة ان تسير الى أمام في هذا الخصوص . ولكنني شخصيا أرى ان هناك وحدة ما [بعض الوحدة ، وحدة أكيدة ؟] للحضارة الغربية، لقيمها وذهنياتها ، وأنه من الممكن استخدام مفهوم بهذه الاجمالية . بعض رجال العالم الثالث يفكرون ذلك ايضا ، رجال يسعون الى رفض هذه الحضارة رفضا اجماليا (انظري رسالة استقالة ايمه سيزير Aimé Cesaire ✶ من الحزب الشيوعي الفرنسي ، على سبيل المثال) . ولكن قوتها الراهنة تفرض عليهم ان يحسبوا حسابها في نضالهم (انظري ستراتيجية فتح) . لنا ان نسهم في اضعافها كي نساعدهم على التحرر منها وعلى تخليصنا نحن منها .

بالنسبة لي ، البروليتاريا تحت وطأة السيطرة الايديولوجية للطبقة المسيطرة ، وليس ممكنا الحديث عن

[★ شاعر كبير ، زنجي فرنسي ، كان نائبا شيوعيا عن جزيرة المارتينيك . استقال من الحزب الشيوعي الفرنسي ، قبل حوالي ١٥ سنة ـ ا. م.] .

ايديولوجيا البروليتاريا الا في حـــدود او مفردات **القوة** او **الامكان** . من جهة أخرى ، هذه الايديولوجيا يجب ان تقــوم بنقد الحضارة الغربيه ولن تكون بشكل حكمي مطهرة مــــن انخلاعات او استلابات هذه الحضارة . فموضوعيا ، بقدر ما، الطبقه العامله الاوروبية « عـــلى صعيـــد علاقـــات ـ القوة الاقتصادية في النطاق العالمي هي في موقع « مستثمر » ولو بصورة غير ارادية ، ما دام تحسن سويتهـــا المعاشية يحصل على حساب العالم الثالث » (ب. برادوبت Pradewant « التطور والحضارة » ، ايلول ١٩٦٧) . (٥) .

اما عن ماركس ولينـــين ، فالنقاش مـــع رودنسون سيأتيك ولا شك بعناصر جواب . ان جملا مـــن نوع «.لست ماركسيا » او « ـــل نظريه اقتصاديه خاطئـــه » انمـــا تبين تحفظات ماركس ازاء اي تحويل لعمله الى منظومة . بالواقع، ان الماركسية الرسمية اتخذت تاريخيا موقفـــا ملتبسا ازاء النضالات غير الغربية (مـــن تحفظـــات ستالين ازاء الثورة الصينية الى موقفه الميال للصهيونية في ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩) . بالتأكيد ، من الواجب استخدام مواد من الفكر الغربي ، مـــن الداخل تماما نحاول اجراء نقدنـــا ، ولـــكن يجب أن نعـــي الافخاخ العديدة التي يشملها ذلك . في ١٩٤٨ ، بينما كـــان كل التعليم الايديولوجي الشيوعي يميل الى اقامة الاعتقاد بان الصهيونية تعبر عن الطموح القومـــي العادل لشعب (واعرف ماركسيين عديدين ظلوا يجهدون عشرين سنة كـــي يتخلصوا من هذا التعليم) ، كتبت مجلـــة برودونية الميل (مجلـــة « الثورة البروليتاريـــة ») تلاحـــظ ان « الصهيونية تحت اشكالها المتنوعة ليست بأي حال حركة قومية ، انها حركـــة عرقية ترمي الى تشكيل أمة » . كان كاتب المقال يلح طويـــلا على كل الاضطهادات التي تصيب العرب الفلسطينيين ويبين ان الصهيونية تقود اليهود « من جحيم الى آخر » (العـــدد

٣١٦ ــ حزيران ١٩٤٨) . من جهة أخرى كانت المجلة تدافع عن أطروحات تعاونياتية دخانية غامضة (٦) ! بالنسبة لــي ، هذا يبين وجوب عدم البقاء مع اورثوذكسية حتى ماركسيه ــ لينينيه بل اعتماد **انتقائية** ما رغم أخطار ذلــك (٧) . بــدون المصادقه على ادواتنا بشكل اجمالي ، يجب ان نستعير أدوات التحليل والنضال من مساليات متنوّعه وان نقــوم هكــذا بالتحليل العياني لموقف عياني دون ان نجهــل اننــا بذلك نتعاطى فعل الكلام .

٣ ــ رسالة أخرى الى ج. ب.

موافق :

حول نقائص طراز من النضالية : نقــد لقــاء صالــة الموتواليته يبدو لي جيداً .

عن أهمية نقد اللغة : عن هذه المسألــة بشكــل خاص المرجع الايديولوجي هام جدا ، وفي هــذا المستوى يجب ان يلعب قسط جوهــري مــن دعمنــا السياسي لنضال الفلسطينيين . مساندة هذا النضال لا تعني شيئا اذا لم تكن ايضا مهاجمة الايديولوجيا الرأسمالية ــ الجديدة في مبادئها الاساسية (ميثولوجيا التقنية ، الخ ...) وتبيــان كيف ان هذا الولاء لاسرائيل مرتبط بهذه المنظومة الفكرية المهيمنة .

نار على الايديولوجيا المهيمنــة ! وهرمس او هيريتم رميها جيد .

ولكنني أتحفظ ازاء انزال فضح الامبريالية الاقتصادية الى المرتبة الثانية وازاء مكان الايديولوجيا . ليست اللغــة تخلق الممارسة الاجتماعية ، بل الممارسة الاجتماعية تشترط

وتتطلب لغة ما معينة . هذه اللغة « الغربية » التي بها يجري الكلام عن اسرائيل هي نتاج ممارستنا الاجتماعيه الرأسماليه والامبريالية وكيف لنا ان ننقد هذه الايديولوجيا التي تنقل في الكلام بدون تبيان ما تحجبه وتخفيه : واقع علاقة القوة ، الاستغلال : وراء الصهيونية ، يوجد شراء الاراضي ، احتلال الاراضي ، توظيفات الرساميل ، مشاريع « التقييم » الخ (٨) . . . ولئن كان من الواجب معارضة لغة بأخرى ، فلان هناك لغة تخفي هذا الواقع (حتى اذا تقنعت وراء قاموس ماركسي ــ زائف) ولأن اللغة الاخرى تسميه وتفضحه مبينة الطريقة التي بها الايديولوجيا لها كوظيفة ان تزينه . والا فلماذا نعارض لغة ما ؟

تعليق هيرينتم :

القسم الثاني من هذه الرسالة (« تحفظ ») يعالج المسألة التي تؤلف احدى الاهتمامات الرئيسية للمجلة : **اللغة والممارسة الاجتماعية** . اذن ففي مجمل الاعداد التي ستصدر سنحاول اعطاء أجوبة على الاسئلة المطروحة هنا . ولكن لنقل فورا (وبدون اغلاق النقاش) أننا **كفرضية عمل** نعتقد ان الكلام ليس هو فقط نتاج الممارسة الاجتماعية بل هو يسوغها ويعلمها ويشكلها . من جهة أخرى الكلام ، اللغة، الكتابة ، تشمل أجل مستويات ايديولوجية ولكنها لا يمكن ان تخلط مع الايديولوجيا . ثم ، حتى لو كان الامر كذلك ، فالبنيانية (حتى اذا لم تأت بجواب « مرض ») قد بينت (**انظر مثلا** كتاب سيباغ Sebag « الماركسية والبنيانية ») ان الرابطة ذات الاتجاه الواحد التي كانت تقيمها الماركسية تقليديا بين البنية التحتية والبنية الفوقية كانت تخلي كثيرا من المعضلات وكانت جزءا من منظومة تفكير ميكانيكية . حتى اذا كنا نبحث عن لغة « تسمي » الواقع ، فان هذه التسمية ليست بأي حال **شفافية** . انها تضيف الى الواقع ، تعلمه ،

تعطيه شكلا . وما من لغة ـ وبالاحرى ما من لغة مقامة مؤسسة ـ تستطيع الزعم أنها « لاصقة » بالواقع . توجد دائما مسافة بين اللسان وما يعينه اللسان . من جهة أخرى ما يدعوه مراسلنا « قاموسا ماركسيا ـ زائفا » كان يعتبر هو الارتوذكسية الماركسية حين كان التحليل يقرّر توجيه العمل (٩) .

ملاحظات (غير مستنفدة بالطبع) :

١ ـ ألا يمكن أن يكون الامر بالعكس ؟

٢ ـ من جهتي ، مشكلتي مع الرفيقة هي عند كلمات : « الجدوى العملية » ، « الوقائع » ، « العياني » ، « العيانــي » ، « سياسي » ، « يومي » ، « الساعة الراهنة » (وضوحا ، الرفيقة تؤمن بأنه توجد في اللغة كلمات ليست بكلمات ! وفي هذه الحال تصير الكلمات محض كلمات) ، و « الحاح الموقف » ، « من حيث هم يهود » ، « حرب شعبية » ، « كفاح مسلح » ، الخ .

لسان حالها ، شعارها : الواقع ، الوقائع . لسان حالهــا الحقيقي : أنا ارى ، أنا أدرك . ـ بل قولي : أنــا أفكـر ، أنــا اتكلم ، أنا استعمل كلمات ، وابدأ بهذه البداية حتى لا يكون الواقع والوقائع محض كلماتــي ، اي حتى أسم ان الواقع امامي ، خارج رأسي . باختصار : أنا أفكر والكائن كله امامي ، مقابلي ، ضدي ، قبلتي Gegen stand . رأسي يريـد ان ينقله بأمانة ، بلا تصويف ولا تبخير ، لذا يعي انه ينقل بالمفاهيم ...

٣ ـ هل التفريق بين مناهضة الصهيونية ومناهضة اليهود بـذرة او جنين وعي سياسي ؟ ـ ليس بالضرورة . وهنا ثمة فروق لغوية ومفرداتية ، ثمة فروق واجبة داخل التفريق . والا فنحن مع ميتافيزيا الهوية تحت غطاء كلمة التفريق او الفرق ، او (اي) نحن مع ميتافيزياء الفرق !

اذا قلنا « جنين » (وهي كلمة الرفيقة وبوبيرو) ، عندئذ يجب تأكيد ان الوعي السياسي المراد ليست علاقته مع التفريق المذكور (بين مناهضة الصهيونية ومناهضة اليهود) مثل علاقة الطفل مع الجنين . واذا قلنا « بذرة » ، يجب القول ان الوعي السياسي المطلوب — غير المخصي — ليس ولا يمكن ان يكون انبساطا او بسطا لهذه البذرة (التفريق بين آنتي وآنتي).

بتعبير آخر : يجب ضرب (صفع) الابتزاز ب « اللاسامية » القائم على المثالية الميتافيزية اللغوية عدا أمور اخرى .

لاسامية an tisémi tisme ؟ مناهضة اليهود ؟ مناهضة اليهودي ؟ مناهضة اليهودية ؟

لست أبدا ضد التنظير — التوحيد — التجريد — التماثل الذي ، في اللغة الفرنسية واللغات الاوروبية ، يتخطى اللغة العربية . انه تقدم . وهو ككل تقدم يحمل امكانية « جديدة » ، « اضافية » ، للتصويف ، الضلال ، الميتافيزية ، المثالية .

شخصيا ، قد أقول : أنا « مناهض لليهود » ومعارض لـ « مناهضة اليهودي » . ولكن هذا ايضا نطق — الام — لغة . يمكن ان يوافقني عليه فلان من الناس وان نكون مختلفين على المحتوى . هذا شكل ، هذا عندي شكل ، شكل لمحتوى ، اذن شكل جدلي وبالتالي مادي تاريخي نسبي علاقي .

أنا مناهض لليهودية القائمة ، الراهنة ، العيانية . وهكذا يبدو لي امانويل ليفين مثلا ... والحيثيات كثيرة مع وضد . هناك ظروف مخففة . هناك اكثر أيضا . الواقع كبير لا يستنفد . المسألة ليست « عواطف » . أنا مثلا احب الالحان اليهودية في « افتتاحية » بروكوفييف الروسي والصور اليهودية في « لوحات من المعرض » للروسي موسورغسكي و (فيما اذا او لو سمعتها) ألحان الفولكلور اليهودي المذاعة من راديو اسرائيل او (فيما اذا او لو قرأتها) مؤلفات الادب اليبدي التي قد يكون لها الان ايضا قراء كثيرون في اسرائيل وفي الشعب اليهودي المناصر للصهيونية في فرنسا او اميركا الخ . ولكن أنا مناهض لليهودية القائمة ، الراهنة ، العيانية ، الواقعة ، السياسية بمعنى اكبر من معنى الرفيقة . وهكذا يبدو لي ليفين مثلا . والحيثيات متنوعة ، وثمة ظروف مخففة ، افهم (ولا أبرر) ، هناك اعتبارات واعتبارات واعتبارات . ولكن هذه القضية يجب أن تحسم . يجب ان يكون لكل انسان موقف منها . لكل انسان ، بما في ذلك اليهودي ، نوعا ما خصوصا اليهودي .

قد يقال : هذه لاسامية . وقد يقال العكس : هذه لا لا سامية . في

هذه الحال ، أمام هذه الهوية ، لا يبقى لي الا ان اقول : سلموا على الحقيقة .

٤ ـ لعل المقصود هو رودنسون . لا أدري .

والجدير بالاشارة هنا ان رودنسون ، خصوصا في خلاصة كتابه « اسرائيل والرفض العربي » ، ـ وهو كتاب مفيد وهام ـ يجنح نحو السلام مثاليا : هذا رأيي (وبمعنى ما هذا رأيه ، هذا ما يقوله) . يجب ان ندرس ، ان نناقش ، ان ندقق وان نفند كتابه وخلاصته . ولكني لا اتصور عملا من اجل فلسطين بدون رودنسون وآراء رودنسون . لنقل باختصار مع التبسيط : يريد السلام ، يريد الصلح ، يريد من العرب ، من الفلسطينيين ، تساهلا ، تنازلا ، مراعاة ـ عدا عن حقهم الجلي في نظره ـ لقيمة السلام ، للعالم ، للحياة البشرية (ذاكرا ان الشرق الادنى العربي لم يعش الحرب ، لا يعرف الحرب ، كما عاشها ويعرفها الروس والفيتناميون او الفرنسيون والانكليز ★) ، ولكنه مع الحق ، حق شعب فلسطين وحق العرب ، ضد الدعوى الصهيونية في أساسها وجوهرها .

موقف الحزب الشيوعي الفرنسي ، موقف كلود بورديه ، دون موقف رودنسون . انهم مع وجود دولة اسرائيل و (ربما ، على الارجح ، او على الارجح ونيف) مع حدودها كما ظهرت عقب حرب ١٩٤٨ ، مع تنفيذ قرار مجلس الامن ودولة فلسطينية فى الاقاليم الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٦٧ ، انهم في « الراهن » و « السياسي » . رغم ذلك ، اعتقد انه يجب ان تشمل حركة الانتصار لشعب فلسطين ، حركة شعبية واحدة ، هؤلاء ايضا ، وان توجه في فرنسا ضربة واحدة لاسرائيل والصهيونية عدوة السلام وحليفة اميركا في فرنسا . يجب ان تضرب « العبرية » الان . هكذا تضرب. ضربة غير قاضية ؟ اجل ضربة غير قاضية . ولكن ضربة . الكل او لا شيء = لا شيء .

وهذا يعيدنا الى ديغول ، ميشيل دوبريه ، ... ، الديغولية . يجب ان يتساءل جان بوبيرو : لعل الصهيونية غير اللغوية تبغض دوبريه اكثر مما تبغضني ، مما تبغضنا . بمعنى ما غير تافه . بالطبع « فضل ـ البغض » (« البغض ـ الزائد » فضل ـ القيمة Plus - Value) ليس مرده ان

★ وهذه حقيقة اساسية تدخل في خط تفكيري ايضا الذي ليس خط تفكير رودنسون .

دوبريه (كما قيل لي) سليل عائلة حاخامية تنصرت . من وجهة نظر الفلسفة هذا = المادية .

٥ ـ هذا أيضا ما يقوله لينين حرفيا ان صح التعبير في سنة ١٩١٦ ، قبلها ، بعدها . (و Pradewant ١٩٦٧ « التطور والحضارة » : « على رأسي » !) . ويقول ايضا (لينين) : استغلال بعض البلدان الاوروبية (الغربية المتقدمة الصناعية) لبعضها الاخر ، واستغلال اميركا لاوروبا ، هنا أيضا خلافه مع كاوتسكي على مفهوم وتعريف « الامبريالية » ، وخلافه مع الاقتصادوية اليسارية الخ .

٦ ـ هذا جيد . هذا في محله . أنا أضم ايضا الى « نظرية » نا تحذير سيمون بوليفار من الولايات المتحدة ، فضح الاسقف لاس كازاس للاستعمار الاسباني، ابن خلدون، ابا ذر الغفاري، هيراكليت ، فلسفة الماديين الهنود، وكل القيم الصالحة في حضارات الصين والهند .

ولكن هذا لا ينسيني ما هي البرودونية ، خلاف الماركسية ولينين مع البرودونية والتعاونياتية والفوضوية فى المسألة القومية وفي مجمل النظرة الى الدنيا والتاريخ .

واتذكر (١٩٦٠ ؟) انني قرأت مقالا في مجلة برودونية فوضوية فوضوية نقابية الخ قد تكون هي مجلة « الثورة البروليتارية » نفسها ، مقالا لا يختلف كثيرا عن كتاب عبد القادر !

٧ ـ هناك معنى ايجابي لكلمة انتقائية ، هو معنى الكلمة في الموسوعة ، عند ديدرو . اعتقد ان ماركس كان « يعرفه » ، ولا يمقته . ولكنه تجاوزه .

اعتقد أننا ، اذا تعرفنا على ماركس بشكل أوفى ، نكون في غنى عن الانتقائية كدواء مضاد (!) للعقيدية . أساس الماركسية : الجدل ، المادية ، مقولة « الكل » .

٨ ـ + قضية التجزئة والوحدة العربية (منذ ١٨٤٠) ، ـ انظر كتاب اوري آفنيري ، او كتاب ناتان فاينشتوك ، او كتاب ك. ايفانوف ، او (من أجل البسط) كتاب الاب حجار ، ـ قضية « الموقع » الجغرافي ـ التاريخي ـ الاقتصادي (البترول) = + العنصر او الوجه «السياسي».

٩ ـ رجوعا الى الرفيقة : « لنضع انفسنا في وجهة نظر طبقية كما يعلمنا ماوتسي تونغ » . ـ نذكر ان ماوتسي تونغ متهم من قبل الماركسية

الاخرى (السوفياتية) بالانحراف البرجوازي - الصغير والقومي والعرقي والجغرافي .

ونذكر ان « وجهة النظر الطبقية » ، هكذا ، يمكن ان تكون وجهة نظر مارتينوف ، المنشفيك ، روزا لوكسمبورغ ، بياتاكوف ، سيراتي الخ الخ وكل الذين تجادل معهم لينين ، يسارا ويمينا ، داخل صف الماركسية . المسألة كانت وهي اليوم وستبقى ما هي الماركسية ومن هم الماركسيون ، ما هي « وجهة النظر الطبقية » الصحيحة ومن هم البروليتاريون الحقيقيون . أكرر : داخل صف الماركسية ، تحت لافتة الماركسية ، تحت الاسم المشترك، وراء العلم المشترك (سواء كان العلم ماركس او ماركس - انجلز - لينين او ماركس - لينين - ماوتسي تونغ) .

هذه النقطة في خلافي مع الرفيقة وآخرين اسميهـا ، اختصرها فـي عبارة : الماركسية ام الاقتصادوية ؟

النقطة الاخرى في الخلاف هي ان الرفيقة وحشداً متنوعا مـن الرفاق الفرنسيين والعرب والطلاب العرب في الغرب في ١٩٦٩ يرون ، يشاهدون ، يشوفون « حرب تحرير شعبية في فلسطين » ، وانـا لا ارى ، لا اشاهد ، لا اشوف . هذه النقطة يمكن ان يدعوهـا فويرباخ وأن ادعوها معـه : الحدس ، الادراك ، الرؤية ، المشاهدة ... الحدس الذي ليس التمثيـل représentation . افضل ان ادعوها قضية اللغة او الفكر او المعرفة او الجدل .

وليست هذه النقطة « بعيدة » عن السابقة .

بيـــار بيرمـــان :

تبديـــد سحر الكلمـــة

قوة الكلم في المرحلة السحرية مـــن التطور الانساني

السحر بالمعنى الحقيقي للكلمة قوامه في محاولة التأثير على الواقع بطرق وحيل ترتكز على التصور الاحيـــائي ــ اذن قبل العلمي وغير العلمي ! ــ للعالم .

هكذا ان الذهنية البدائية تعزو للكلمـــات والاقـــوال ، معتبرة هويات ــ كيانات متحركة حية بـــل احيانا مجعولـــة اشخاصا ، فاعلية مباشرة على الاشياء، الاشخاص، الاحداث .

الكلمات :

معرفة اسم فرد من الافراد، عند البدائي ، مفادها ليس فقط **معرفة** شخصية ، بل ايضا وخصوصا الاستيـــلاء عليـــه لاغراض التصرّف به بوسائل السحر .

لذا في هذه المرحلة الدنيا من الثقافة البشرية ، يملـــك الانسان اسمين ، احدهما علني لكن زائف ، والآخر سري لكن حقيقي : فقط بهذه الطريقة يستطيع الحفاظ على نفسه فـــي مأمن من كل انسحار .

لذا ، حين كان على البطريرك يعقوب (سفـــر التكويـــن ٣٢ ، ٢٥) ان يصارع الهـــا لـــم يستطع التغلب عليه ، طلب منه ان يكشف له اسمه ، والاله المذكور رفض .

هو ذا السبب العميق للحظر الواقع حتى هذا اليوم على اليهود بأن يلفظوا اسم الههم .

الاقوال :

حسب الفصل الاول من سفر التكوين ، الله خلق العالم بمحض قوة كلمه : « وقال الله: ليكن الضوء! والضوء كان.. الله قال : لتتجمع المياه من تحت السموات في مكان واحد.. وهكذا كان ... » وانطلاقا من هذه المقولة للفكر السحري خلق فيلون يهودي الاسكندرية في القرن الميلادي الاول شخص الكلمة الالهي ، شخص الكلم Verbe بحرف اوّل كبير ، بداية « الكلمة التي صارت جسدا » لانجيل يوحنا البشير ، الكلم المماثل بالانسان ــ الله ، يسوع المسيح ! أليس ذلك خلقا سحريا من العدم ومرفوعا الى الدرجة الثانية !

الامتدادات الحديثة لسلطة الكلم السحرية

الكلام ككيان سحري بشكل صريح سكن أحلامنا الاولى ، أحلام الطفولة ، مع قصص Perrault و الـ « سمسم افتح ! » في ألف ليلة وليلة . لا يزال يمارس تأثيره على اي كاثوليكي حق حيث بالنسبة اليه صيغة « هذا هو جسدي » لها كمفعول أن تحوّل في الحال خبزا الى لحم وعظام الانسان ــ الله يسوع المسيح الحيّ .

ولكن ليس فقط بوقائع من مملكة سحرية او دينية هكذا يثار ويوقظ في كل لحظة البدائي الذي يرقد في كل واحد منا . منذ نعومة أظافرنا تغذينا ، كما من حليب الام ،

من ميراث أجدادنا ، وذلك خصوصا بتعلم لغتنا الام .

هكذا ، رغم اكتشافات غاليليو ، التي ثبتتها قرون من الاختبارات ، ما زلنا نتحدث عن الشمس التي « تنهض » و « تغيب » . رغم بداهة كروية الارض ، ان ملايين البشر المثقفين ، حتى غير المؤمنين ، لا يشعرون بأي صدمة او انزعاج حيال الرواية التوراتية عن الارض التي انشقت لتلتهم في الجحيم كوره وكل عصبته (سفر الاعداد ، ١٦) ، ولا حيال نزول المسيح الى هذه الجحائم ذاتها . في سنة ١٩٥٠ . ليس أبعد ، عند فجر زمن الاقمار الصناعية ، الرئاسة العليا لكنيسة رومية بوسعها ان تعلن عقيدة صعود العذراء ، اي طيران مريم العذراء جسدا وروحا « في السماء » ، من حيث تشاهد الى جانب ابنها الالهي مصائر كل واحد من بين الفانين .

مؤمنو جميع المذاهب المسيحية ما زالوا يرجون « ابانا الذي في السماوات » ! ومن ما بعد كل مذهبية طائفية ورغم أنف التصور العلمي للعالم ، التلامذة الالمان يتعلمون غيبا الابيات الشهيرة لشاعرهم الكلاسيكي فريدريك شيلر ، الابيات المعروفة عالميا بفضل كورس السمفونية التاسعة لبيتهوفن ، والتي تواصل شعريا تمثيل المؤلفين التوراتيين السماء المرصعة بالنجوم (اشعيا ٤٠ ، ٢٢ . مزامير ١٠٤ ٢): « فوق **الخيمة المرصعة بالنجوم** ، يجب ان يكون ساكنا أب رحيم » .

قبضة اللغة هي بحيث ان الكافر ما زال يروي أن فلانا قد تلوّى او تخبط « مثل ابليس في جرن الماء المقدّس » ، والملحد المقتنع بالحاده قد يجيب على سؤال : « الى اي مذهب ديني أنت تنتسب » ، بقوله : « أنا ، والحمد لله ، ملحد » !

اذ ان اللغة الذي تدخل فينا وتنفذ الينا خفية عنا هي

مودع تراث عمره آلاف السنين ويرسل جذوره الى عصر الانتقال من الحالة الانتروبويدية الى حالة الانسان العاقل . ان تعلم لغة من اللغات مندار جوهريا نحو الماضي السحيق ، نحو الماضي الاكثر بدائية للانسان . اللغة اذن هي الحليف الطبيعي الاقوى للدعاية المحافظة والرجعية .

العامل الكليريكالي والرجعي داخل الكنيسة اليهودية

في كل دين نال الطابع المؤسساتي والتسلسلي الرئاسي ، اذن في كل كنيسة ، ثمة مجال للتمييز بين التدين الشخصي للمؤمنين واستثمار هذا التدين لاغراض الاضطهاد السياسي او الكليريكالية .

داخل اليهودية ، العامل المعنوي والتقدمي للتدين الحقيقي يظهر قبل كل شيء في النبوة التي تنتصب ضد ذوي السلطان ، ضد الاقوياء .

« الذين يصدرون مراسيم ظلم وبغي ... الذين يضعون الفقراء في منأى عن الحق ويحولون لصالحهم الحكم الواجب للفقراء ... لدرجة أن الارامل يصبحن فريستهم وانهم يغتصبون حق اليتامى ... »

(اشعيا ، ١٠ ، ١ — ٢) .

وضد الاغنياء

« الذين يدوسون بأقدامهم على وضيعي البلد ويريدون القضاء عليهم ، قائلين : متى سيكون يوم السبت قد مضى كي نفتح مستودع الحنطة مع تخفيض المكاييل وتزوير الموازين ... » (عاموس ، ٨ ، ٤ س.) .

ولكن في وجه الانبياء ، الكهنة اليهويون yahirstes

هم الذين انضجوا كتب العهد القديم المسماة تاريخية بتاويلهم الاساطير الشعبية القديمة وباصلاحهم العبادة البدائيه لصالح طبقتهم Caste وحسب . بالفعل ، فالنقد التوراتي الحديث قد أقام بالادلة أنه ما من كتاب من الكتب المسماة تاريخية ولد قبل القرن التاسع ق. م. وأنها جميعا نتاج لا شخص موسى الاسطوري (الذي يفترض انه عاش في القرن الخامس عشر ق م) بل مدارس كهنوتية كان هدفها اعادة امبراطورية داود . اذ ان هذا الملك كان قد حوّل اليهوية الى دين ـ دولة وبذلك عينه الاكليروس اليهوي الى طبقة ذات امتياز تستفيد من واردات وسلطات سياسية لا مثيل لها . ذلك هو السبب العميق لزواج هذا الدين المصلح مع سياسة قومية وامبريالية شديدة . يهوه ، كافا عن كونه محض تشخيص لقبيلة من بين ألف قبيلة بدوية في صحراء العرب ، صار ، في التصور الجديد الامبريالي لما كان يعتبر آنذاك العالم ، الاله الوحيد للكون ، الاله الذي اختار الشعب الاسرائيلي كي يعطيه بوصفه شريكه أرض كنعان اولا ، امبراطورية داود ثانيا ، ومن ثم العالم أجمع .

بعد الافلاس المزري لهذه الاهداف اثر سقوط ودمار اوروشليم وهيكلها على يد الرومان ، في سنة ٧٠ ميلادية ، أخذ الحاخامون محل الكهنة . وظلوا حتى أيامنا ★ ، مع المتعصبين الذين يحيطون بهم ، الحرّاس الامناء للاطماع العنصرية والامبريالية .

★ الا انه من المناسب ان نضيف انه وجدت من البداية استثناءات حميدة جدا ! بالنسبة لكل هذا الفصل ، انظر « التغلب على الاوهام العرقية وعلى اللاسامية » ، بقلم بيار بيرمان ، تأليفه واصداره ، لوكسمبورغ ١٩٦٥ .

تحليل حالة سحر يجريها الكليرك Clercs اليهود بمساعدة الكلـــم

اذن كقاعدة عامة ، هؤلاء الكليرك [كهان ــ « علماء » ــ متعلمون] اليهود ذوو الولاء القومي والعرقي والامبريالي هم الذين استغلوا الى النهاية كنوز الجمود والعطالــة واللاتعادل والخلط الملازمة للغة ، لبلـــوغ غاياتهم الرجعية . يجب ان يكون بتصرّفنا عدة مجلدات كي نعرض ونشرح كيف نجحــوا في اصابة لساننا بهذه الغنغرينة ، عـــلى حساب كل نقاش سليم ومفيد .

مع معاودتنا الكرة في المستقبل لتقديم امثلــة أخــرى عديدة ، نكتفي هذه المرة الاولى بالطريقة القاطعة التــي بهــا المثقفون اليهود ذوو الميول الكليريكالية فرضوا بهذه الواسطة جوابهم المغلوط طبعا عــلى سؤال مـــا اذا كان اليهود يؤلفون جماعة دينية او شعبا .

لا يجهل أحد ان الاسماء الدالة على الانتماء الى جماعة دينية تكتب بحرف أوّل صغير ، والاسماء الدالة على الاصل الاثني بحرف أول كبير majuscule . يكتب : كاثوليكي من الكاثوليك ، بروتستانتي ، مسلـــم ، بحرف أوّل مــن الحروف الطباعية الدنيا ، ولكن يكتب : فرنسي ، ألمانــي ، انكليزي ، بحرف أوّل رئيسي . كـــل يُعلـم ان الصهاينة يسندون ايديولوجيتهم على النظرية العرقية ، نظرية الانتخاب الالهي لسلالة ابراهيم الفيزية ، النسل الــذي حسبهم يمثله اليهود . هؤلاء هم اذن ، في هذه الفرضية غيـــر المعقولة ، شعب الله . اقناع المعاصرين المعتادين عـــلى مسيرة التفكير العلمية وجعلهم يقبلون هذه الترهات الدينية عمليــة مآلهــا الطبيعي الفشل . ولكن من قرأ ويقرأ يوما بعد يوم في الكتب الاكثر جدية كما في الصحف اليوميـــة « ال ي يهــودي » ،

« الـ ي هود » ، « [المرأة] الـ ي يهودية » ، دائما ، دائما ، دائما ، مع حرف أول كبير ، يتشبع خفية عنه بالاقتناع غير الواعي وبالتالي المجذّر الذي لا يقتلع تقريبا ، الاقتناع بالطابع الاثني لمصطلح « ي هودي » .

لا أدري بالضبط ماذا قصد الجنرال ديغول في بيانه بتاريخ ١٩٦٩/١/٨ ب « النفوذات الاسرائيلية » التي « تحس في الاوساط القريبة من الاعلام (الفرنسي) » ، ولكن قد لا تكون هذه التأثيرات في جميع الحالات من جانب الصحافيين أعمالا قريبة من الرشوة والفساد واللانظافة ، كما كانت تسمع او تفهم الاحتجاجات العنيفة من جانب الاوساط المعنية . وفي أحيان كثيرة كثيرة ، قد لا تكون من مملكة المنطق الواعي بل نتاج تحت الوعي [تحت الشعور] المكيف والمشكل بما لا نهاية له من أساليب من النوع المذكور آنفا .

لا يغضبن أحد : ما من شخص يفلت تماما من دعاية بهذا التسلل الحذق الخبيث . سأذكر كبرهان سقطات رجال وأعمال بحجم ومدى قاموس ليتره littré ، ولاروس الكوني ، وقاموس روبير Robert .

ليتره ، الذي لن يشتبه به أحد بتحيز صهيوني ولا بجهل لقواعد الاملاء ، ولا بافتقار للحس المنطقي ، يكتب :

« الـ ي هودي هو فرنسي ، ألماني ، الانكليزي ، الخ ، مذهبه الدين اليهودي »

ما من شك : اذ يكتب ليتره « ي هودي » بحرف أول كبير ، فهو لا يفكر صراحة بأنه فرد ينتمي الى الشعب اليهودي، ما دام يعرفه بانتمائه الديني بل ويفهمه ـ يتصوّره كمواطن لبلده هذا او ذاك . في منطق واع ، اذن منطقيا وحسب ، كان يجب ان يكتب « يهودي » بحرف أول صغير .

ولكن ليتره ، مثل موليير الذي فـــي مسرحيته « البخيل » (٢ ، ١) يقول :

« كيف ؟ أيّ ي هودي ، أي ع ربيّ هذا الرجل ؟.. » ، ومثل رامبو Rambaud الذي ، فــي كتابه « تاريــخ الحضارة الفرنسية » (الجزء ٣ ، ص ١٣١) ، ينقل لنـا ان الاب غريفوار ، في ١٧٨٩ ،

« أنشأ أمام الجمعية التأسيسية لوحة عن الاضطهادات التي أصابت لتوه الـ ي هود في الالزاس ... » ، ليتره تحت تسلط الالتباس الذي ولده في تحت ــ شعوره املاء متجاوز مثل الايديولوجيا التي تكيف هذا الاملاء .

كذلك في الـ لاروس ذي المجلدين ، طبعة ١٩٢٢ ، الذي يخصص تحت كلمة « يهودي ، بالمؤنث يهودية ، اسم مذكر »:

« من هو معتنق الدين اليهودي (بهـذا المعنى ، يكتب بحرف أول صغير) : يوجد كثير من اليهود في بولونيا ... » الامر الذي لا يمنعه من ان يكتب في الفقرة التالية :

« الجمعية التأسيسية أقــرت لهــم حقوقا مدنيــة ومواطنية . ولكن ، في بعض الــدول ، الـ ي هود يخضعون لنظام خاص ... »

ومن أن يضيف تحت كلمة « لاسامي » antisémitique

« من هو ضد ، مـــن هـــو عدائـــي ، للا س اميين ، للا ي هود . »

والحال ، لئن كـــان صحيحـا ان الساميين يؤلفـون كيانا ــ هوية اثنية وان الاسم الـذي يعيّنهم يجـب اذن ان يكتب بحرف أول كبير ، فان الامر ، حسب قـول القاموس نفسه ، ليس صحيحا بالنسبة لليهود .

بول روبير ، في قاموسه الممتاز للغــة الفرنسيــة ، لا ينجو من نفس الفكرة الثابتة المتسلطة ، نتيجــة دعايــة صبورة وغير ثرثارة وعمرها مئـات السنين . ليس فقـط

يذكر بدون اي تصويب المقاطع الآنفة مـــن موليير ، ليتره ، رامبو ، بل هو يزاود بجمل من نوع :

« في ظل العهد القديم الملكي [قبـــل ١٧٨٩] ، الديـــن بالمائدة . . . كان يمارسه الـ **ي هود** » .

وعبارات من نوع :

« الحقد على الـ **ي** هود ، اضطهادات أصابت الـ **ي** هود ، **ي** هودي الماني ، **ي** هودي بولوني ، تجنيس **ي** هـود فرنسا في زمن الثورة . . . »

انا مقتنع ان روبير بهذه الكتابة لا يفكر لحظة بالنظرية الصهيونية ، نظرية انتماء كل يهود العالم لدولة اسرائيل ، ولا بازدواجية الانتماء الولاء النابعة اوتوماتيكيا منهـا بالنسبـة ليهود الشتات .

الا أنه موضوعيا يعمل مثل الطبيب الـذي يحمل خفية عنه جراثيم ينقلها الى مرضاه .

نتائـج

ان هذه الجولة السريعة والناقصة تماما فـــي ميدان الاملاء تظهر اهمية السؤال الذي وضعته في أمر اليوم جماعة « هرمس » بمبادرة سعيدة . بانتظار التوسع فـي تنقيباتنا على أراض أخرى لعلوم اللغة la linquistique ، نسرع الى استخلاص بعض النتائج العامة التي تفرض نفسها .

الامر بالنسبة للتقليد او التراث اللغـوي كما بالنسبة لأي ميراث : لا فائدة من قبولـه بشكـل منفعل متلق ، ثـم صرفه وانفاقه بلا تمييز . مـع سير صيرنـا محط ايداعه ، يقع على عاتقنا أن نخضعه للشك المنهجي ، كما كـان ديكارت يقول ، للسؤال ـ الطعن ـ الرفض Contestation ، كما

يقال في أيامنا . اي اننا بدلا من ان نقوم بعملية جرد حمقاء ، سنستبعد ما لا يصمد للفحص ، سنعدل ما نتعرّف على عدم توافقه مع نتائج البحوث الحديثة . ليس حيا في اللغة الا ما يحييه الذي يستخدمها . بعيداً عن ان تخور عزيمتنا أمام العقبات الطبيعية او التي تصطنعها الرجعية ، فلنقبل الفوائد الهائلة ولنغنها باكتشافاتنا التحريرية . وحدها الحقيقة ثورية ، وان فقط بالاستعمال الصحيح للحرف الاول الكبير او الصغير ، الاخطاء التي أدخلتها أجيال بقصد او دون قصد في تسجيل النطق الذي تركته لنا ، نحقق عملا ثوريا في مستوى مرامينا العامة .

تعليق على مقال بيرمان :

أؤيد القسم الاول والثاني والثالث واتحفظ تجاه القسم الرابع الاخير .

في عملية النقد المطلوبة ، ان فكرة السحر عامة وسحر الكلمة والكلام خاصة فكرة جيدة تماما ، أولية ، أساسية ، حيوية .

هنا أذكر دروس السوسيولوجيا للاستاذ اوجين دوبرييل ، جامعة بروكسل ★ ، كتابه « السوسيولوجيا العامة » ، P. U. F ، باريس ، ١٩٤٨ : الانسان ، العمل ، الهدف ، التقنية : تقنية آ technique A

★ بيرمان كما قرأنا في الهامش الاتف اصدر كتابه ... في لوكسمبورغ.

في العرض التالي ، لا « أدقق » ، لا أتوخى دقة التفاصيل او شمول المسألة .

ولندعها شعبيا التقنية الواقعية الطبيعية المطابقة للهدف والهدف «قريب»، ثم التقنية ب technique B ومراحلها ـ درجاتها : السحر نموذج ١ ، السحر نموذج ٢ ، الدين شكل ١ الدين شكل ٢ . التقنية ب تالية تاريخيا ، وهي تقدم ، ناتجة عن تقدم ، هنا الهدف توسع او بعد ، لم يعد قريبا ، ثمة فرجة او مسافة intervalle ، وظيفة التقنية ب المساعدة على السيطرة (خياليا) على الفرجة (مثلا بين البذر والحصاد ، الزارع لا يبقى له عمل مفيد ، يغني للمطر او يصلي لله والقديسين . كذلك نساء وشيوخ واطفال القبيلة حين يكون الرجال في الصيد « يساعدون » بالرقص مثلا)...
ان موقف الماركسية ، بوصفها مادية جدلية وتاريخية ، من السحر اليس موقفا سلبيا او محض سلبي ، ان تصور المادية التاريخية يختلف جذريا عن فكرة « التقدم » كما هي عند اوغست كونت او معاصريه الانكليز ، أو عند عمالقة القرن الثامن عشر . الانسان الاول ليس ساحرا ساحرا ، والانسان الحديث الحديث ليس ، لسوء الحظ ، بلا سحرية واحيائية والخ . حين كنت عقب حرب حزيران ، في ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، اقرا واسمع بعض الاخوان عندنا ، حين كنت أرى نفس بعض الناس خصوصا من المثقفين ـ المتعلمين و « الماركسيين » ـ « البرجوازيين ـ الصغار » : اعطوني الكلمة ! ـ ، كنت اقول : تقنية ب (مع اللعن !) ، الفرجة كبيرة (= أفهم ، أقدر ، أغفر . لعنتي على الزمن !) . الفرجة كبيرة . هذا ما أؤكده لهيريتم ، لجان بويرو ، للرفيقة ، لجيزيل بلوك ، ل ج ش ت ف و ج د ت ف ، لي ، للجميع : الفرجة intervalle كبيرة .

لا أنضم لدوبرييل Dupréel ، أضم دوبرييل وغيره لماركس . يجب ان نستند الى ماركس ، الى فكرة التملك Aneignung ، التملك في الدين والفن والعلم (المعرفة النظرية العلمية الفلسفية) والروح العملية، التملك بما فيه التملك في الخيال وبالخيال ، الاسطورة ـ الفن ـ الدين ، (مدخل ١٨٥٧ ، الفصل ٣ ، الفصل ٤) ، الى لينين ، « ما العمل ؟ » ، والدفاع عن حلم الشغيل ضد الماركسوي مارتينوف وراء غير الماركسي بيساريف ، والدفاتر الفلسفية (عن الحلم والخيال ، بمناسبة افلاطون والمثالية) ، والدين كـ « معرفة اجتماعية » (في مؤلف المصادر الثلاثة والاجزاء الثلاثة المكونة للماركسية) ، الى هذا الانزال لكلمة « معرفة » ، هذا الاعتداء على قدسيتها .

أيضا أضيف ، على سبيل المثال لا الحصر : هنري والون : « من الفعل الى الفكر » ، جان بياجه و (مثلا) تعريفه للعب le jen .

اللعب أسلوب تملك العالم بتقليصه الى الانا مع لغة مناسبة . جيد جدا ، درجة نمو هائلة بالنسبة للطفل ، درجة لازمة حيوية على سلم التقدم نحو الموضوعية . هذا (ذكاء الطفل) في خط لينين (ولينين صرح بذلك) ، وفي خط مفهوم التملك ، الذي يضع مفهوم المعرفة تحت جناح مقولة العمل .

أقرأ ثانية نص بيار بيرمان .

عنوان الفقرة الاولى : ((قوة الكلم في المرحلة السحرية بمعنى الكلمة الحقيقي الضيق au stade proprement magique

وعنوان الفقرة الثانية : ((الامتدادات الحديثة لقوة الكلم السحرية)) . أثني ، أسم ، وأضيف : لا شيء يدفعني بأن هذه الحال مبدئيا سوف تزول او تختفي في مستقبل ما . حسب الصينيين وثيقة حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا رقم ١ ، ١٩٥٦/٤/١) وحسب منطق لينين : المثالية (= الضلال) لن تزول . اذن طوبى للعبد المستيقظ ! العبد المستيقظ هو المناضل المادي ، وهذا مستحيل بدون الجدل . المادية غير الجدلية فات أوانها ، اضحت باب المثاليات الاكثر سوءا ، مثاليات زمننا ((العلمية)) المتنوعة .

اذن ، عن الجملة الاولى : حذار ان يتحول تصورنا العلمي الى تصور وضعوي = مثالي ، المثالية الاسوأ . ولنأخذ وعي ان الاحيائية animi sme ليست فقط ((خالدة)) دائمة دوام الطفولة ودوام الشعر بل ايضا دوام الانسان .

ولنعد من الجملة الثانية الى قتال ماركس المادي والجدلي ضد اشباح باور وشترنر وكلاموولوجيا الذين ضيعوا الارث الهيغلي . ولنأخذ ، بصدد ((فاعلية مباشرة)) وعي غير المباشر indirect ,و Mediate الموسط ، اذن الفكر ، = الجدل ، كأساس وفي الاساس . لولا ((اهمية)) الكلام (بدونه لا انتاج ، لا مجتمع ، لا وجود بشري) ، لولا الانسان الناطق لما كان معنا مذهب سحر الكلام الذي يرقى كما يذكر بيرمان بعمق وقوة الى الانسان الصانع ـ العاقل .

الى أقوال سفر التكوين وعملية فيلون الضخمة ، أضيف : ((في البدء كان الكلمة)) (انجيل يوحنا) وترجمة غوته المعارضة ((في البدء كان الفعل ـ العمل)) ومسألة الكلمة ـ الفعل اللغوية الفلسفية، وثلاثية الكائن ـ الفكر ـ العمل ، مقولات الانطلاق في فلسفة المادية الجدلية ، ومقولة الشكل ومسألة ((الشكل والمادة)) الارسطوية ، والثنائية ، الواحد في اثنين ، شطر الواحد الى اثنين بوصفه جوهر الجدل .

لا أرى خطرا في قول المادي الكافر عن فلان من الناس انـــه تلوى مثل ابليس في جرن الماء المقدس ، لينين يقول مثل ذلك عن هيغل ويقول الحمـد لله وشكرا لله ، الخ ، وليس فيه ذرة من مثالية فلسفية او من مذهب سحر الكلام بل ولا (بمعنى ما) ذرة من ((جمال)) لغـــوي . الخطر يأتي مـــن ((جهة)) اخرى . يأتي مثلا من تصور ان لدينـا وسائـل دينيـة او سحرية لتبديد سحر الكلام . ولعل كلمة تبديـد ، درء ، الفرنسية ، Conjurer تحمل هذا المعنى . (ولكن المشكلة ليست مشكلة كلمة ، وكلمة تبدو لي مناسبة تماما : ((فعلا)) نحن امام شيطان !)

هل ((اللغة هي الحليف الاكثر طبيعية والاكثر قـــوة للدعاية المحافظة والرجعية)) ؟

ـ نعم ولا .

لا ، لانه لو كانت هذه الاطروحة شاملة ، لـــو أخذنا هـــذا القطع الضروري على أنه ليس قطعا ، لما بقي لنا نحن أي حليف .

نعم ، شريطة ان نعي ان هذا وجه . هناك وجه آخر ، حيثية أخرى ، معنى آخر : اللغة حيادية ، لا طبقية بل قومية ، ليست بنيـة فوقية نابعـة من علاقات الانتاج ، بل هي تابعة للانتاج ، مرتبطة بعمليـــة الانتـــاج ... ستالين (١٩٥٠) يعارض انفلات ((الطبقية)) ، يؤكد مـــا ادعوه السفراطية الماركسية (وهذا الوجه نحن الان بأمس الحاجة الـــى استرجاعه كاملا) . لسوء الحظ لم يبسط هذا الوجه خارج اطار محدد ، او لم يعد منه الـــى الدفاتر الفلسفية للينين ، أخذ اطروحات من الايديولوجيا الالمانية ، أخـذ انعكاسولوجيا بافلوف وجهاز المؤشرات الثاني عن الواقع ، ولكنه ترك موال لينين الفلسفي الاساسي ، لم ينتقل الى فلسفة الاساس ، لم ينتقل مـــن ((الماركسية وعلم اللغة)) الى (فلسفة) الماركسية وحسب tout court وبصدد اللغة ، كان عمله الايجابي تكريسا او تشريعا لاهمال الوجـه الاخر ، لاهمال علم معاني الكلمات وفلسفته ، ترك هذا الامر للفلسفة الرجعية ، اي انه أخذ اللغة lanque , lanqaqe الخ (المصطلح ليس مهمـا بل السياق هو الذي يحدد معنى الكلمـــة حتى الواحـــدة ، في الفرنسية والعربية ..) بمعنى ولم يأخذها بمعنى آخر . كل فلسفتنا يمكن ويجب ان تكون بسطا لكلمات بسيطة كبيرة شائعة (كائن ، فكر ، طبيعة ، روح ، عمل ، انتاج ، شغل ، الخ) بسطا جدليا علاقيا .

وشريطة ان نعي ان اللغة يجب ان تصير حليفنا الطبيعي الاقوى والاكثر أساسية . واعتقد ان هذا اتجاه او معنى هيريتم ـ بوبيرو ـ بيرمان الخ .

ان موقفي هذا ـ تأكيدي على الفلسفة ضد التجريبية والوضعوية وشبه ـ العقلانية والعلموية والعلمانية ، وضد الفرنساوية التي تتصور نفسها امتدادا لليعقوبية والفولتيرية والديكارتية في القرن العشرين (وكأن الماركسية امتداد والالمانية انحراف عن العقل السليم والجدل غموض ومعميات) وما هي الا أشباحهم ★ ـ ، بعيدا عن ان يهمل نقد « الكتاب » ـ العهد القديم ـ « التاريخ المقدس » ، انما يعطيه كامل مداه على قاعدة فلسفية صلدة .

أذكر هنا ، بمناسبة موسى وامبراطورية داود وسفر التكوين ، بأن موسى يفترض انه عاش في القرن ١٥ ق م كما ذكر بيرمان ، بأن التاريخ العبراني يقسم الى عصر البطاركة (ابراهيم الخ) ، ... ، عصر القضاة (جدعون ، شمشون الخ) ، عصر الملوك (شاول ، وداود ، وسليمان حوالي ١٠٠٠ ق م) ، ثم انقسام المملكة وضياعها والسبي الى بابل وعصر الانبياء ... ، بأن الله خلق الكون (السماء والارض والنور والمياه والحيوانات) في ستة ايام ، الانسان ـ آدم في اليوم السادس ، وارتاح في اليوم السابع (السبت) ، وذلك حصل منذ اقل من ستة آلاف سنة ، اي قبل التاريخ الميلادي بأقل من اربعة آلاف سنة (نحن الان في سنة ٥٧٣٤ عبرية) ـ عاش منها شخص ماتوزالم ، البطريرك ابن أنوخ وجد نوح ، ٩٦٩ سنة اي سدس مدة تاريخ البشر والنجوم . هذا أمر لعله بات متجاوزا في الغرب (ولكن اعل مئات الالوف من طلاب المدارس الكاثوليكية في فرنسا ما زالوا يقرؤون هذا !) ، ليس عندنا . ولكن مصيبة « أخرى » ان يتصور احد منا أنه بتحرره من هذا انما بلغ مرحلة المادية الصافية . من الممكن ان تتخلص البشرية قريبا من هذه الصورة ، من هذا الشكل للدين والمثالية والاحيائية الخ ، ولكن من المشكوك فيه (!) انها ستكون بذلك قد تخلصت من المثالية والدين والاحيائية والسحر . بخصوص الخلق ستة ايام ومليون مليون مليون سنة شيء واحد . بخصوص الاسطورة ، القرن العشرون خلق أسطورات بالغة السوء ، بلا مضمون ايجابي مفيد ، وكثيرا ما يحول « ماركسيون » تاريخا حديثا وحديثا جدا الى أساطير .

من جهة أخرى ، أتساءل ما هو موقف جماعة « القاموس العقلاني » الفرنسي ـ ناقدة وكاشفة ابراهيم وابرام ونوح وموسى والعهد القديم

★ وهنا أحيي في الماركسية الفرنسية لما قبل ٢٠ ـ ٣٠ سنة رجلا من طراز آخر : هنري لوفافر .

والسحر الخ ـ ، ما هو موقف هذا الحشد مـــن علمـــاء شيوعيين وغير شيوعيين ، ماركسيين وعقلانيين غير ماركسيين، من ... قضية فلسطين مثلا.
مقال بيار بيرمان خروج ، بدايـة خروج عـلى هـذه الحال الفلسفية والسياسية في آن .

أتحفظ على القسم الاخير . لا اعترض على ان كتابة « ي هود » بحرف أول كبير ساعدت في اتجاه اعتبارهم (جعلهم ؟) شعبا ، ساعدت في الاتجـاه الاسطوري ـ الواقعي . ولكن لعله يجب القول ان التردد او الحرج البادي في هذا القاموس او عند هذا الكاتب يعكس تردد او حـرج الواقع . عنـوان مقال جيزيل بلوك « الفرنسيون اليهود بين التمثـل والصهيونية » وليس « الـ ي هود الفرنسيون ... » ، ولكنه على كل حال ، الموضوع هو عـلى كل حال ، « الفرنسيون اليهود بين التمثل والصهيونية » . وتاريخ يهـود اوروبا بين ١٨٠٠ و ١٩٠٠ يمكن ان يعنون « اليهود بين التمثـل والقومية الخاصة » . ومع الـ اللغة الفرنسية قد تكون « متقدمة » على سائر اللغات من حيث عملية الضبط القاعدي فلعله يجب القول انه ما من ضبط قاعدي كامل مطلق في أية لغة من اللغات . نوعا ما ، موليير ، رامبو ، الخ ، يعطون اليهود هوية غير دينية ، ليست محض دينية . هل هم عـلى باطل تماما ؟ الالزاسيون الذين ثاروا على اليهود واعتدوا على اليهود الخ هـل كانـوا ثائرين على جماعة دينية ؟ شخصيا لا ارى كيف يمكـن ان يقول ، ان يكتب موليير في المقطع الشاهد « أي يهودي ، اي غ ربي هذا الرجل ؟ » ، ارى في كتابته مماثلة قصدية ربما وراءها تماثل واقعي . لا أدري ... اخيرا : أنـا استسلم ، أتخلى ، قد يكون بيرمان على حق تماما من وجهـة نظر الامـلاء وقواعد الكتابة . (وبوجه الاجمال ، اذا خيرت بين طهرانيي اللغة وكاويتبي وكتاب هذا الزمن ، فأنا مع الطهرانيين ومع صاحب الركن اللغوي القاعدي في جريدة لوموند ضد هرطقات بعض الكتاب في حقول شتـى . استعمالهم للضمير النسبي ـ اسم الموصول يحيرني أحيانا . واكتشف فـي عـدد مـن « لوموند » ان هذه الحيرة ليست ضعفا مني بقدر ما هي خروج من عندهم على قاعدة راسخة ، على أصول لغوية فرنسية تعلمناها في صغرنا) . ولكني لا أرى كيف صرف بيرمان (اي انا أرى انه صرف) معضلته الاصلية وهـي « جماعة دينية أم شعب » . اليهود غير المؤمنين غير الممارسين هل كفوا بذلك عينه عن كونهم يهودا ، كفوا بكل المعاني ؟ » جماعـة دينيـة أم شعب « ثـم « الاصل الاثني » ؟ ألا يوجد مكان وامكان لغير الهويات الثلاث ، او بالحقيقة

(في منطق بيرمان) لغير الهويتين الاثنتين ؟ وهـل هـي هويات ميتافيزية ، مستقلة ، جامدة ؟ ((شعب)) و ((جماعة اصل اثني)) هل هما مقولة واحدة؟ وكل من هذه المقولات الثلاث هل هي مقولة لا فرقية ؟

مثلا ، جيزيل بلوك (ومقالها في نفس الملزمة مـع مقال بيـار بيرمان) تقول : ((ان معضلة الايمان لها [في الدين اليهودي] طابع غير الطابع الذي ترتديه في المسيحية)) . ((اليهودية ليست تمامـا او ليست فقط دينـا . نابوليون الاول ، القرن التاسع عشر صنعوا ـ فبركوا فرنسيين اسرائيليين يذهبون الى الصلاة مساء الجمعة كما الفرنسيون الكاثوليك الى القداس)). ((ان حماية طهر ((العرق)) بتجنب الزيجات المختلطة معتبر بوجـه الاجمـال أهم من الذهاب الى الصلاة)) . وتقول : ((اليهودية الراهنة هي على الاقل دين قومي واثني ، hélas ، وذلك رغم اتجاه كلي كوني)) ، وهذا مـا يقوله بيرمان ايضا ، اللهم اذا فهمت كلامه .

أعود الى قراءة القسم السابق : ((...... امبراطورية داود ، ديـن دولة ، كهنوت يهوه ، زواج هـذا الدين المصلـح مـع سياسة قوموية nationaliste وامبرياليـة متطرفـة حـادة .... حراس امنـاء للاطماع العرقية racistes والامبريالية ...)) . لا اعتقد اننـا اذا قلنا هناك (جيزيل) : ((دين قومي national واثني)) ، وقلنا هنـا (بيار) : ((قوموي وعرقي)) ، تحديدا لطابع الدين ، لاتجاهه ، يكون ثمـة فرق . ولا أبدد هذه النقطة اذا قلت (بيـار) بعد ذلـك كمدخل القضية الاملاء ((.... ام شعبا peuple .... الاصل الاثني)) . او لعل بيار بيرمان يعتقد ان الدين بوجه عام هو الدين فقط وانـه لا يكون الجماعة ولا يكون اي نوع من جماعة (= من اشتراك) ، اية جماعة لها اي نوع من صفة قومية بل أقول ((مجتمعية)) . هنا في رايي ثمة تماثل بين اليهودية والاديان الاخرى (المسيحية ، الاسلام ، مذاهبهما الخ) : كلهـا تكـون جماعات ، وفكرة ((الامة الاسلامية)) موجودة وليست باطلا ١٠٠٪ ، وكذلـك فكـرة ((الامة المسيحية)) في طور ماض من التاريخ سواء استعملت هذه العبارة او لم تستعمل او استعمل غيرها (وكلمة امة وكلمة nation كلاهما مـن ((أم)) او ((ولادة))) . واذا كان الدين لـه طابع قومي او اتجاه قوموي ، طابع او اتجاه اثني سلالي عرقي ، عندئذ فان هذا الفرق له نتائج واقعية في المستوى او الوجه او العنصر ((القومي)) . جماعة الدين تميل الـى جماعة من نوع ((آخر)) . ليس هناك فرق بلا هوية ، اختلاف بلا تماثل ، لا أميـل

الى جعل الواقع الديني اليهودي خاصا ـ خاصا ـ خاصا ، ولكن الفرق أكيد ، الخصوصية ا بيدة .

ولكن ربما ما يجب ان اقوله ضد بيار بيرمان هو ان فكرة بيار بيرمان عن العلاقة بين الكائن والفكر ، بين الفكر والكائن ، (= المسألة الفلسفية الاولى ، العليا) ، فكرة غير جدلية : الكينونة هي الكينونة والفكر هو الفكر ، التعارض مطلق في كل الحالات ، اذن خارج اطار المسألة الفلسفية الاولى... هذا خطأ ، بل في هذه الحال اي بهذا التصور الفلسفي المادي غير الجدلي ، تفقد مقولتا الكينونة والفكر طعمهما ، تفقد المادية معناها .

بدون ان يكون باستطاعتي او من واجبي أن أجرد دنيا البشر السلالية المجتمعية والقومية ، أرى ممكنا وواجبا ان نقول في آن : ١) اليهود ، في الدنيا المذكورة اللامتناهية في تعييناتها ودرجاتها ، حالة خاصة ، استثنائية ٢) هذه الخصوصية الاستثنائية لها في جميع وجوهها تماثلات مع حالات اخرى ، مع جماعات أخرى ، في العالم الفسيح ، جغرافيا وتاريخيا . ثمة جدل مادي ، ونوعا ما ، بمعنى ما ، الحالة اليهودية حالة ـ حد أخير cas limite .

« المثقفون ـ المفكرون اليهود ذوو الاتجاهات الكليريكالية فرضوا بهذه الطريقة liraiع جوابهم المغلوط بداهة éirdemment على سؤال معرفة ما اذا كان اليهود يؤلفون جماعة دينية ام شعبا » . ـ انني لا افهم تماما . ولكنني لا أؤيد تماما هذا الخيار الثنائي ، "معرفة ، على صعيد المعرفة ونظرية المعرفة ، في ١٩٦٩ .

حتى حين لينين يقول ما يشبه ذلك في ١٩٠٣ ، يجب ان نكون دقيقين ، ان لا نكتفي بالشبه ، ان نضع الكلام في سياقه ، وان ننتبه الى ما يقوله لينين في أوقات أخرى ، وان نتذكر ان الحكم السوفياتي عامل اليهود كقومية ، أجل خاصة ، ولكن قومية .

في ١٩٠٣ ، يشن لينين حملة منهجية مركزة على البوند ودعاويه التنظيمية والفكرية ... ، ويعلن ان فكرة الامة اليهودية فكرة مناهضة للعلم بشكل مطلق ، رجعية وصهيونية بشكل مطلق . (علما بأن بين البوند والصهيونية هوة ، ان البوند رعى المؤتمر الاول لحزب الماركسيين الروس في مينسك ١٨٩٨ ، وانه جزء من هذا الحزب العمالي الماركسي الروسي ، وأنه ، بعد تاريخ طويل ، بوندي ومنشفي وبرجوازي ـ صغير ، سيحل نفسه في ١٩٢١ ، سيغرق نفسه وسينضم اعضاؤه الى الحزب الشيوعي البولشفي الروسي وفق الشروط العامة وذلك في لحظة بالغة الحرج من

تاريخ الحزب ووحدته الداخلية) . لينين مع التمثل (تمثل اليهود) بشكل مطلق ، ولينين مدرك قيمة الفكرة ، فاعلية الافكار ، وشرانية الفكرة القومية اليهودية . واضيف ان الاختمار الفكري القومي او القوموي اليهودي المعارض للتمثل (هس ، حركة الهاسكالا ، بينسكر ، نشاط الاليانس) كان تمهيدا لقيام او تأسيس الصهيونية ، وبالاصح كان جزءا عضويا في سير نشوء الصهيونية ككل واحد ، وان القومية ـ القومية كانت وجها أساسيا في الايديولوجيا والحركة والنشاطات الصهيونية قبل التأسيس وبعده (هس ... ، بينسكر ، هرزل ، نورداو ، بوروخوف الخ) . بتعبير آخر : اني أؤكد صواب موقف لينين بشكل مطلق . (واترك لمن يشاء ان يعترض على كلمة ((مطلق)) ، المألوفة في قاموس لينين ، والثمينة . بعض الناس يعتقدون ان ((مطلق)) = ميتافيزية ، وانهم جدليون اذا استبعدوا ((المطلق)) وكلمة ((المطلق)) ....) .

بالطبع ، وبالبداهة (بالبداهة المادية الجدلية التاريخية) ، هذا يفترض ان الفكرة القومية اليهودية الصهيونية ، والبوندية ، والبرجوازية الليبرالية ، لا تنطلق من عدم قومي مطلق ، بل من موجود قومي ما (مهما كان شاحبا ، مهما اختلفنا على تصويره) .

هذه الفكرة القومية اليهودية هي صهيونية ، في نظر لينين ، حتى في شكلها البوندي . (البوند ضد الصهيونية ، ضد الهجرة الى فلسطين ، مع الييديش ضد العبرية ، مع بقاء اليهود في روسيا ومع الثورة في روسيا ، مع حل المسألة اليهودية القومية في روسيا ، وبدون دولة قومية يهودية ، مع الحياة ((القومية)) اليهودية في بلدان اوروبا الشرقية ، مع تنظيم مستقل للشغيلة اليهود بوصفهم يهودا) .

هناك في صف اليهود في ١٩٠٠ ـ ١٩١٤ عدا عن البوند ، وعن الماركسيين غير البونديين من بلاشفة ومناشفة الخ (وجميعهم مبدئيا من انصار التمثل) ، وعدا عن الصهيونية والصهيونية العمالية ، حزب ((قومي)) يهودي برجوازي ليبرالي (او احزاب) عدا عن اليهود البرجوازيين المتمثلين وانصار التمثل . اذن : اليهود في روسيا واوروبا الشرقية موزعون فكريا وسياسيا (عدا عن المتمثلين تماما في الخريطة السياسية ، اي : من جهة الماركسيون غير البونديين ـ مناشفة ، بلاشفة ، تروتسكي ، روزا لوكسمبورغ الخ ، نسبة كبيرة جدا من كوادر المنشفيك ونسبة جيدة عند البولشفيك ايضا ـ ، ومن جهة اخرى يهود الحزب البرجوازي العام) بين حزب (او احزاب) صهيوني ، وبوند ((عمالي)) ،

وجماعات قومية يهودية برجوازية ليبرالية ، مع تداخلات متنوعة لا حصر لها . وهذا ـ هذا الوجود السياسي الخاص المنفصل ـ مظهر من مظاهر حياة قومية حديثة ، ووجه من وجوه الشر في نظر لينين ورفاقه وستالين ، وبشكل وآخر في نظر ماركسيين آخرين . وبالطبع ، انهم اذ يؤيدون التمثل الطبيعي التلقائي النابع من حركة التاريخ فانهم يعارضون الدمج القسري ، يحاربون اجراءات الحصر والتمييز ، يفضحون الاوتوقراطية والبوجرومات وجو البوجروم واللاسامية المتنوعة ، ويعتبرون قضية اليهود احدى القضايا الهامة في الثورة الديمقراطية في روسيا ، ويؤيدون حرية اللغات ضد السيادة الدولتية للغة الروسية ... لا المسألة اليهودية محض مسألة قومية (ولا هي مسألة قومية تماما) ولا المسألة القومية عامة هي محض « المسألة القومية » .

الفكرة القومية اليهودية تنطلق من موجود قومي ما . موجود قومي صغير جدا في نظرنا و (يمكن القول) في نظر الصهيونية . ليس في نظر البوند . البوند يخترع (يتبنى) نظرية أخرى في الامة ، مفهوما آخر ، نظرية موازية معارضة لنظرية ماركس ـ انجلز ـ كاوتسكي ـ لينين نظرية ثقافية ـ نفسية ، معارضة للنظرية التاريخية ـ الاقتصادية ، او اللغوية ـ القومية ـ التاريخية ـ البرجوازية ، يتبنى مفهوم أوتوباور ـ رينر ـ روزا لوكسمبورغ ضد مفهوم ماركس ـ انجلز ـ كاوتسكي ـ لينين هذا المفهوم النمسوي ـ البوندي وظيفته ، عند البوند ، في راس واقلب البوندي ، تضخيم الوجود القومي اليهودي . اليهود أمة حتى وان كانوا يتكلمون لغات مختلفة ، لغات الشعوب ، حتى وان كانوا بلا اقليم مشترك خاص ، حتى وان كانوا مشاركين في الحياة الاقتصادية العامة وفي النضالات الاجتماعية والسياسية والفكرية العامة وفي الثقافة الحديثة العامة بدرجة كبيرة . لهم طابع نفسي ـ ثقافي خاص ، قومي . هذا الموقف الذهني البوندي يتخطى نظرية باور ـ رينر كثيرا ، يخالفها .

يمكن القول ان الصهيونيين اكثر واقعية بكثير . يمكن القول انهم ، ازاء نظرية ستالين في الامة وخط الماركسية والخط البوندي ، يؤيدون ستالين والماركسية ، يعون ـ عمليا ـ أن « بعض بقايا من طابع نفسي ـ ثقافي قومي قديم » حتى اذا ضوعفت خمس مرات واذا أضيف اليها بضعة أمور أخرى لا تؤلف أمة ، أمة بالمعنى الحديث ، أو بالمعنى الحقيقي . ولذا ـ ان صح هذا القول : لذا ـ فهم يريدون لغة قومية (هي العبرية ، المرتبطة بالتاريخ والاسطورة ، بالطابع النفسي الثقافي الخ ، يبعثونها) .

واقليم قومي خاص مميز (هو فلسطين) و ((حياة اقتصادية مشتركة))
(العلامة الستالينية الثالثة) وملامح نفسية ـ ثقافية مشتركة أكبر بكثير
من ((بقايا)) آخذة في الافول . ((فقط)) يعيبون على نظرية ستالين ـ لا
سيما كما ثبتها فيما بعد ، وكما فهمتها وطبقتها الماركسية الستالينية خارج
روسيا ـ كونها تلغي الدولة ومسألة الدولة (تذبحها على مذبح نظرية
التعريف) ، والخارجي والعالم والايديولوجيا والسياسة . وهرزل
المؤسس عنون كتابه ((الدولة اليهودية)) وقال للامبريالية ((سنقيم هناك
في فلسطين مخفرا أماميا للحضارة ضد البربرية ، لاوروبا ضد آسيا)) .
هذا منطق الصهيونية ، وعبقريتها . بالمقارنة البوندي ـ البوندي رجل
ساذج ، ولا استطيع الا ان أتعاطف معه تماما (((بشكل مطلق))) .

ولكن لا أستطيع الا ان أتعلم من الصهيونية . أوجه كلامي للماركسية
الستالينية التاريخوية الاقتصادية وأقول : أين ـ في مفهوم وواقع الامة
التاريخي ـ موقع الدولة ؟ أين في ـ نظرية المسألة القومية ـ العوامل التي
خارج المسألة المذكورة ؟ أين العالم ؟ أين السياسة ؟ أين الامبريالية
والصراع مع الامبريالية ؟ وفي الفلسفة خفضوا ((كل)) فكرة ((التعريف))
définition أعيدوا مبدأ التحديد ، مبدأ العلاقة verhaelnis ،
أعيدوا المعرفة .

الصهيونية مبالغة هائلة في ((السياسي)) ، في ((الصناعي)) او
((الصنعي)) ، على ظهر ((التاريخي)) و ((الطبيعي)) ، مبالغة في البرجوازي
ـ الاوروبي ـ البروميثيني ـ الفاوستي . هي والذي أوجدها وأحبها
سيدفعان الثمن . يريدان ان يدفع النوع البشري الثمن معهما ؟ اذا تحولت
حركة الرفض العالمية الى خط ، هذا لن يكون !.

ولكن لنترك الصهيونية . ولنرجع الى روسيا والبوند ومسألة القومية
اليهودية . بعد لينين في ١٩٠٣ ، ننتقل الى عام ١٩١٣ .

البوند يضخم الموجود القومي اليهودي ويقيم أمة يهودية في رأسه مما
يسهم في انماء وتحويل الموجود خارج الرأس . ستالين في ((الماركسية
والمسألة القومية)) يفند فكرة ((الامة)) اليهودية ، يدحض هذه النظرية ،
بشكل واضح وصحيح ، على أساس العلائم الاربع (لغة ، اقليم ، اقتصاد ،
ملامح نفسية ثقافية) ، يرفض فكرة الامة اليهودية لعدم توفر هذه العلائم ،
ولكن لا يفوته ان يذكر ان هذه الجماعة (او النوع او الصنف) ـ اليهود ،
يهود روسيا ويهود العالم ـ التي لا تتوفر فيها شروط ومقدمات الامة انما
هي جماعة لها بقية من العلامة الرابعة ، بقايا من طابع نفسي ـ ثقافي ـ

قومي ★ ، تراثي ـ تاريخي ـ ديني . حرفيا هذا يعني : اليهود ليسوا أمة ولكنهم ليسوا عدما مطلقا من الناحية القومية . العدم المطلق المذكور ككل عدم مطلق علاقته واهية بالعقل السليم . ولكن حين نفقد العقل السليم (وهذا يحدث) نقول : الملامح النفسية ـ الثقافية سمة للامة ، الدين لا ، بدليل ان ... ، (لا بجميع المعاني ، ودليل يلغي دليلا آخر) ، ونجعل الامرين هويتين ميتافيزيتين متخارجتين مثل الارض والمريخ او « اكثر » .

في هذه السنة ذاتها (١٩١٣) ، بعد صدور مقال ستالين ، يعود لينين الى المناظرة على المسألة القومية بوجه عام (يضع اول مؤلفاته الخاصة بهذه المسألة) ولا سيما الى محاربة البوند على المسألة القومية عامة ومسألة اليهود خاصة ، يحارب قومية البوند من ألف الى ياء . يعارض النظرية السيكولوجية ـ الثقافية ، النمسوية ، البوندية ، ويفند دعاوى البوندي ليبمان . قراءة هذا المؤلف « ملاحظات نقدية على المسألة القومية » ضرورية دائما ، في جملة قراءة كتابات لينين عن المسألة القومية والكولونيالية وجملة اعماله بوجه عام . وضرورية دائما قراءة دراسة مكسيم رودنسون النظرية الصادرة قبل نيف و١٥ سنة عن ستالين ولينين والمسألة القومية ومسألة اليهود . شخصيا أخالف رودنسون ربما في اكثر من نقطة (اعتقد ان فكرة « النظرية التاريخية ـ الاقتصادية » للامة جوهرية تماما) ، ولكن لا جدال في ان رودنسون فتح فتحا عظيما . ثمة درجات في الواقع القومي ، بهذا المعنى « الامة » شيء (مفهوم لشيء) قديم تماما ، والعصر الحاضر جامع في العالم « الامم » ذات الدرجات المختلفة (ليس عبثا لينين يدعو الامم البدوية في تركستان « أمما ») الخ . ثمة فروق بين لينين وستالين ، فروق حادة ، ثمة فرق في طريقة الاقتراب ، في طريقة التناول الخ ...

هنا في هذا الكتاب ، في هذه الحرب التي لا تلين على قومية البوندي ليبمان ، يستعمل لينين عبارة « الامة اليهودية » بلا مزدوجات ، بشكل ايجابي ، في سياق ومع مضمون محدد ، ويتجه نحو معالجة مسألة اليهود

★ ناجي علوش (الماركسية والمسألة اليهودية ، دار الطليعة ، ١٩٦٩ ، ص ٤١) ينقل هذا الشاهد من ستالين : « ... الدين واصلهم المشترك وبعض بقايا الطابع الوطني ... » اي القومي nationale ، ولكن كأنه لم يفعل .

في روسيا الديمقراطية والثورية والبروليتارية بوصفها مسألة قومية ★ . مبدئيا ، بحكم الخط العام لنظرية المسألة القومية ، لينين والماركسيون مع التمثل ، وبالاحرى مع تمثل اليهود تمثلا تاما ، ولكنهم ليسوا مع القسر ، مع التمثل القسري ، بل ضده . الديمقراطية بند أول في حل لينين وستالين والماركسيين لمسألة القوميات في روسيا . وبحكم الجدل المادي وواقع روسيا القومياتي ، عالم روسيا بمعان عديدة ، ثمة درجات ويجب ان تعالج جميعا . (وثوار ١٩١٧ ليسوا ثوار ١٧٨٩ - ١٧٩٣ ، الكلية الكونية الانسانية الماركسية ليست الكلية الكونية الانسانية اليعقوبية المثالية الى حد لا بأس به) . وهكذا فعلت حكومة ستالين . ونعم ما فعلت : شعوب الشمال وتعدادها عشرات الالوف من البشر الموزعين على مساحات ملايين الكيلومترات المربعة يتخللهم روس اكثر عددا واكثر ثقافة مع فكرة « الدائرة القومية » لستالين وحكومته ★ ، شعوب - مخلوطة داغستان ، الشعوب الزراعية والبدوية في آسيا الوسطى ، شعوب وسط الفولغا المسلمة والمسيحية ، التتار « يهود الاسلام الروسي » (منتشرين ، تجار ، مثقفين ، متطورين) ، اوكرينيا وبيلوروسيا شقيقتا الامة الروسية في الاصل والتاريخ والثقافة ،

★ ناجي علوش ، من جهته ، تعامل (المرجع السابق ، الفقرة ٢) مع « لينين والمسألة اليهودية » وبالشواهد ، ولكن بدون هذا الشاهد : « ... الامة اليهودية ... » ، محاه بممحاة ، ثم لام حكومة السوفييت وستالين على معالجتهما مسألة اليهود كمسألة قومية . وقد تكون الترجمة العربية (دار ابن الوليد) مسؤولة ... جزئيا بالطبع . ناجي من رجال الخط المستقيم ، الطريق الاقصر من نقطة الى أخرى ، والذي ينكسر .

★ انظر ايضا ما يقوله لينين في المؤلف المذكور عن فكرة « الدوائر الذاتية » (نهاية المؤلف) : « لا شك انه ، من اجل حذف كل اضطهاد قومي ، ينبغي انشاء دوائر ذاتية autonomes ، حتى في نسب او ابعاد صغيرة تافهة ، ذات تركيب قومي كامل ووحيد ، يمكن ان « يدور » حولها وان يدخل معها في علاقات واجتماعات حرة من أنواع شتى أفراد قومية معطاة الموزعون في شتى نقاط البلد او حتى العالم . » . رودنسون يقول : أليس هذا القول يقصد اليهود مثلا ؟ .

لينين يعارض بقوة حصرية او وحدانية المبدأ القومي - الاقليمي ، (المعيار الاقليمي - القومي) ، يخالف مقالة ستالين في هذه النقطة وبشكل حاد ....

أمم البلطيق المتقدمة ، التخلي عن فنلندة ، عن بولونيا ، اعادة او ضم الاقاليم الاوكرينية الغربية والبيلوروسية الغربية ، انشاء جمهورية مولدافيا ، درجات من الجمهوريات والاقاليم ، من الكيانات الدولتية الخ .
و ... مسألة اليهود .

من جهتي ، اعتقد ان الحكومة السوفياتية أحسنت صنعا ، فعلت ما هو ممكن بشريا ، ولا تلام ، ... الذين يلامون هم اليهود . هذا في المقام الاول . وأي مقام آخر انما يأتي بعده بكثير . لا اقول ان الحكومة السوفياتية ملائكة ، ولكنني لا أرى ان ظلما قوميا أصاب اليهود . هل كان من الواجب منعهم من البقاء في حالة بين – بين ؟ هل كان من الواجب اعطاؤهم اقليما في غربي روسيا ؟ (من ((حساب)) من ؟) ؟ وهل كان ثمة مطلب من هذا النوع ؟ (وهناك تجربة يهودية في القرم ! قبل اقليم بيروبيدجان الذي ذهبت اليه كما يبدو غالبية من غير اليهود . قصة آجاييف ، فيلم ((بعيدا عن موسكو)) في آخر ايام ستالين ، شاهد على اختلاط الحق وباطل مضاعف في اذهان ((مناهضي مناهضة اليهود))) . هل كان يجب بقاء المسرح اليدي ، تشجيعه ، عدم ((تسهيل)) ذهابه ؟ بالطبع ، لا أحول الفاصل بين تمثل طبيعي وتمثل قسري الى فاصل مطلق . ولكنني لا استطيع أن احول المسألة أصلا الى مطلق . ولئن كنت احذر من تسرعنا ، فانني أحذر أيضا اصدقاءنا في الغرب من التسرع ، ومن ان ينظروا الى القضية المذكورة بأعين ((غربي)) . هنا أيضا أعول على ليفين اللاهوتي السياسي . ثمة سلوكات هي استفزاز Provocation ضد الامم . اليهود اذنبوا حين تظاهروا للسفيرة غولدا ماير في موسكو عام ١٩٤٨ (لا ألومهم على صدقهم ، بل على موقفهم الذي عبرت عنه التظاهرة بشكل صادق) ، وستالين على حق حين يغضب . بالطبع اخطأ حين أيد وساند قيام دولة يهودية في فلسطين ، دولة لليهود في فلسطين ، صارت على الفور مركز استقطاب ليهود العالم . هذا أخطئه من جميع الحيثيات . بدءا من الحيثية الاولى : النظرية العامة ، فهم ستالين للماركسية . كان يجب ، اثر الغضب ، اعادة النظر في كل الماركسية القائمة، ادانة الفهم الميتافيزي المثالي الاقتصادوي الطبقوي التجريبي الدوغمائي الميكانيكي الخ ، واخيرا التراجع عن موقف ١٩٤٧ – ١٩٤٨ .

لم يكن خطأ ستالين انه اعتبر في العشرينات او الثلاثينات يهود روسيا قومية يهودية ، انه لو كان يكتب بالفرنسية ربما كتب ((ي هـود)) بحرف أول كبير .

حوار مع مكسيم رودنسون :
معضلات ايديولوجية وسياسية

- ١ -

حوار هيريتم مع رودنسون يتناول مسائل عديدة ، مختلفة ، تنتسب الى اضبارة واحدة . العنوان ((**مشكلات ايديولوجية وسياسية**)) . كان يمكن ان يكون ((**الماركسية** ، **الشرق**)) ، **قضية فلسطين**)) ولو ان هذا العنوان الاخير أضيق في ايحائه للبعض . المسائل المعالجة : ١) قضية فلسطين ، متى بدأ العرب يعون خطورة الخطر الصهيوني ، العروبة والوعي القومي العربي والاقطار العربية المختلفة امام الفكرة العربية ، لبنان وتناقضاته وطوائفه ويساريوه (رودنسون يعلمنا أنه أمضى أعياد نهاية عام ١٩٦٨ في بيروت مع جماعة من الشيوعيين المنشقين الكاستروييين) ، مسألة امكانية حرب على الطريقة الفيتنامية في فلسطين ، الطاقة الثورية في العراق ومصر وسورية (رودنسون يؤكد على الفلاحين) ... ٢) مسألة المستعمرات ، موقف لينين ، ماركس والهند ، الاممية الثانية ، شيوعيو الجزائر الاوروبيون (رسالة فرع سيدي بالعباس ١٩٢٤) ، الفلاح امام الثورة الاشتراكية والثورة الاشتراكية امام الفلاح ، الصهيونيون الاشتراكيون ٣) ... وضع وموقف اليهود السفارديم في اسرائيل ، كيان اسرائيل القومي بين التوحيد والتلاشي ، المقاومة وموقفها من يهود اسرائيل الخ .

انه حوار . حـوار بين هيريتـم وورودنسون . هيريتم حافظت على شكله كحوار . رودنسون يلمس ، يعالج ، يبدي رأيه . اتجاهات متباينة متعارضة فـي الواقع يسعى الـى الاحاطة بها . همه ، احد همومه ، كبـح جمـاح التبسيط والتسرّع . (الامر الذي لا يعني أن ليس لـه خط ، وخط واضح . بالعكس) .. **احيانا** ، يبدو الطرف الآخر (المجلة) في شكل حاد او « مستقيم » كأنه « يركض » الى استنتاجات او نتائج ، ورودنسون يبدو بالعكس : اتجاهـات متعارضة ، وانحناءات . لسان حاله وحالنا ، من أجلنا ومـن أجلكم : يجب ان لا نأخذ « رغباتنا » عـلى انهـا الواقـع ، رغباتنا « الطبقية » « الكدحائية » و « الشرقية » .

في مقطع يبدو رودنسون معوّلا من أجل الثورة عـلى **الفلاحين** الفقراء المسحوقين ، وعلى البلدان العربية التي فيها غالبية فلاحية مسحوقة ، اولا العراق ، وثانيا مصر ، وربمـا سورية . (١) وفي مقطع لاحق ، يتحدّث حديثا آخر ، يذكر انحياز الفلاحين للرجعية في عدد مـن الثـورات والحالات الكلاسيكية (فرنسا ١٧٩٣ ، فرنسا ١٨٤٨ ، تجربة البلاشفة الروس ...) .

حول **« امكانية حرب على الطريقة الفيتنامية »** ، يقول رودنسون :

« الفلسطينيون ، بحربهم الغوارية ، ربمـا سيطلقون حربا على الطريقة الفيتنامية تخشاها البلدان العربية . انهم يعزلون نفسهم ، يشكلون جماعة صلبـة وطاهـرة ، ينتظمون ويقومون حقا بالحرب ، ولكن بالضبط بقـدر مـا هم يفعلون هذا كله ، يخاف الآخرون . [...] هـم يخيفون الطبقات ذوات الامتياز بالطبع ، وحتى الطبقات ذات الامتياز الصغير جدا ، ولكن ايضا ، يجب ان نقول ذلـك ، حتى الجماهير . حين هذه [الجماهير] تدرك ان هذا النزاع يمكن ان يتحوّل

الى حرب على الطريقة الفيتنامية ، الحماس ليس كبيرا » (٢)

ثم يتحدث رودنسون (والمجلـــة) عـــن ارث الماضي الطويل ، ارث الاستعمار وارث التاريـخ السحيق (الفراعنه ... موقف الشعب مـن الحكام والدولـة : خوف ، شك ، خضوع ، تسليم . الخ) ، ثم يضيف :

« بالطبع ، في الواقع ، الامر اكثر تعقيدا . فـي فـرد واحد بعينه يمكن ان تتجابه او ان تتراكب عـدة اتجاهات . توجد ايضا ايديولوجيات تحرّر . حتى الآن أصابت كثيرا من الناس ، اجل ، ولكن في مستوى مـا مـن وعيهم والمسألية الاخرى تبقى قائمة تحت وجاهزة للظهور في كل لحظة .

ورغم كل شيء ، لا سيمـا بسبب الاميـة ، الثوريون ينتمون الى الطبقة شبه ــ الممتازة . في فرنسا ايضا بالتأكيد، يوجد يساريون في سيارة الجاغوار Jaquar . ولكـن هناك لا يوجد تقريبا سوى هؤلاء . اخيرا عنـد الفلسطينيين انهم أقل عددا لانهم حطموا وانزلوا الى وضع لاجئين . ومـع ذلك مدير بنك انترا ، الذي أفلس ، الـذي كان يملك عـددا لا بأس به من البنايات فـــي الشان زيليزيه [شارع باريس الاشهر والاجمـــل] وعـــلى الشاطـيء الازرق ، كـــان فلسطينيا (٣) » .

وتتمة هذا الحوار :

« **هيرينتم** : لعله [بيدس] ليس يساريا فلسطينيا !

رودنسون : لا والآن الجيل الجديد يريد نفسه مختلفا . ولكن يمكن ان نصادف يساريين من نفس النوع نوعا ما .

هـ : ويظهرون ذوي امتياز امام الجماهير .

ر : في كثير من الحالات ، لا يجوز التعميم .

هـ : ولكن الجماهير عندها رد فعل مـن الحذر وعـدم الثقة بل ورد فعل طبقي .

ر : احيانا بالتأكيد . الحركة القومية العربية بدأت بين

الاقطاعيين ، وشيئا فشيئا كسبت البرجوازيين الكبار ، ثـم صغار البرجوازيين ، وهي الآن هنا تقريبا . »

هنا ينتقل الحوار الى الطاقات الثورية لمختلف البلدان العربيه ، تحت عنوان « طاقة العراق الثوريه » ، ثم ينتقل او يعود الى « الفلسطينيين » ... الحوار حوار ، الجديه لا تلغي الطرافه :

« **ر :** ... رغم كـل شيء ، الفلسطينيون أنفسهم ، جماعة فتح على كل حال ، معتدلون جدا . لقـد قالوا لـي دائما انهم يتجنبون كلما كان الامـر ممكنا تسبيب ضحايا بين المدنيين . مثلا في احدى المرات كان قطار مـن الجنود يتبع قطارا من المدنيين وقد حرصوا عـلى ان لا يهاجمـوا سوى القطار العسكري رغم ان ذلك وضعهم في موقف اكثر خطـرا بكثير . ج. ش. ت. ف تحتج ضد هذه الستراتيجية . بهذا الخصوص حادثة : أحد الفلسطينيين شرح لي ذات مرة انـه لا يبدو لي من المناسب مهاجمة اسرائيل انطلاقا مـن البلدان المجاورة نظرا لشدة الردود الانتقامية . مخططه هـو كـان مجابهتها من البحر المتوسط .

هـ : هكذا كل البلدان المتوسطية ، ومنهـا فـرنسا ، ستتلقى الردود الانتقامية ! ذلك سيكون ممتازا ! » .

وبذلك ينتهي القسم الاول من الحوار . ننتقل اذن الى قسمه الثاني ولندعـه **« مسائـل ايديولوجية »** : لينين ، المسألة القومية ، معنى كلمة « اشتراكية » ، رسالة فـرع سيدي بالعباس والاشتراكيـة الاوروبيـة الاستعمارية ، الى الاشتراكية الصهيونية وفلسطين . أنقل النص حرفيا مـع بعض الاختزال .

هـ : في مقالك الهام « اسرائيل واقع استعماري ؟ » ، كتبت : « ان الالهام الاشتراكي لقسم كبير مـــن اليشوف (= الاستيطان الاستعماري اليهودي فـــي فلسطين) أمـــر لا شك فيه . ولكن لا يمكن ... الاستناد الـــى هـــذا الالهام الاشتراكي لنفـــي الطابـــع الاستعماري لليشوف . الذيـــن يفعلون ذلك يتبعون مسيرة فكرية تزعم ان مجتمعا اشتراكيا لا يمكن ان يكون له مع المجتمعات الاخرى سوى علاقات تلهمها الغيرية الاكثر عمقا . هـــذه مسيرة ايديولوجية بأسوأ معاني الكلمة . وقد سوّغت نفسها في كثير او قليل بعقيدة الانخلاع الميتافيزية كما انضجها ماركس الشاب والتي تعـــزو لعلاقات الملكيه وحدها انحرافات خطيرة في الشخصية الانسانية » .

هل لك ان توضح لنا فكرتك عن هذه النقطة ؟ .

ر : كثيرا ما قيل : توجـــد تيارات صهيونية اشتراكية او ماركسية وبالتالي لا يمكن ان تعمل الا لخير الفلسطينيين. ان اقوالا كهذه تنتسب الـــى ايديولوجيا ماركسية مبتذلـــة تفترض انه من اللحظة التي فيها يكون شعب مـــن الشعوب اشتراكيا ، اذا كان كذلك حقا ، سيكون لـــه مع كل البلدان الاخرى ، الشعوب الاخرى ، موقفا أمميا ، عظيما الخ . هذا تكذّبه تماما كل الوقائع الممكنة وهو في مستوى المحاكمة بلا مبرّر . الاشتراكية بنية داخلية لمجتمع من المجتمعات . حتى اذا كانت هذه البنية مساواتية ، مثالية ، فان ذلك لا يحكـــم سلفا في شيء على العلاقة التي سيزاولها هذا المجتمع مـــع أقطار أخرى .

هـ : مع ذلك ، حسب التصوّر اللينيني ، النضال المناهض للامبريالية مرتبط ببنى داخلية اشتراكية .

ر : تعلم ، ما قاله لينين لم يتحقق دوما ، كان له انحرافات ايديولوجية قوية جدا ، وأحيانا قال العكس وشرح انه اعتبارا من اللحظة التي أصبح فيها بلد من البلدان اشتراكيا لا تصير البروليتاريا بذلك عينه « قديسة » . تلزم كما يقول : « الاشتراكية + الديمقراطية الكاملة » . في مؤلف « حق الشعوب ... » (٤) يعلق على جملة لانجلز يقول فيها هذا الاخير ، حسب رأي لينين ، نفس ما يقوله لينين ، وهذا صحيح بوجه التقريب : « ثمة شيء لا شك فيه وهو ان البروليتاريا المنتصرة لا تستطيع ان تفرض سعادة ما على شعب أجنبي دون ان تقوّض بذلك انتصارها ذاته ... ان انجلز لا يعتقد بتاتا ان الاقتصادي léconomique يكفي بذاته للتغلب على جميع الصعوبات . الثورة الاقتصادية ستحفز جميع الشعوب على التوجه نحو الاشتراكية ومع ذلك يمكن ان تحصل ثورات ضد الدولة الاشتراكية وحروب. النظام السياسي سوف يتكيف حتما مع النظام الاقتصادي ولكن ذلك لن يحصل دفعة واحدة ، بدون احتكاك ، بصورة بسيطة ومباشرة . الامر الذي لا شك فيه بالنسبة لانجلز هو مبدأ واحد أممي بشكل مطلق يطبقه على جميع الشعوب الاجنبية (اي ليس فقط على شعوب المستعمرات) وهو ان فرض سعادة ما أية كانت على هذه الشعوب هو بمثابة تعريض انتصار البروليتاريا للخطر . من جراء ان البروليتاريا ستكون قد حققت الثورة الاجتماعية لن تصبح قدّيسة ، لن تكون محصنة ضد الاخطاء والسقطات . ولكن الاخطاء الممكنة

والمصالح الواطئة التي تدفع الى الجلوس على ظهر الآخرين ستقودنا حتما الى وعي هذه الحقيقة » .

هـ : ولكن أليس هناك تأويلان ممكنان لهذا النص ؟ في لحظة يجادل لينين ضد الاعتقاد بأن المستوى الاقتصادي وحده يكفي للتغلب على الصعوبات . ثم بعد قليل يبدو كأنه يتحدث عن مرحلة وسيطة لا يزال فيها اضطهاد . وهذا يختلف قليلا .

ر : بالطبع اذا قلنا ان الاشتراكية الحقيقية هي العالم اجمع موحدا بشكل كامل مع مساواة الجميع وديمقراطيه سياسية تامة ، عندئذ لا بأس ، أنا موافق . ولكن تلك الاشتراكية ستأتي ربما بعد ألفي سنة (٥) بل ولا نعلم عن ذلك شيئا . اليك نص آخر من لينين يذهب في نفس الاتجاه : « في ظل الرأسمالية من المستحيل حذف النير القومي والنير السياسي بوجه عام . لهذا الغرض من الضروري حذف الطبقات اي اقامة الاشتراكية ، ولكن الاشتراكية اذ ترتكز على الاقتصاد لا تتقلص بتاتا الى الاقتصاد وحده . من اجل حذف الاضطهاد القومي يجب ان يكون عندنا ركيزة ، الانتاج الاشتراكي ، ولكن على هذه الركيزة من الضروري ايضا وبشكل لا غنى عنه ان يكون لدينا تنظيم ديمقراطي للدولة ، جيش ديمقراطي ، الخ . ان البروليتاريا ، اذ تحوّل الرأسمالية الى الاشتراكية ، تخلق **امكانية** الغاء تام للاضطهاد القومي . هذه الامكانية ستصير واقعا **فقط** (فقط !) مع الادخال الكامل للديمقراطية في كل الميادين بما فيها تقرير او تحديد حدود الدولة طبقا لعواطف السكان حتى وبما في ذلك حرية الانفصال التامة . على هذه القاعدة سيتحقق بدوره الالغاء المطلق عمليا لاقل الاحتكاكات القومية ... وسيحصل التقارب المتسارع بين الامم واندماجها الذي سيؤدي الى

تلاشي الدولة . هكذا النظرية الماركسية التي اخطأ رفاقنا البولويون في الابتعاد عنها ... » .

اني من جهة أخرى أترك له مسؤولية هذه الجملة الاخيرة . في هذا النص ، يجري لينين فصلا بين ما يدعى حتى الآن الاشتراكية ، اي الملكية الجماعية لادوات الانتاج ، وهو الشيء الذي لا يضمن أبدا قيام علاقات متناسقة بين البشر ولا علاقات متساوية بين الامم ، ومعنى مقبل ممكن لكلمة « اشتراكية » ، حيث بالاضافة الى هذه الملكية الجماعية ، سوف يكون هناك مساواة كاملة وفردوسية وتحوّل جذري للبشر بعد حذف كل الانخلاعات . أوافق على ان يقال ان تلك الاشتراكية سوف تحذف المشاكل القومية ، ولكن في هذه الحال ، بعد ألف سنة سوف نتحدّث عن ذلك ... كما ، عدا عن ذلك ، يقول ماو . (٦) .

هـ : أجل ، ولكن بدون الكلام عن سعادة كاملة او عن حذف عدد من التوترات ، اعتقد ان الماركسيين أعطوا تعريفات عن الاشتراكية تشمل الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ولكنها تتحدّث ايضا عن مجتمع بلا طبقات او عن ادارة الاشياء لا حكومة البشر ، مما يذهب أبعد (٧) .

مع او ضدّ سيادة لأكلة لحوم بشر :

د : اي ان في تفكير ماركس ، نظرا لأن الانخلاع الاساسي مربوط ، على الاقل ابان حقبة كاملة من حياته ، بالملكية الخاصة لوسائل الانتاج وبهذا فقط — بل في بعض اللحظات بالملكية الخاصة عموما ! — ، فان حذف هذا النوع من الملكية سيكون له « كتلة » او كمية من النتائج في الميدان السياسي ، في ميدان الوعي البشري الخ . برأيي ، كان مخطئا وحسب . هذا واضح وقاطع . (٨) .

فضلا عن ذلك ، في مستوى الصهيونية ، المسألة لم تكن دولة اشتراكية بل ميولا اشتراكية عند الناس . هؤلاء الناس كانوا يريدون مشاركة في السلطة ، في توزع الثروات ، بنى مساواتية داخلية . ولكن بأي حال ، لا شيء يسمح لنا بالقول انه لم يكن عندهم مرام امبريالية ازاء الجار. يمكن اعطاء أمثلة موازية في كل الحركات الاشتراكية . ان يهود اوروبا الشرقية الطيبين هؤلاء ، كانوا ممتلئين بحمية اشتراكية ، أجل . هذا لم يكن يمنعهم أبدا من ان لا يفكروا سوى بأنفسهم ، بأنفسهم كشعب . لنقل ان الخيار الاشتراكي بل وبكيفية عامة الخيار اليساري يسهل قبضة ايديولوجية أممية ، ولكنه يسهلها بشكل اجمالي ، اذا لم يكن هناك أخطار زائدة . في الظروف التي تكون فيها الجماعة القومية بأسرها في عراك مع معضلة مركزية بالنسبة لها ، هذه العواطف الاممية تمحي وتختفي . مثال ذلك اشتراكيو وشيوعيو الجزائر في باب الواد ووهران . حين باتت الامور جدية مع العرب ، انحازوا لمنظمة الجيش السري O. A. S فيما عدا بضع عشرات من الاستثناءات كانت جيدة تماما .

هل تعرف بهذا الخصوص القرار (التوصية) الذي اتخذه الفرع الشيوعي لمدينة سيدي بالعباس عام ١٩٢٤ ؟ يمكن ان يكون مع بعض الفروق ، صادرا عن اسرائيليين: « ان المسألة الكولونيالية تتميز بفقدان الوحدة المطلق والضروري ... لأن ثمة شعوبا مضطهدة هي من الآن قابلة للسيادة وشعوبا أخرى ليست كذلك ... اذا كانت سيادة مصرية ضرورية فان سيادة لأكلة لحوم البشر ليست مرغوبة ... ان ثورة الجمهور المسلم الجزائري (التي يتكلم عنها نداء موسكو) ستكون في الساعة الراهنة ، اي قبل كل ثورة منتصرة في المتروبول [= البلد المستعمر] ، جنونا خطرا لا تريد الاتحادات الجزائرية للحزب الشيوعي [الفرنسي] التي تملك

قبل كل شيء حس ومعنى المواقف الماركسيين ، لا تريد ان تجعل نفسها شريكة جرمية فيه أمام محكمة التاريخ الشيوعي ... كل حركة ثورية يجب ان تكون مرحلة الى الامام في التطور التاريخي للبشرية نحو التقدّم وليس ارتدادا نحو درجة سياسية واقتصادية واجتماعية حكم عليها التاريخ من الآن . والحال ان انتفاضة منتصرة من الجماهير المسلمة في الجزائر لا تكون لاحقة لانتفاضة منتصرة من الجماهير البروليتارية في المتروبول ستقود حتما في الجزائر الى رجوع نحو نظام قريب من الاقطاعية ، وهذا لا يمكن ان يكون هدف عمل شيوعي .

على الفقرة ١٢ من نداء موسكو ، حيث يقال : « ان البروليتاريا الفرنسية ... ستؤمن انتصار الثورة الكولونيالية » ، يجيب الفرع الشيوعي بسيدي بالعباس : « نعم ولكن حين ستكون البروليتاريا الفرنسية قادرة على الوفاء بهذا العهد ، اي حين ستكون قد بينت مثال ثورتها المنتصرة » .

على الفقرة ١٣ ، حين يقال : « ان النضال من أجل تحرّر الجزائر لن يتوقف الا بعد انتصار العبيد » ، يجيب فرع سيدي بالعباس : « موافقون ! ولكننا ننبهكم الى انه سيكون لكم بالتأكيد ، في حال سيادة عربية سابقة لاوانها ، أن تحرّروا عبيدا شيوعيين من نير الاقطاعيين المسلمين . نحن جزائريون ، نعرف جيدا هؤلاء العبيد ، هؤلاء العبيد المسلمين الحاليين ، نعرفهم جيدا لدرجة اننا نستطيع ان نؤكد ان انتصارهم لن يحذف بتاتا العبودية ، انما فقط سيغير قطبيته . بل ونؤكد ان العبودية سيتضاعف مداها ، لأن حيازة عبيد بمعنى الكلمة الضيق هي تقليد مسلم في الجزائر ...

ان الفرع الشيوعي بسيدي بالعباس ...
اذ يعتبر :

١ ـ أن السكان الاصليين في افريقيا الشمالية يتألفون في معظمهم من عرب عصيين عن التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والخلقي اللازم لافراد كي يشكلوا دولة ذاتية الكيان قادرة على بلوغ الكمال الشيوعي ،

٢ ـ أن المسلمين يرفضون التعليم للنساء ... ،

٣ ـ أنه ليس عندهم تقنيون ولا أدوات ولا عمال قادرون على تقييم أرض وباطن أرض شمالي افريقيا ،

٤ ـ أن البروليتاريين من السكان الاصليين هم مستغلون بشكل خاص من قبل اخوانهم في الدين البرجوازيين ورؤسائهم الدينيين ... ورؤساء استثماراتهم الريفية ... ،

٥ ـ ان البرجوازيين العرب ينادون بالمبادىء القوموية والاقطاعية ... ،

٦ ـ أن البرجوازيين القومويين العرب ، كما هذا حاصل في بولونيا السيدة ، سيستفيدون من استقلالهم لكي يمارسوا سياسة اضطهاد اقطاعية حيال جماهير السكان الاصليين في البلد bled ،

لهذه الاسباب ،

ان الفرع الشيوعي بسيدي بالعباس يقدّر ان تحرّر بروليتاريا السكان الاصليين في شمالي افريقيا لن يكون ثمرة سوى الثورة المتروبولية [اي في فرنسا] ، وان الوسيلة الافضل « لمساعدة ... أية حركة تحررية » في مستعمرتنا ليست هي « التخلي » عن هذه المستعمرة ، كما هو مقال في الشرط الثامن من شروط الانتساب الى الاممية الثالثة ، بل بالعكس هي البقاء فيها ، مع حمل الحزب الشيوعي عبء ... مضاعفة دعاية الانضمام الى الحركة النقابية ، الى الشيوعية ،

والحركة التعاونية ، كي نخلق في كل البلـــد حالـة ذهنية وهيكل تسليح اجتماعـــي سيكون بامكانهما ، ربمـــا ، حين ستنتصر الشيوعية في فرنسا ، تسهيل اقامتها في شمالي افريقيا ...» .

اشتراكية أوروبية التمركز جدا :

هـ : هل نستطيع ان نرى من أيـــن كان يأتـي هـذا التناقض بين مسأليتهم في مستوى صراع الطبقات في بلـد معطى ، وهذا الغياب ، غياب التفكير ، النقد ، التحليل عـن استغلال شعب من قبل شعب آخر . هذا يكاد لا يصدق ان نرى كيف هم يتركون جانبا تمامـــا عددا مـــن النظريـات الماركسية التقليدية تماما عن الاستغلال ، الربح الذي يحققه الفرنسيون ، ولا ريب جزئيا الربح الذي يحققونه هم أنفسهم على ثروات عرب الجزائر .

ر : لا ، لا أجد ان الامـر غريب . يجب ان « نغطس » في ذهنية العصر ، في الرأي العام : البلدان المستعمرة مؤلفة من أناس متفاوتي المدنية ، من أشخاص يذهبون نحـو أكـل لحوم البشر الخ . اذن يجب ان نكـــون واقعيين ، اعطاؤهم الاستقلال لا يمكن ان يؤدي ، حسب تقدير المعنيين ، الا الى الكارثة .

وكان الامر كذلك في ذهن اليهود الذين كانـوا يقيمون في فلسطين . كان عندهم فكرة غامضة جدا عن مـا يمكن ان يكونه العرب . كانوا يفكرون أن القضية هي فقط بـدو رحل ينتقلون من مكان الى آخر . كيفما كـــان ، بمجيئهم هنـا ، يملؤون فراغات في بلـــد شبـــه فارغ . باختصار ، كانوا يفكرون ، ستندبر أمرنا معهم . نأتي لخيرهم .

فعليا ، كان هناك اتجاه مضاد منذ الاممية الثانية . اتجاه مضاد ولكنه أقلية جدا ، البولشفيك بالذات ويسار أحزاب اشتراكية متنوعة (٩) . هذا الاتجاه وجد تعبيره فعليا في دستور الاتحاد السوفياتي ، وبشكل نظري في بداية تاريخ الاتحاد السوفياتي ، وأقل بكثير بشكل عملي لان كل هذه الشعوب ـ القبائل ما كان احد يعلم جيدا ماذا ستعطي . وكان ثمة حق في كل ذلك ، حتى في توصية سيدي بالعباس كان يوجد حق ! (١٠) .

هـ : مهما يكن ، الشيء الهام هو أن ندرك كل ما تسنده هذه التوصية . اولا كل الامور التي لا يتكلمون عنها وثانيا ايديولوجيا التقدم ، المدنية ، ونموذج ما من المدنية .

ر : نعم ، كل هذا اوروبي التمركز جدا : الحضارة نحن ، لا شك في ذلك ! مجتمعهم التقليدي لا يستطيع الذهاب الا الى وراء . (١١) .

هـ : ولكن في ماذا أكل لحوم البشر أفظع من استغلال الانسان على يد الانسان كما هو حاصل في المنظومة الرأسمالية ؟ (١٢) .

ر : تلك كانت أفكار العصر الجارية (١٣) . حصلت مجادلات على هذه المسألة في مؤتمر ١٩٠٥ الاشتراكي . معظم المندوبين تكشفوا عن كونهم اشتراكيين ـ امبرياليين مع تلوينات أبوية . يجب أن نصنع سعادتهم رغما عنهم ولكن لا يمكن أن نسلمهم ادارة شؤونهم في مرحلة التطور الراهنة. بعض « المجانين » كانوا يقولون بالعكس : « يجب اعطاء الحرية للجميع ، سنرى فيما بعد ماذا سيعمل بها كل منهم » .

ولكن مثلا ، ما ان وجد البولشفيك أنفسهم أمام معضلات عملية ، فعل لا شعورهم وظهر ثقل الايديولوجيات الملازمة الكامنة . وقد اصطدموا عدا ذلك بمعضلات ستراتيجية حقيقية . هناك تاريخ جمهورية بخاري الشعبية

في ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ حيث أعطى السوفياتيون السلطة لجماعة من المسلمين المثقفين والمجددين ولكن ، لنقل ، البرجوازيين ـ الصغار ، من باب التبسيط . دامت التجربة سنتين . من جهة ، كان هذا تقريبا الحكومة التي توافق الرغبات الصريحة لجمهور بخاري آنذاك ، بل كثير من الناس كانوا يعتبرونها متقدمة أكثر مما يجب . البلاشفة وجدوا أنفسهم أمام خيار مؤلم : اما نطبق مبادئنا وفي هذه الحال هؤلاء الجدعان سيعودون تحت سطوة الاسلام الكلاسيكي الخ . الانكليز ليسوا بعيدين . جبهة الحرب الاهلية تمر بيننا ، سيضربوننا على الظهر ، وسيسهل ذلك مهمة اعادة استيلاء الامبريالية البريطانية . اذن ما العمل ؟ من جهة اخرى ، سكان بخاري كانوا يقولون لانفسهم : البلاشفة ، في النهاية هم بيض ، مسيحيون بالاصل ، ولهم معنا نفس السياسة التي كانت للقيصر ، وكان ذلك صحيحا بقدر ما : بعد لحظة صبر ، قال الثوريون الروس لانفسهم : « بلاش » كرم أحمق وضار للجميع ، هؤلاء غير قادرين على ادراك مصلحتهم على مدى طويل . نحن نراها وعلينا اذن ان نفرض عليهم بالقوة خط سلوك ! (١٤) .

هذا النموذج من المحاكمة كان أيضا يستخدم ازاء السكان الروس . والدي الذي كان فوضويا والذي كان روسيا ، كان قد حزم أمره وأيد البولشفية . كان يؤكد : « بموجب مبادئهم أثناء الحرب الاهلية ، سلم الفوضويون الاراضي للفلاحين وقالوا لهم : افعلوا بها ما تشاؤون ، والفلاحون استدعوا الملاك ! » . نفس المسألة كانت قد انطرحت على يعاقبة ١٧٩٣ او على ثوريي ١٨٤٨ الذين كانوا يكافحون ضد انتخابات مباشرة لانهم كانوا يعلمون جيدا ان الريف سينتخب ممثلين رجعيين .

اضطهاد الصهاينة الاشتراكيين النوعي الخاص :

هـ : ولكن يبدو لي ان فرع سيدي بالعباس يذهب الى أبعد من ذلك . فهو يؤكد ان الثورة هي اولا واقع وصنع مجتمع متطور صناعيا (لاحظ ، هذه أطروحات من الماركسية التقليدية ولكن مطبقة هنا بشكل ميكانيكي جدا) ومن ثم فقط يمكن بالنتيجة وكانعكاس اجراء تغييرات في بنى المستعمرات فليقولوا : ثمة طبقات عديدة تتعايش في هذا المجتمع الجزائري ، نحن في الوقت الذي فيه نناضل من أجل نزع الاستعمار علينا ان ننتبه الى القوى المحلية التي تأخذ السلطة ، الحرص على ان لا يكونوا الاقطاعيين . هذا يمكن قبوله . ولكنهم بالحقيقة ينفون كل امكانية تحرر للشعب الجزائري نفسه من الاضطهاد الكولونيالي (١٥) .

وأعتقد اننا هنا نصل الى عدد من التحليلات الماركسية عن الصهيونية : المستوطنون اليهود ـ حسب هذا الطراز من التحليل ـ سيعجلون في تطور القوى المنتجة في المنطقة وسيسهلون بزوغ ثورة عربية بحضورهم وسلطتهم . هذا نفس نموذج المحاكمة .

رودنسون : وهو كذلك . نرى هنا ، على الطبيعة الحية ، النظرية الماركسية ، نظرية ماركس ، التي يتبعها كل الناس خلال فترة طويلة جدا والتي لها مسوغاتها ، التي تتأسس بشكل عقلاني في كثير او قليل على تحليلات اقتصادية وغيرها تقول ان الثورة الاشتراكية لن تكون ثمرة، نتيجة ، سوى مجتمع متطوّر . هذه النظرية كان يمكن ان تعدّل ، ان تكسب صفات وملحقات ، في ضوء التجربة الكولونيالية ، ولكن نظرا للايديولوجيا القائمة الكامنة عند هؤلاء المستوطنين ، فقد ركضوا عليها ، لا بسبب فضيلتها او قدرتها العقلية ، بل لانها كانت تسوّغ ميلهم الغريزي ،

(الفريزي الى حد ما ، ميلهم الايديولوجي ، الخ) الآتي من وضعهم كأصحاب امتياز . (١٦) .

نرى جيدا كيف كانوا يحملون ازدراء كاملا ، عدم انشغال بقضايا السكان ، وقد سوّغوا بشكل جيد في كثير او قليل هذا الازدراء واللااهتمام بابعادهم وقائع عن حقل وعيهم . هكذا ، وهذا أمر كاشف ذو دلالات ـ ، كان الصهاينة الاشتراكيون اكثر شؤما بكثير على العرب مما كان اليمين الصهيوني . اليمين كان رأسماليا . حين كانت شركة رأسمالية تشتري اراضي في فلسطين كانت تحتفظ بفلاحين عرب لزراعتها . الاشتراكيون والماركسيانيون وصلوا وقاموا بنضال كامل على شعار « العمل اليهودي » [الشغل اليهودي . الشغيلة : يهود] .

هيريتم : بالفعل : تناقشنا البارحة مع جماعة من اليهود الفلسطينيين المناهضين للصهيونية ، ننشر بيانا طويلا لهم ، وقد حدّثونا كثيرا عن « دين الشغل » الذي كان ضاربا أطنابه عند الصهيونيين الاشتراكيين في فلسطين بين الحربين .

رودنسون : هجرة ١٩٠٥ كانت ، في قسمها الاكبر ، مؤلفة من اشتراكيين ، وقد نظمت حتى عام ١٩٣٠ اضرابات تحت هذا الشعار ، شعار « الشغل اليهودي » .

هـ : كانت اضرابات ضد استخدام عمال عرب ؟

ر : نعم ، اضرابات ، تظاهرات ، حملات متنوعة . بالضبط ، بحكم نظريات الماركسي بور بوروخوف ، يجب تحويل اليهود الى بروليتاريين . اذا اصبحوا ملاّكين ، سيؤلفون طبقة برجوازية . بالعكس ...

هـ : مدهش أنهم جانبوا الموضوع الى هذه الدرجة .

ر : العرب لم يكونوا يهمونهم . فهم ، في نظرهم ، دون الشعب ، « تحت ـ شعب » . كانوا يقولون عنهم : لعلهم

سيصيرون في يوم من الايام بالتماس معنا أناسا لا بأس بهم ولكن الآن ليسوا شيئا ذا شأن ، الجوهري نحن !

هـ : هذا يذكرنا نوعا ما بجول فيري Ferry (١٧) يؤكد ان « بيان حقوق الانسان يحرّر من أجل زنوج افريقيا » ، ولكن فيري لم يكن يزعم نفسه اشتراكيا .

ر : ستجد جبلا من نصوص اشتراكية وشيوعية من نفس النوع . كما تعلم ، هذه المسألة نوقشت في مؤتمرات الاممية مرارا . ويبدو ان حتى الذين كانوا ، كموقف مبدئي ، يؤكدون مساواة شعوب المستعمرات ، كان وجدانهم يخزهم . بين أربع عيون ، كانوا يقولون لزوجاتهم او اولادهم : « أجل ، بالطبع ، يجب ان نكون مع ، ولكن يخشى ان يكون ذلك خطرا تماما . . . » . (١٨) .

هـ : مع ان ماركس ، في مقال في جريدة نيويورك ديلي تريبيون ، تاريخ آب ١٨٥٣ ، اذا كانت ذكرياتي صحيحة ، يعلن : أجل الانكليز أدخلوا الى بلاد الهند ، بالاستعمار ، القاعدة المادية للاقتصاد الحديث ، وهذا ايجابي ، ولكن الآن ، الهند يجب ان تتحرّر كي يستطيع تطوّر الاقتصاد الحديث ان يتسارع . صحيح انه لا يبين ابدا في ماذا التطور مرتبط آنذاك بالتحرر من النير الكولونيالي .

ر : ليست أقواله حول هذا الموضوع واحدة متماثلة ، فقد كتب مقالا آخر في الجريدة نفسها يقول فيه : بالتأكيد ، الاستعمار الانكليزي أنتج جرائم فظيعة في الهند ، ولكن في النهاية ، كما كتب غوته ، تيمورلنك ذبح ملايين البشر ومن ثم ما نتيجة ذلك ما دامت التتمة ستكون جميلة . . . بالطبع ، تحمس لثورة ال تاي بنغ الصينية . في لحظة من الشاعرية والنبوية قال « ربما حين ستكون اوروبا قد قامت بثورتها سيريد الرجعيون المطرودون الالتجاء الى الصين ، وحين سيصلون أمام السور الكبير سيجدون مكتوبا شعار « حرية ،

مساواة ، اخاء » . » . كان قد أعجب بتقارير مبشر عائد من الصين . كانت الصين في حالة ثورة عامة (١٩) .

هـ : عدا ذلك مما يلفت النظر انه يأخذ في هذا المثال شعار الثورة الفرنسية !

ر : انه الشعار الذي يعبر عن فكره على النحو الافضل. كنت أفكر ذلك منذ زمن طويل . لم أكن أجرؤ كثيرا على قوله ، ولكنني مع ذلك قلته ، وألاحظ ان آدام شاف A. Schaff يكتب نفس الشيء . المثل الاعلى لماركس هو « حرية ، اخاء ، مساواة » ، ليس عنده مثل أعلى آخر . فقط يريد الحرية الحقة ، الخ . الماركسية ثأر الثورة الفرنسية المخذولة او المحبطة . ماركس تكوّن في شروط اليسار الاوروبي لعام ١٨٣٠ ، حيث كانت المعضلة الكبيرة هي التالية : الثورة أجهضت ، بماذا نبدأ لتحقيق ثورة أخرى ؟ ماذا كان سبب الفشل ؟ الخ . هذا نوعا ما هو المسألية الراهنة عدا ذلك ! (٢٠) .

— ٣ —

بعد فقرة قصيرة بعنوان « الجهاد المقدس ضد القومية العربية » ، فيها يصيب الحديث سياسة السعودية ومنظمة فتح والجبهة الشعبية والاتحاد السوفياتي وقرار مجلس الامن ١٩٦٧/١١/٢٢ ، يتناول هذا القسم الثالث والاخير من حوار هيرتم مع رودنسون : وضع وموقف اليهود السفارديم في اسرائيل ، كيان اسرائيل بين التوحيد والتلاشي ، المقاومة وموقفها من يهود اسرائيل الخ . ننقل حرفيا .

اليهود السفارديم أنصار العرقية التي هم ضحاياها (٢١) :

هـ : من أجل افشال هذا القرار [قرار مجلس الامن ١٩٦٧/١١/٢٢] هل لعمل الفلسطينيين نقطة موطىء خاصة بين السكان اليهود السفارديم في اسرائيل ؟ في كتابه « اسرائيل في خطر سلام » ، مارك هيلل يروي أنه حين تحصل مطاردات [شعبية] اثر وقوع أعمال فدائية ، فان اليهود السفارديم (وبشكل خاص اليهود الشمال ــ افريقيين) مضطرون الى البقاء في بيوتهم . يمكن ان يتعرضوا لاعمال وحشية بقدر ما شكلهم عربي . هل بامكان ظاهرات من هذا النوع ان تخلق تقاربا ؟ سلوك هؤلاء اليهود هل هو شبيه بسلوك « البيض ــ الصغار » ؟

ر : حتى الآن سلوكهم بالاحرى هو سلوك « الابيض ــ الصغير » لانهم هم الذين « تصادموا » او « تقابضوا » اكثر مع العرب . انهم مقسومون . من جهة هم الاكثر « تحمسا » او « ثورانا » في مناهضة ــ العربي . من جهة أخرى روي لي انهم يزورون بطيب خاطر القرى العربية في اسرائيل حيث يشعرون أنفسهم نوعا ما في بيتهم : نفس العادات ، نفس الطعام ، امكانية تكلم العربية ، وهذا شيء هام . الحي اليهودي في باريس ، شارع الورود ، قد استعرب بهجرة يهود شمال ــ افريقيين . نرى في الحوانيت ، أسطوانات جميع المطربين العرب بما فيها أم كلثوم ، المغنية الكبيرة التي تنشد أغاني مناهضة لاسرائيل . انهم صهيونيون جدا ولكنهم يسمعون أم كلثوم ، لأن هذا يضعك في حالة وجد . جميل ، رائع ، وأنا أبكي .

هـ : انهم صهيونيون جدا ، ولكنهم فضلوا الهجرة الى فرنسا بدلا من اسرائيل .

ر : نعم ، بالطبع . الذين ذهبوا الى اسرائيل ، اي

خصوصا تونسيون ومراكشيون ، حانقون كثيرا على العرب . الآن من جهة أخرى أنهم حانقون ايضا كثيرا على الاشكنازيم الذين يبقونهم في مرتبة مواطنين من المرتبة الثانية .

هـ : هل يقوم الفلسطينيون بعمل سياسي خاص نحو السيفارديم ؟ هل يولونهم انتباها خاصا ؟

ر : حتى الآن ، الذين كانوا أكثر ميلا لتقارب مع العرب هم من الاشكناز . ابان احدى المطاردات الاخيرة ، الشرطي الذي حاول الاعتراض والذي عنفه الجمهور كان من الاشكناز . عند بعض الاشكناز يبقى شيء من تلك الايدلوجيا الاشتراكيه ، الامميه ، يطبقونه بشكل سيء جدا في الممارسة ولكنه يظهر بين حين وآخر . آنيا فرانكوس روت لي أنها صادفت في مستشفيات ، فلسطينيين كانوا قد عذّبوا وكانوا جميعهم يفضحون نفس الشخص : شرطي يهودي مغربي . بالطبع كل الحالات موجودة . ولكن في هذه اللحظة هذا هو الموقف نوعا ما . وقد يتطوّر في المستقبل .

هـ : نحن أمام ايديولوجيا تحجب اذن للاسرائيليين السفارديم وقائع صراع الطبقات .

ر : لعمري ، Vous Savez ، صراع الطبقات ، انه بعيد حين يكون هناك مسألة قومية من هذا النوع .

اسرائيل بين التوحيد والتلاشي :

هـ : ولكن هنا ، يتراكب صراع الطبقات والتمييز العرقي . هيلل عنده عبارة رائعة ، يتحدث عن « مواطنين معوقين اثنيا » . وعند هذا المستوى أتساءل ما اذا لم يكن ممكنا تحليل الصهيونية في حدود الميثولوجيا [الاسطورة] .

ر : هناك ميثولوجيا اكيدة . ولكن هذه الميثولوجيا

خلقت موقفا ، حالة . المراحل السابقة في الاسطورة خلقت حالة تعزز الميثولوجيا بعناصر واقعية . هـذه جماعة من نموذج قومي ، معزولة ، ومعرّضة لعداء جيرانها . بطبيعة الحال هذا يلحمهم . قبل حرب الستة أيام ، كانت الصراعات الداخلية فاتكة وكان يمكن ملاحظة اتجـاه الـى التفكك . الحرب ، انطباع الخطر ، أعاد تماسك الاجماع القومي .

هـ : اجل ، لأنها في الوقت نفسه ليست تماما جماعة قومية ، اشتراكا قوميا . انها جمع من جماعات متباينة جدا فيها يدعى الناس باسم بلدهم الاصلي [. . .] .

ر : اليهود الالمان وهـم مكروهون كرهـا خاصا فـي اسرائيل مقتنعون بأنهم يمثلون الثقافة الالمانية الحقيقية التي ـ كما يعلم كل انسان ـ ماتت فـي المانيا منـذ هتلر . لا يسمعون سوى بيتوفن ، لا يقرؤون سوى غوتـه وشيلر ، الخ . هم الذين يحفظون الثقافة الالمانية « الحقـة » ! الآن ، يجب على اي حال ان نقول ان هناك سيرورات توحيد جارية بالجيش والمدرسه . ولكن توجد ايضا عوامل تمايز . قبـل حرب حزيران ، قرأت كتابا مفيدا كتبه رجل نصف اسرائيلي نصف يهودي انكليزي . هـذا الكاتب كان يؤكد ان اسرائيل لا تسير أبدا نحو التوحيد .

هـ : كان يفكر أن التوترات العرقيـة ستسير صعودا وأن امكانية التغلب عليها ستتقلص ؟

ر : لم يكن يتكلم عن الموضوع في شكل توترات عرقيـة ولكنه كان يؤكد ان التمايز الداخلي على قاعدة اثنيـة الاصل سيبقى . ولكن من البديهي ان الخطر المشترك يعيـد اللحم . ربما اذا تركت اسرائيل وشأنها فانها ستنهار تلقائيا ! ولكـن ذلك سيكون تاكتيكا يفرط التعبئة ومـن المستبعد بشكـل مطلق ان يستطيع الفلسطينيون استخدامه . ثـم ، سيكون هناك دائما امكانية انفراس مصطنع أميركـي او غيره . ولكن

الاتجاه الطبيعي للاشياء سيكون بالتأكيد الى التلاشي .

هـ : وتعير اللغه ، من الشفيري الى المنظمات الفلسطينية الراهنة ، لم يطوّر بعد الذهنية الاسرائيلية ولم يمكن من تدمير هذا الاجماع الزانف ؟

ر : ليس الآن . توجد ظاهرات صغيرة جدا ، لعلها ، مع ظروف مواتية ، قد تتطوّر . من المفيد لو نعلم ماذا سيحصل اذا كان لفتح مثلا برنامج حقا « فاتن » ليهود اسرائيل .

نحو فلسطين ذات قوميتين :

هـ : ماذا تعني ب « برنامج فاتن » ؟

ر : في يناير ١٩٦٨ ، في مؤتمر هافانا الثقافي ، اقترح عرب نداء الى يهود اسرائيل وغيرها للتحرر من الصهيونية. كانوا ليقولوا لهم : « هذه مصلحتكم كما هي مصلحتنا » . الحل الذي يتمنونه قوامه خلق فلسطين علمانية ديمقراطية الخ يكون فيها لليهود والعرب نفس الحقوق . بل البعض يؤكدون : اذا بقي اليهود اكثرية السكان ، سنقبل ، شرط ان لا يترجم ذلك في قوانين تمييزية مثل « قانون العودة » . أجبتهم : « تريدون ان تفتنوا او لا تريدون ان تفتنوا . هذه قضيتكم ، انا لا أتدخل فيها . الآن اذا كنتم تريدون ان تفتنوا اعطونا وسائل الفتن . يهود اسرائيل ، عن حق او باطل ، يريدون ان يكون لهم بنية سياسية جماعية يستطيعون بها عند اللزوم الدفاع عن حقوقهم . ان مثل هذه الظاهرة موجودة أيضا في مكان آخر ، ولذا في الاتحاد السوفياتي مثلا يوجد مجلس قوميات داخل المجلس الاعلى . اليهود يقولون لنفسهم : « اعتبارا من اللحظة التي سيكون فيها

العرب الاكثرية ، لا شيء سيمنعهم من التصويت على قوانين ستكون في غير صالحنا. سنشكل مرة أخرى اقلية مضطهدة، ربما أسوأ . . . » . الحدّ الأدنى لفتنهم وضمان لهم « بنية جماعية مهما كانت » . ظلوا على موقفهم ولكنهم لم يحاولوا ان يثنوني عن التعبير عن هذه الفكرة . ولديّ انطباع بأنهم يتوجهون نحو هذا النموذج من الحل . ولكنهم يعتبرون من السابق لأوانه ان يتحدثوا عنه حاليا ، حين هم في موقع ضعف .

هـ : هذا النوع من الحل من شأنه ان يترك عددا لا بأس به من المشكلات معلقة . وبادىء بدء ماذا تعني بنية سياسية جماعية لا تكون دولة ؟ مثلا فشل قبرص . . .

ر : هذا ما يجيبني كل الاسرائيليين « هل تعرف دولة ذات قوميتين لا تكون عرجاء ؟ »

هـ : لا يبدو لي ان هناك حل وسط بين اسرائيل وفلسطين . لا نستطيع الافلات من هذا الخيار الثنائي ! بعد هذا لا أعلم شيئا عن الامكانيات المتاحة لفلسطين بأن تكون دولة علمانية بالمعنى الغربي للكلمة . . .

ر : لا سيما وأنني في هذه الازمنة أجهد بكل طاقتي (فقط لكي يكونوا مطلعين) لتحذيرهم من عملية خلط . فهم يعتقدون أن « هو يهودي » معناه فقط « هو من أتباع اليهودية مفهومة كدين من الاديان » . اذن هم يفكرون : « بما انهم سيتمتعون بكامل حرية الضمير ، العبادة ، الخ ، فاليهود لن يكون عندهم اي سبب للشكوى » . بل ، كما يقول لي بعض العرب ، « سنفتح لهم كل الابواب . سيكونون في بيتهم في كل مكان ، في كل البلدان العربية ، سيكونون مثل البروتستانت في فرنسا او في بلجيكا ، فماذا يمكن ان يطلبوا اكثر ؟ » . غالبية الفلسطينيين لا يدركون ان مفهوم

الـ « يهودي » في اسرائيل هو مفهوم قومي لـه معيار ديني بالاصل .

ه : بل مفهوم بيولوجي ، لا ؟

ر : نعم ، هذا يمكن ان يعرف بالنسب الى دين قديم .

نزع أرينة اليهود او من بن غوريون الى ليفين :

ه : هيلل يذكر أمثلة عن أشخاص كانوا يعتبرون أنفسهم وكان الآخرون يعتبرونهم يهودا اسرائيليين . ثم اختلفوا مع موظف مدقق في التنقيب عن أصلهم . فجأة قيل لهم : نأخذ جوازك لأن جدتك من أمك ليست يهودية ! ويذكر امثلة عن وجهاء في الماباي (الحزب الحاكم) لهم اصدقاء ونفوذ لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ضد ذلك . هذه عرقية بيولوجية .

ر : هنا نجد أنفسنا أمام جبل من المسائل ، نفس المسائل التي اصطدم بها بيتان ، هتلر : تعريف اليهودي .

ه : ولكن هذا هو الغريب : أخيرا يصلون بطريقة عكسية الى نفس المسألية التي لأسوأ مناهضي السامية !

ر : عندهم نفس الاشكالية حول نقاط كثيرة . هذا ليس لكي ألفظ شتيمة ، لكي أقول « هؤلاء نازيون » ، ولكن هذا واقع . عندهم نفس التحليل للظاهرة اليهودية .

ه : أليس في هذا المستوى يجب ان نناضل من أجل تحرّر اليهود من الصهيونية وليس في مستوى ابقائهم في فلسطين كجماعة ؟ في مستوى التحرّر من ذهنية هي ، في رأيي ، تدخيل intériorisation للنازية ، لبعض المعايير النازية .

ر : أجل ، هذا أكيد ، ان يهوديا سفرديا كتب مؤخرا

كتابا عنوانه « تأرْيُن اسرائيل » .

هـ : وتستطيع ان تقول لنا ما هي الأفكار الرئيسية في هذا الكتاب ؟

ر : في نظره ، دولة اسرائيل بنينت بمفاهيم آرية . المثل الاعلى الذي في اوروبا لقنه غير اليهود ـ ولنقل : الآريون بين مزدوجين تبسيطا ـ لليهود ، يسعى الاسرائيليون الى تحقيقه او توقيعه في اسرائيل . هذا صحيح جدا . كان يؤخذ على اليهود أنهم ليسوا رجالا حقيقيين ، أن بينهم عددا زائدا من المثقفين . في اسرائيل حصلت ظاهرة هروب ـ نسبية فالتخلص من ذلك لا يتم في خمس دقائق ـ ازاء الثقافية .

هـ : « دين العمل » الذي تحدثنا عنه قبل قليل .

ر : دين العمل اليدوي ، القوة البدنية ، الشجاعة العسكرية . هذا عكس يهودي الشتات كما دمغه واستنكره اللاساميون .

هـ : وبسبب هذه الارينة ، هذا التضييع للصفات المكتسبة في الشتات ، أخذ رجل مثل ليفين يكافح الصهيونية باسم اليهودية .

ر : ليفين يمثل التقليد اليهودي الديني الذي كان بالفعل مناهضا للصهيونية .

هـ : الشتات بالنسبة له هو المكان الذي فيه تجلت « القيم اليهودية » (مع اعطاء هذه العبارة معنى دينيا وثقافيا) . انه ينتسب تاريخيا الى حالة الشتات ضد بضع مئات السنين التي ، على حد قوله ، فيها كوّن اسرائيل دولة وفيها انتهى ذلك دوما نهاية سيئة . ثلاثمئة او خمسمئة سنة من تاريخ خمسة آلاف .

ر : لاحظ ، يمكن قراءة هذه المحاكمة بقلم بن غوريون نفسه . لم أعد أذكر بالضبط في اي سياق . اعتقد انه كان

يقاتل ضد اليمين الاقصى ، بيجن او آخرين ، وايضا ضد التكنوقراطيين ، وعندئذ نادى القيم اليهودية الحقة التي تشكلت في الشتات ، استنجد بموقف ما امام الحياة نموذجي ليهود الشتات . هنا ، ضد" لا أدري تماما ماذا ، رئيس المجلس الاسرائيلي آنذاك ، وصل به الامر الى التبشير بأفكار ليفين : التعلق بـ « القيم اليهودية الحقة » ، القيم التي تشكلت داخل الشتات .

هـ : هذا التبني ـ ولو الموقت ـ لافكار ليفين من قبل بن غوريون ، كان لـ لاروشفوكو la Rochefoucault ★ لو بعث حيا أن يصفه بأنه « تكريم الرذيلة للفضيلة » .

١٩٦٩/٣/٢٠

شروح وملاحظات :

١ ـ من جهتي ، اضيف : ١) حجم الفلاحين النسبي ينخفض في العالم الثالث ايضا . ٢) خلفيتنا التاريخية ، الاسباب جغرافية ـ اقتصادية ـ تاريخية ، لا تتميز او تمتاز ، بوجه الاجمال ، بثورات فلاحية كبيرة وتقدمية . ٣) الثورة الفلاحية تحتاج الى شيء آخر غير فلاحي . ٤) المسالة القومية طاغية وهكذا ستبقى . توحيد الثورتين ، خلق الثورة الفلاحية ، عملية لها شروط وهي بالطبع شيء بالغ الضرورة والحيوية .

ثمة حق ، بعض الحق ، حق كبير ، في الفانونية . وتصويف .

بخصوص مكسيم رودنسون ، أمام بعض صفحات سياسية وحديثة من مؤلفاته ، افكر أحيانا : ليت رودنسون عاش في مشرقنا العربي فترة حديثة

[★ أديب فرنسي كلاسيكي (ق ١٧) ، صاحب مؤلف « الحكم او الامثال » ، متشائم ، كاشف أنانية عالم المصالح .]

ايضا اضافة الى الفترة التي عاشها في الثلاثينات . بالطبع شتان مـا بين رودنسون وجاك كولان مثلا ، وصحيفة بوزاداس والمجـلات التروتسكيـة عموما مثلا .

٢ ـ رأيي : ان مفهوم « حرب على الطريقة الفيتنامية » مثـل جراب الكردي . لا اعتقد ان « الجماهير » فكرت به ، ربما « الجماهير المنظمة » (!) ولكن هذه ليست « الجماهير » . ثمة فرق في هويـة السكان بين سايغـون وتل أبيب ... وليس مطلوبا من المقاومة الفلسطينية ان ترتفع عسكريا الى هذا : حرب شعبية الخ ، يمكن أن تؤدي دورا كبيرا جدا (اكبر بكثير مما هو في ١٩٦٩) وان تنتصر ـ في المدى الطويل ـ بدونه . منظورات القضية لـم تبد لي في ١٩٦٩ ولا تبدو لي الان : حرب فيتنامية ، حرب شعبية ، ومـا شابـه .

٣ ـ لعل عبارة « الذي أفلس » كانت تستحق وقفة .

هناك فلسطينيون في الكويت والخليج يساندون المقاومة ماليا . وايـة حركة ثورية لا تفكر ولا تخطط في هذا المجال المالي تخطيطا طويلا بعيدا انمـا ترتكب حماقة ...

الهجرة الفلسطينية في العالم يمكن ان تلعب (ماليا ، و ، سياسيا) الدور الذي لعبته الهجرة الايرلندية ...

وندين « اليسار في الجاغوار » . والجاغوار جزء من هذا « اليسار » من كـل حالته الطبقيـة السيكولوجية والايديولوجيـة ايضا وبالترابط . الجاغوار وعكسه (الكلاشة او الشحاطـة ، « العرض » البروليتـاري) متكاملان في حالة واحدة لا تمت للثورية البروليتارية بصلة .

٤ ـ عنوان المؤلف « حصيلة النقاش عن حق الامم في تقرير مصيرها »، تاريخ كتابته وصدوره ١٩١٦ . الفقرة ٩ « رسالة انجلز الى كاوتسكي » . الفقرة التالية « ١٠ . الانتفاضة الايرلندية » ورد فيها قول لينين : « مـن ينتظر ثورة اجتماعية « خالصة » لن يراها أبدا . مثل هـذا الرجل يؤيـد الثورة بفمه دون ان يفهم ما هي الثورة » ... بعـد هـذا المؤلف مباشرة : « كاريكاتور عن الماركسية » او « الاقتصادوية الامبريالية » (المناقشة مـع بياتاكوف ـ كينسكي) . قبلـه « كراس يونيـوس » (مجادلـة ضد روزا لوكسمبورغ) . وقبله « الثورة الاشتراكية وحـق الامم في تقريـر مصيرها (أطروحات) » ...

كل هذه الاعمال موجهة بشكل خاص ضد ((الاقتصادوية اليسارية)) ، بياتاكوف - بوخارين - راديك ... + الرفـــاق البولـونيين والهولنديين وسواهم ، وضد روزا لوكسمبورغ ، وايضا ضد تروتسكـــي ، مارتوف ، كاوتسكي الخ . كلها كتبت في ١٩١٦ . كذلك ((الامبرياليـة أعلـى مراحـل الرأسمالية)) ، ((الامبريالية وانشقاق الاشتراكيـــة)) (ضد كاوتسكـــي والوسط)، ((البرنامج العسكري للثورة البروليتارية)) (ضد ((اليسار))).

يبدو لي - لا سيما في الشاهدين اللذيـن يـــدور حولهما الحوار بين رودنسون وهبريتم - ان قضية لينين مـع رفاقه ومـع خصومه هـي مفهـوم الثورة الاشتراكية .

وأثبت ما قلته في المقدمـة :/ الماركسوية ضد الاقتصادوية ، لا سيمـا الاقتصادوية المثورة ... اذن أيضا الطريقـــة ، ((الفلسفة)) . الاعمـــال الفلسفية (١٩١٥ ، ١٩١٤ ، اوائل ١٩١٦) مهدت لهذه المعركة على قضايا تبدو احيانا ((صغيرة)) جدا ، ولكنها كبيرة من حيث كونها ناتجا لطريقة .

بخصوص قول رودنسون : ((ما قاله الينين لم يتحقق دوما ، كان لـه انحرافات ايديولوجية قوية ...)) ، أريد ان أقول : بالمفرق ربما لم يتحقق أي قول للينين ، ولكن في الخط ، خط لينين هو الذي تحقق ، ليس فقط ولا بالدرجة الاولى بل ولا بتاتا من حيث ان لينين = الماركسية اليساريـة العامة ، او الماركسية الثورية الامية العامة ، بل بالضبط مـــن حيث ان لينين يختلف عن سائر الماركسية المزامنة لا سيما ماركسية حلفائه في اليسار الامي الثوري .

رسالة انجلز الى كاوتسكي نقلها لينين وعلق عليها في هـــذه السنـة ١٩١٦ ربما عشر مرات ، تعليقات مختلفة ، ولكنها جميعا تكشف عـــن خط تفكير واحد ، عن طريقة واحدة في تناول الكون واستشراف المستقبل .

٥ - ((بعد الفي سنة)) يبدو لي مستحيلا ، ومستحيلا اقصر منه عشر مرات . ثمة جدل لقوى الانتاج وعلاقات الانتاج ، عالمي ، لينينيا ، اي طبقي وقومي (علاقات الامم) .

٦ - هذا صحيح ... ولكن لماذا نقول عن المعنى الاكبر ((معنى مقبل)) ؟ أليس المعنى المذكور حاكما على الثورة الاشتراكية ، عـــلى مفهومها ، عـلى استراتيجيتها ، على الراهن ؟ أليس الامـــر كذلـــك في مجادلة لينين ضد خصومه - رفاقه ؟

و ((تلك الاشتراكية)) لن ((تحذف المشاكل القومية)) ، بقدر مـا ان هذا الحذف جزء من تلك الاشتراكية . وهذا يحكم عـلى الراهن ، عـلى السياسة .

اذن آسف على كون الحوار قائما في حـدود ـ مفردات الاشتراكيـة ومعناها وتعريفها وليس في حدود ـ مفردات الثـورة الاشتراكية ، سيرورة وعملية الثورة من ألف الى ياء . لا سيما وان هذا الحوار ((الايديولوجي)) يمهد للحوار ((السياسي)) الذي يسوغ (على ما يبدو لي) ما ذهبت اليه.

٧ ـ اي أبعد من المعنى ((الصغير)) لكلمة ((اشتراكية)) ... هـذا ايضا صحيح وبديهي . في نصوص ماركس وانجلز هنـاك معنيان ((صغير)) و ((كبير)) لكلمة اشتراكية ، واكثر من معنيين .

بدون ذلك لا أرى جدلا . الجدل (= الفكر ، المعرفة) يبدأ بالفـرق (الفصل) ، يخرج من الخلط ، ولكنه لا يكتفي بالفرق (الفصل) . فصله وصل ، فرقه هوية ، ربط ، علاقة ...

الطرفان ، رودنسون ومندوب هيريتم ، على حق . رودنسون على حق، ومن الطبيعي والمنطقي ان نسمي الاتحاد السوفياتي وبلدان اوروبا الشرقية والصين الخ مجتمعات اشتراكية . والفـرق ، فصل المعنيين ، ضروري . لا سيما لأن ((ماركسية)) مؤسساتية مكرسة او مقدسة ، تخلط ، تنتقـل بلا وعي او بنصف وعي مـن المعنى الصغير الـى المعنى الكبير ، تصوف ، تذوب المسائل ، في الرأس رغم أنف الواقـع . ظاهرا مـا زال السوفييت يعتقدون ان الخلاف الصيني ـ السوفياتي نابع مـن الهوية غير الطبقيـة البروليتارية للقادة الصينيين ...

رجوعا الى ما قاله رودنسون قبل قليل (((اني من جهة أخرى أتـرك للينين مسؤولية هذه الجملة الاخيرة . في هذا النص يجري لينين فصلا بـين ما يدعى حتى الان بالاشتراكية اي ...))) ، أقول : هذا صحيح وضروري، ولكن من الذي ((دعا)) ؟ ـ الذي ((دعـا)) هـو ماركسية سائدة ليست ماركسية ماركس ولينين ، ماركسية التلاميذ ، الاممية الثانيـة ، خصوم ورفاق لينين ، هؤلاء الذين يقارعهم لينين ، ماركسية ستالين وما بعده .

٨ ـ ربما ، لا في حقبة كاملة من حياته ، بـل في شتى اطوار حياته . وفي شتى الاطوار نجد أيضا ((العكس)) ، غير ذلك .

وفي رأيي نحن نخطىء اذا أخذنا اي نص خارج سياقه ، وبشكل أخص

خارج هدف ضربه . كي نفهم معنى ما يقولـــه ماركس (او لينين ، وفي اي مجال كان) لعله يجب اولا ان نتساءل ضد من وضد ماذا (ضد اي فكـــرة وتصور وطريقة وتركيبة ذهنية) يقوله .

مثلا ، بعد قراءتي لرسالة ماركس الى فيرا زاسوليتش ومسودات هذه الرسالة (١٨٨٢) ، قد أفكر : اذن كل القضية هي الغاء الملكية الخاصة . اذن كل المسائل الاخرى تافهة ، او هي لا تستحق ان تدعـــى أخرى . اذن ماركس حذف فكرة التطور الموضوعي وفكـــرة الشروط الموضوعية للثـــورة الاشتراكية من اساسها . اذن مـــا قالـــه في ١٨٦٧ ــ ١٨٧٠ عن ايرلنـــدة وانكلترة ، عن المسألة القومية والثورة الاشتراكية ، لا شان لـــه . هـــذا أدعوه : انا أخرج عن الموضوع ...

مثلا ، أستطيع ان ((استنتج)) من كتاب لينين ((الدولـــة والثورة)) (١١٩٨) ، ان لينين يربط مفهوم الدولة بالطبقـــة ، اذن لا يربط الدولـــة بالامة ، يربط الدولة بالطبقة لا بالامة ، وربط الدولـــة بالامة خرافـــة . الشاهد الممتاز الذي نقله رودنسون يبرهن العكس . وفي رأيـــي ، ((كـــل رودنسون)) يقول ويصرخ العكس . وفي رأيي ، القضية ليس فيهـــا التباس ــ عند لينين وفي ماركسية صاحية ، جدلية مادية ــ . لينين يربط مفهـــوم الدولة بمفهوم الطبقة في اطار مفهوم المجتمع او لنقل في اطار الامة ، البلد ، معارضا التصويف البرجوازي كله ، الفكر البرجوازي الذي نفذ الى وسط حركة العمال والماركسية وقادتها (بليخانوف ، ... ، كاوتسكي ، فانـــدر فلد الخ) . وهو يربط مفهوم الدولة بالامة في عالـــم الامم ، ويربط الدول بالامم في العالم الاشتراكي المقبـــــل ، معارضا بشدة رفاقـــه اليساريين الاقتصادويين الطبقويين مذوبـــي المسألـــة القوميـــة ومسائـــل العصـــر ((الماضي))) ! (. عالمه الحاضر (الرأسمالي) والمقبل (الاشتراكي) ومـــا بينهما (عالم ما بعد ١٩١٧) ليس بسيطا مجردا لمفهوم ((المجتمع)) المجرد . وثمة هوية مشتركة ، ثمة تطابق جزئي صريـــح بين الموقفين ، بـــين الربطين اللينينيين . موقف بليخانوف ، والماركسية الاوروبيـــة ، واليمين العمالـــي (برنشتاين ، فاندر فيلد الخ) ، موقف قومـــي ، قومي ، استعماري ، امبريالي ، دعوة الى وحدة الامة ذات الامتياز ووحدة اوروبا ذات الامتيـــاز الخ . وكل تجريد المجتمع لا قيمة له بدون العالم الواقعي . نوعا ما انـــه ازاءه مثل الفكر ازاء الكائن ، المعرفة ازاء الواقع ، الـــخ ، مفهوم الشيء ازاء واقع لشيء (ومبدأ لاقتراب الذي لا نهاية له ، فكرة الـasyntote)

وبعد . أنا اعتقد ان الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج سيكون لـــه

« كتلة كبيرة من النتائج » . وأعارض أي تصور آخر .

وبالطبع اعتقد ان المجتمع الاشتراكي السوفياتي متقدم جذريا على المجتمع البرجوازي ، أرقى جذريا . لم يبلغ ١٠٠٪ الاشتراكية بالمعنى الصغير (بله الكبير) ، ولكنه تقدم جذريا في الاشتراكية خارج المعنى الصغير أيضا . لكنت أدير له ظهري لو كان تقدمه محصورا في المعنى الاول (الصغير) . وفي هذا يثبتني الخلاف الصيني ـ السوفياتي وقضايا أخرى . ليست قضية ذات استحقاق ان نقيم « بنى داخلية مساواتية » اذا الامم المساواتية والمتآخية فى الداخل الخ ...

بالمناسبة : لينين في الشاهد الاول ، وفي تعليقات أخرى على رسالة انجلز الى كاوتسكي ، يتحدث عن احتمال قيام حروب ضد دول البروليتاريا المنتصرة ، ضد اوروبا البروليتارية الاشتراكية ، من جانب المستعمرات والتابعات ، (وعواطفه مع المستعمرات ، وان ليس عقله معها تماما . وهو على حق في الوجهين) ، ناسبا ذلك (بحق) الى انجلز ايضا . لو كنا انتبهنا قبل عشرين سنة الى هذه التعليقات الصريحة ، لكانت مفاجآتنا (نحن العاديين) بالخلاف الصيني ـ السوفياتي أخف ، ولكانوا (هم المسؤولين القادة) ربما درؤوا الخلاف جزئيا (ووضعوه في طريق حل مضمون) .

بالطبع ، أنا لا أؤكد تحقق اقوال لينين ولا أي قول للينين ، بل أؤكد الصواب العميق للخط اللينيني مأخوذا كجملة عضوية كاملة لا تحتاج الى « اضافات » ، لانها بالضبط جملة عضوية كاملة حية قادرة على التمثل ، مفتوحة نحو المستقبل ، قابلة للتطور والتطوير ... وما أدينه هو كل الابتعاد عن خط لينين ، « كل » الماركسية بعد وفاة لينين ، اقصد الماركسية الستالينية ونقائضها التي « عاشت » عليها ...

« تفكير ماركس ... الانخلاع ... الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ... بل في بعض اللحظات ... هذا واضح وقاطع ، « Cést clair et net »

ـ شخصيا احذر هذا الوضوح . اتساءل اذا ليس هناك طرح آخر ممكن للمسألة غير هذا الطرح : « ... الانخلاع الاساسي ... وبهذا فقط بل في بعض اللحظات بالملكية الخاصة عموما » . ربما يجب القول : هناك في ذهن ماركس مخطط عام مجرد يلازمه من مخطوطات ١٨٤٤ الى كتاباته الاخيرة مرورا بالايديولوجيا الالمانية ورأس المال (وكتابات انجلز الكلاسيكية) ومفاده : الانسان ـ الطبيعة والطبيعة الانسانية كما تنبسط تاريخيا (الشغل ، تحويل الطبيعة) ، والسؤال عن العلاقة بين الطبيعتين وعن المستقبل ، امكانية وضرورة التجاوز . التاريخ درجة وسيطة : تقسيم

الشغل ـ الملكية الخاصة ـ الانخلاع ، الانخلاعات . هنا نقطة الصدام مع الفكر البرجوازي التقدمي المصوف والمتفائل . المسألة واحدة ، ان لم يكن ((المسألية)) (؟) . لا أرى كيف يمكن ان أخفض ((الملكية الخاصة)) ، علاقات الانتاج . انها قطعا صميم هذا التصور البالغ التجريد ، البالغ الاهمية والضرورة والراهنية (الزمن الحاضر يؤكد عليه . وكل تحليل نفسي Psychanalqse يدير ظهره لهذا التصور يظل قاصرا ولا يؤدي ما هو من حقنا ان نطلبه منه) . هذا المستوى فى التفكير لعل البعض يرفضونه (لعل رودنسون يرفضه) ، ولعل البعض الاخر يؤكده ولا يرى مستوى آخر ، او بالاحرى يخلطه ولا يرى مستويات ، يخلط المستويات ، لا يرى هذا المستوى كمستوى ، ويأخذ منه قطعة يعالج بها مستويات أخرى . ان هذا الرفض ـ ايا كان شكله ومآله ـ قد يتصور نفسه بطبيعة الحال رفضا لـ ((فلسفة التاريخ)) التي فعلا تجاوزتها الماركسية . بالحقيقة انه رفض للفلسفة ، ورفض للماركسية .

قلت : الطبيعة ، تحويل الطبيعة ، الشغل ، تقسيم الشغل ، الانتاجية ، الملكية الخاصة ، الانخلاع الـخ . واعتقد ان المسألة ـ التي يعالجها رودنسون وهيريتم ـ تفقد طعمها اذا تركت جانبا بعض المقولات ـ الاطراف في المسألة .

٩ ـ بالنسبة للقارىء العربي ، اعتقد انني غطيت بشكل جيد هذه النقطة ، في كتابي ((الماركسية والشرق)) ، دار الطليعة .

في سنوات ١٩٠٠ ـ ١٩١٣ ، حركة العمال الاوروبية واحزابها منقسمة الى يمين تحريفي ويسار ماركسي . بوجه الاجمال ، اليسار الماركسي مع المستعمرات واستقلالها ، واليمين التحريفي اشتراكي ـ وطني ـ استعماري . ولكن ليس دائما . في فرنسا ، اليسار الماركسي الغيسدي لم تكن مواقفه دائما مقبولة . فيه استعماريون واصحاب مشاريع اعمارية (في المغرب) . قد لا يكون غيسد ، من هذه الحيثية ، أفضل من جوريس . (وفي سنة ١٩١٤ ، اغتيل جوريس عند اندلاع الحرب العالمية ، ثم دخل غيسد في وزارة الوحدة الوطنية اي الامبريالية) . هناك خارج الماركسيين، فى فرنسا وانكلترة واوروبا الشرقية ، من وقف موقفا نبيلا وسليما ضد الاستعمار مع قضية شعوب العالم المغلوب . ولكن بوجه الاجمال ، ان موقف مناصرة شعوب المستعمرات لم يكن عميقا في حركة العمال في الغرب . وفي الرأي العام كان الوجدان الانساني ـ العالمي منخفضا عما كان عليه قبل

خمسين سنة . ثمة دراسات تبين ان القاعدة (في حركة العمال) كانت أسوأ من القيادة ، ان الاقاليم وصحف الاقاليم كانت أقل مبالاة ووعيا وانسانية من المركز وصحف المركز . وتبين مؤتمرات الاممية الثانية وجود اختلاف وانقسام ((قومي)) ازاء مسألة الاستعمار والمستعمرات الروس (بلاشفة ومناشفة واشترا ـ ثوريين غير ماركسيين) والبولونيون والاوروبيون الشرقيون ومندوبو الشعوب الصغيرة والمغلوبة داخل اوروبا في صف ، وغالبية الفرنسيين والانكليز والالمان والبلجيك والهولنديين في الصف المقابل ينظرون الاشتراكية ـ الاستعمارية ـ الوطنية ـ الابوية ـ ((الانسانوية)) (مع فكرة التقدم واخواتها شبه الماركسية) . هنا أيضا ، كما دائما ، الماركسية يمكن ان تحول الى لافتة .

١٠ ـ du vrai بعض حق ، بعض صواب .

هذا صحيح وهام . هناك دائما صواب ، هناك دائما حق . والا لكانت قضية الحق ضد الباطل غير ذات شأن .

ليس هنا مكان نقد توصية فرع سيدي بالعباس نقدا تفصيليا . (ولو أنني اؤمن بضرورة هذا التفنيد . أتركه للطبعة الموسعة من تاريخ الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية) . ولكن بصورة عامة ومجردة ، أحب أن أبدأ بما يلي :

ان موضع الداء (على صعيد النظرية) هو عند : ١) ((الساعة الراهنة)) ـ هذا الراهن لا جدلي ولا مادي . أرفض أي ((راهن)) يدير ظهره لمفهوم الراهن ، الواقع Wirklichkeit ، الهيغلي . ٢) ((الساعة الراهنة اي قبل اية ثورة تنتصر في المتروبول)) . البيان الصادر عن المؤتمر الاول للكومنترن (١٩١٩ يسوغ) جزئيا هذا الاتجاه : الثورة في المستعمرات تتوقف على الثورة في المتروبولات ، الاستقلال سيأتي بعد انتصار الاشتراكية في المتروبولات . المؤتمر الثاني (١٩٢٠) ، وهو أهم بكثير ، تجاوز جذريا نقص المؤتمر الاول ، غلطه ، وبدأ حربا لا هوادة فيها ضد الاشتراكية ـ الاستعمارية ، لا سيما في صفوف الاحزاب التي انضمت الى الاممية الثالثة ، اي التي صارت ((شيوعية)) دون ان تصير .

قلنا :)) بصورة مجردة ((، همنا المعرفة ، ما هي معرفتهم ، اي حذفنا المصالح ، العواطف الخ .

نذكر بأن فرنسا وانكلترة ، الدولتين الاستعماريتين الاقدمين والاكبرين ، خرجتا منتصرتين من الحرب العالمية الاولى .

ليس فقط المركز او الموقع الاستعماري المهيمن كان يخلق في انكلتـــرة طبقة عاملة ليست حزبا بل تسير وراء حزب البرجوازية (كما يقول انجلز في رسالته الى كاوتسكي) ، يجعل حركـة العمـال حركـة عماليـة انتهازيـة ـ اصلاحية ـ تريديونيونية (كما لاحظ ماركس وانجلـز مرارا بين ١٨٥٠ و ١٨٩٥ ، وردد لينين اقوالهما مرارا) ، ويجعل « حزب » العمال « حزب النقابات » ، وليس فقط هذه الحالة الانكليزية توسعت وتعممت « اوروبيا» ونفذت داخل الماركسية وحركة العمـــال الماركسية في شكـــل التحريفيـة بأشكالها ، بل ان هذه الحالة المادية والتاريخية « تقبض » عـلى النظريـة الماركسية ، تخصيها . هذا أمر بالغ الوضوح عنـــد لينين . وتقطع منهـا الفلسفة . هذا أيضا بالغ الوضوح عند لينين .

١١ ـ مفهوم « اوروبي التمركز » مفهوم صحيح ، قبض حقيقي . يجب ان لا ننسى أنه مفهوم ، قبض . يجب ان نفرق . لا أعتقد ان المسألة هـــي جوهريا تثمين حضارات الهند والصين والعرب ...

١٢ ـ هيرتيم على حق . هذا المستوى لا غنى عنه .

١٣ ـ يسندها مناخ « تقدمي »متفائل : فالاحوال المعاشيـة للشعب ، للعمال ، في تحسن ، والنضالات الاجتماعية والسياسية كانت تعطـي ثمارها ... ثم جاءت حرب ١٩١٤ ، اول حرب عالمية ، فتاكة ، مركزها اوروبا مركز العالم والتاريخ .

١٤ ـ هذا التلمس ، هذا الوصف والتصوير ، ضروري و (في رأيي) صحيح .

بالطبع انه لا ينفي (ولا اعتقد ان رودنسون ينفي) الفـــرق بين موقف فرع سيدي بالعباس والبلاشفة الروس . واضح ان رودنسون يدين اولئـك لا هؤلاء .

ثمة دائما صواب في الخطأ ، وخطأ في الصواب ، هذا لا ينفي فـــرق الصواب الاجمالي (او الحاسم) والخطأ الاجمالي (او الحاسم) . ★

★ محاكمة البلاشفة الروس عن المصلحة البعيدة الخ صحيحة . محاكمة الفرنسيين هي ضد المصلحة البعيـــدة للجزائريين وللبروليتاريا والشغيلـة الفرنسيين . موقفهم = الانتهازية .

وما يجب ان يدان في المرجع الاول هـــو موقف قـادة حركة العمـــال الاوروبية في ١٩١٤ ، السنة المرعبة . مرعبة ، آنيا وتاريخيا ، من وجة نظر الراهن . خيار بعيد النتائج . ولقد كان في منطق كاوتسكي والوسط بـــل واليمين كثير من الحق او بعض الحق ...

١٥ ـ باختصار : ١) هؤلاء ينتسبون الى « جماعة قومية » معينـــة ، ذات مصالح وعواطف ومنعكسات دفاع الخ كما ذكـــر رودنسون ٢) الثورة كانت فعلا بعيدة ، الاستعمار ما زال امامه جولة ، عمـــل طويــــل ٣) هم تصوروا العكس ، هذا مناخ ما بعد ١٩١٧ (في الوسط الشيوعي الدولي) . سجلوا هذا الموقف المشين ، دشنوا (نوعا مـــا) الاتجـــاه الاشتراكي ـ الاستعماري اياه في اطار الحقبة الجديدة والامية الجديدة . خافوا، خانوا نداء « الثورة الاشتراكية العالمية » دفاعا عن انفسهم كجماعة قومية ، كانوا أصدق من غيرهم ، كشفوا عواطفهم . سواهم ظل في مستوى نظري .
الايطالي سيراتي Seratti مثل في المؤتمر الثاني (١٩٢٠) اتجاها « اوروبيا » : « صراع طبقات » ، « طبقة عاملة » ، « بروليتاريا » ، الثورة بعيدة في آسيا او هي ليست ثورتنا الخ . حزم بما يشبه الاجماع . ولكن..
لكن الداء متجذر ، واحد وجوهه وجهه النظـري والفلسفي : مقولات الجملة ، الترابط الكلي ، والتناقض ، مذبوحة على مذبح « التصور المادي للتاريخ » ، الاقتصادي ـ الاجتماعي ـ الطبقوي .

١٦ ـ اولا هؤلاء (اقصد الماركسية السائدة المكرسة في حقبة ١٨٩٠ ـ ١٩٢٠ ، الماركسية « الاوروبية ») لا ياخذون الماركسية بـــل قطعـــة مـــن الماركسية ، قطعة مهما كانت كبيرة فهي قطعة . ثانيا يمحون بممحاة : ماركس والمسألة الايرلندية ، ماركس والعمال الانكليز ونقاباتهم ، وكل هذا الـــذي يبعثه لينين في تراث ماركس وانجلز . ثالثـــا ، عقلانيـــة ماركس الجبارة يفهمونها كأنها وضعوية ، والاقتصادية يحولونهـــا الـــى اقتصادويـــة ، ويرمـــون ما يعتبرونه « فلسفة » . يخصون الماركسيـــة باسم « العلـــم »

--- لولا خطر الانكليز ، كان يمكن ان يتـــرك البلاشفة تركستـــان ، ان لا يفرضوا على بخاري سعادة او بركة . رسالـــة انجلـــز الـــى كاوتسكي لا تتعامل مع هذا ، انها بعيدة عن هذا الاحتمال : ثورة منتصرة في روسيا ، وعالم انكليزي وغربي رأسمالي امبريالي مقاتل ضد روسيا سوفياتية ...

و « الواقع » الخ ... هيغل منبوذ . « الايديولوجيا » منبوذة .

المستوطنون ـ المستعمرون يستندون الى هذا الجو . انهـــم يحولون الايديولوجيا ، الماركسية الى ايديولوجيا مضادة على جسر اللاايديولوجيا.

هذه الحماقة التي تدعو نفسها لا ايديولوجيا ثوريـــة (ماركسية او لا ماركسية) غير علمية وغير عقلية . كان ذلك رد فعل احمق على موقف مزر . لينين (١٨٩٣ ـ ١٩٢٣ ، ولا سيما ١٩٠٢ ، ١٩٠٥ ، ١٩١٦ ، ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣) يبعث الماركسية .

١٧ ـ جول فيري Ferry وزير فرنسي (اواخـر ق ١٩) شهير ، ليبرالي علماني واستعماري . نظم المدرسة الابتدائية العلمانية الحكوميـــة الالزامية المجانية وساهم في استعمار تونس والهنـــد الصينيـــة والكونغو . « يحمل في يد المدرسة العلمانية وفي اليد الاخرى الهند الصينية » .

١٨ ـ رجوعا الى شعار « الشغـــل اليهودي » ، تبـــدو ستراتيجية الصهيونية ـ مأخوذة كجملة متكاملة ، وموضوعيا ـ انشاء « مجتمـــع » ، انشاء « أمة » (مؤلفة من طبقات) ، وليس طبقة . هـــذا الاتجاه وارد في استعمار الجزائر ، في جنوبي افريقيا . ولكنه هنا ـ في الصهيونية ـ هـــو الخط الجوهري ، الثابت ، الحاسم ، الاخير ★ . واسرائيـــل مموقعة . بدون قضية الامبريالية ، الغرب والشرق ، الشمال والجنـــوب ، اوروبـــا وآسيا ، الخ ، العرب والتجزئة والوحدة ، المسألة تبقى ناقصة ، ما حصل مستحيل وفهمه مستحيل . وبـــدون الصهيونيـــة العمالية والصهيونيـــة « الماركسية » .

هذه الصورة تتكون بوضوح مـــن مؤلفات ناتـــان فاينشتوك ، أوري آفنيري ، مكسيم رودنسون ، و ... مجلة هيريتم .

١٩ ـ بخصوص نصوص ماركس عن الهند والاستعمار الانكليزي في الهند وعن الصين ، أحيل القارىء على : ١) ماركس وانجلز : المؤلفات المختارة ، ماركس وانجلز : عن الاستعمار . ٢) كتابي : الماركسية والشرق . ٣) شرام

★ لا أذكر اي رئيس اسرائيلي قال لرئيس جنوبـــي افريقيا : الخطـــأ خطأكم ، لماذا لم تفعلوا أصلا مثلنا ؟

وكارير دانكوس ((الترجمة العربية ، دار الحقيقة : الماركسية اللينينية امام العالم غير الاوروبي) .

ماركس يؤكد دورا ثوريا للاستعمار الانكليزي في الهند . وهو على حق. هذه الحقيقة جزء من حقيقة الدور الثوري للرأسمالية (والاستعمار) في التاريخ . الثورة الرأسمالية والصناعية شرط لما بعد ، للبروليتاريا ، للثورة البروليتارية العالمية ، للاشتراكية . عالمية الرأسمالية (هذه العالمية التي توحد ـ تقسم العالم) شرط للثورة وعالمية الثورة . الشعوب التي لا تأتي الى الرأسمالية تأتي الرأسمالية اليها ، في شكل خاص ، على ظهرها. علاقات انتاج عالمية ، سوق عالمية ، دخل عالمي بتوزع بصورة غير متكافئة ، جائرة ، بين الامم ، القارات ، الجهات الجغرافية ، الاجناس ، الطوائف ، الخ ، وليس فقط بين ((الطبقات)) . بهذا المعنى الامم تصير ((طبقات)) ، شريطة ان لا ننسى انها الامم في العالم ، أن لا نذوب المسألة ((القومية)) في مفهوم غير فرقي يدعى ((صراع الطبقات في النطاق العالمي)) هذا أولا ، وأن لا ننسى ثانيا ان الامم مؤلفة من طبقات ، ولا سيما الامم المغلوبة وأن احدى طبقات هذه الامم المغلوبة تحتل مرتبة عالية جدا في توزع الدخل العالمي .

بالطبع ، ماركس يؤيد نضال الهند ضد بريطانيا ، على طول الخط . فضلا عن كونه يكشف هول التخريب وفداحة ((الاتاوة)) التي تأخذها بريطانيا ـ الامة من الهند . هذا لا يغير في نظره كون الاستعمار البريطاني أحدث اول ثورة اجتماعية في تاريخ الهند الذي كان من قبل تاريخ ثورات او انقلابات او تغيرات سياسية ، دولتية ، دينية ، في السطح ، مع بقاء نظام الانتاج والمجتمع على حاله جوهريا مدة ٤ آلاف سنة . هذا التشخيص هو بالاحرى قبض مفهومي ، وجه جوهري أساسي . وفكرة الركود الاسيوي فكرة أساسية عند لينين الذي يعتبر ان استيقاظ آسيا من سباتها الطويل في اوائل القرن العشرين يفتح طورا جديدا في التاريخ العالمي ...

الشيوعي الهندي روي في المؤتمر الثاني للكومنترن (١٩٢٠) ، ممثل الاتجاه الاسيوي ـ اليساري (ضرورة توجيه مركز النظر الثوري الى الشرق ، آسيا هي التي ستشق او ستتابع بعد روسيا شق الطريق ، عمالية او عمالية ـ فلاحية ـ كدحائية بدون ((قومية)) وحركة قومية ومسألة قومية) ، لا يرى في الاستعمار تاريخيا سوى وجه نهب وتأخير ... لا يبدو ان هذه النقطة الاخيرة نالت اهتمام المؤتمر كمسألة .

بخصوص الصين ، كان ماركس (بالاضافة الى ما ذكره رودنسون)

يأمل في انعكاس احداثها الكبيرة مباشرة على انكلترة والصناعة واوروبا والثورة العمالية العتيدة .

٢٠ ـ أؤيد رودنسون • لا سيما من وجهة نظر ان ماركسية ما قبل عشرين سنة أعطت بعض التخريفات عن الفكر « البرجوازي » ، ضد الفكر « البرجوازي » ، وضد صفة وكلمة ومقولة « برجوازي » . عندنا مثلا (وايضا في اوروبا) : « برجوازي » = ما يشبه الشيطان . اذا قلنا مثلا: الحركة القومية حركة برجوازية ، فهذا معناه حركة تافهة وحقيرة ، ومعناه دائما حركة ليست شعبية ، ليست للشعب ، وللبروليتاريا ، بلا حيثيات . ولكن الماركسية الفرنسية والعربية خرفت أيضا (كثيرا) « مع » فكر ١٧٨٩ ، ومع هذا الفكر ضد قضية المستعمرات ، ضد استقلال العرب .

ولكنني أحفظ أولا الوجه الاول . أدين كل موقف لا يرى ان فكر المفكرين البرجوازيين ، لا سيما عمالقة القرن ١٨ ، يتجاوز المجتمع البرجوازي الواقعي ، بمعنى ما ، ويتجاوزه بحكم كونه فكرا . هذا ما أفكر به .

من شعار « أنا بشر ولا شيء مما يهم البشر بغريب عني » (من الادب اللاتيني القديم . شعار ماركس وآخرين ، فويرباخ الـخ) الى شعار « حرية ـ مساواة ـ اخاء » والانسانوية البرجوازية العظيمة : كنط ـ فيخته ـ فويرباخ . هذه قاعدة متينة . معنا ضد « الغرب » الراهن ، ضد المجتمع المدني الذي أنهى مساره الطويل .

من جهة اخرى ، لابأس من التذكير بأن ماركسية الاممية الثانية كانت ضد ما تعتبره الجوانب « اليعقوبية » عند ماركس ، ضد ماركسية سنة ١٨٤٨ ، في الوقت الذي كان فيه الفكر البرجوازي الالماني يشن حملة على « السنة المجنونة » ، وبأن لينين بعث الجوانب « اليعقوبية » وماركسية سنة ١٨٤٨ والمسألة الفلاحية والمسألة القومية (وكان هذا الامر أحد أهم وجوه عبقرية انجلترا كما يراها ويثمنها لينين ، بخلاف أحدث تطورات ماركسيي الغرب ...) ، وبأن تأكيد كلية وكونية الثورة الديمقراطية البرجوازية وتجدد وتوسع مسائلها في عصر الامبريالية ، أعلى وآخر مراحل الرأسمالية ، هو جزء لا يتجزأ ، جزء عضوي ، في اللينينية ، كما تخالف وتعارض خط تفكير الماركسية اليسارية غير اللينينية ، وكما يسوغها طور ما بعد لينين .

لا أعتقد أن الماركسية = تحليل اقتصادي علمي + مثل أعلى . أعتقد ان الماركسية كل عضوي ، فيها ترددات ، أخطاء ، نواقص ، الـخ الـخ ،

ولكنها كل عضوي ، ويجب أن تؤخذ . هذا يدعوه البعض « ايديولوجيا » .
في ماركسية الغرب كلمة « ايديولوجيا » اليوم لا تؤخذ الا بالمعنى السلبي ، وهو الغالب عند ماركس ، في استعماله لهذا المصطلح ، ولكن الامر غير ذلك في استعمال لينين • وقد يدعوه البعض « نظرانا » Spéculation ... في رأيي ، انه الماركسية ، وهو العلم science وهـو وحـده العلم . (الماركسية الجزئية ضلال) . انه المادية الجدلية والتاريخية . واعتقد ان الثابت اللينيني ، الثابت الاولي عند لينين ، من ١٨٩٣ الى ١٩٢٣ ، هـو هذا : « ايديولوجيا علمية » . عندي انطباع أن الماركسية في الغرب ، حاليا ، تعتبر هذا « تناقضا » ، اذن شيئا لا يستساغ ، ولا تحاول جديا أن تفهمه . لا تريد .

اعود الى نص رودنسون .

آدام شاف مفكر ماركسي بولوني شهير . في سنـوات ١٩٥٦ ــ ١٩٦٠ كان مطرقة الارثوذكسية الحزبية ضد « التحريفية » (بلا مزدوجين هي فعلا تحريفية) . ومع ذلك كان من وجهة نظر بعض الارثوذكسيـة (ربمـا يجب القول من وجهة نظر الارثوذوكسية غير البولونية) يمكن ان يعتبر « تحريفيا » (بمزدوجين) . على أي حال ، لم تمض فترة الا وصار هو نفسه « تحريفيا » (مع او بدون مزدوجين هذا ليس مهما) . أتساءل الان ما اذا كانت مجادلته الصحيحة ضد خصمه التحريفي آنـذاك قبضت في الخصم عـلى وحـدة البراغماتية والانسانوية البرجوازية ــ الاشتراديمقراطية الخ . ربما ! لـم أطلع على الاضبارة نفسها ، معلوماتي عنها جزئية تماما وبالوساطة .

وحالفني الحظ وقرأت كتابه « الماركسية والفرد » الصادر بالفرنسية كتابه التحريفي . اصبت بخيبة . كنت اتوقع افضل وأعمق وأصوب وأجدى . (وقد يختلف انطباعي الان بقدر ما) .

ما يهمني هنا ، ما لفت نظري ، هو أن آدام شاف يضع نفسه بصراحة معلنة « تحت جناح » الماركسي الاميركي الكبير ، اريك فروم Erich Fromm ، المفكر الفذ الذي يعرفه طلاب جامعة بيروت الاميركية ، يعرفون كتابه المفيد والممتع « المفهوم الماركسي للانسان ــ مع ترجمـة مختارات مـن مخطوطات ١٨٤٤ لماركس » .

وما اتساءله هو : ترى هل يوافق فروم (وشاف ؟) عـلى طـريقة رودنسون في تلمس ومعالجة موقف ماركس من الملكية الخاصـة والتاريـخ والانخلاعات ؟

ويعزز تساؤلي حديث رودنسون عن شعارات ١٧٨٩ وجيـل ١٨٣٠ .

أجل ، ما هو الا حوار بين رودنسون وهيريتم ، ولكن من الافضل ان أتابع رأيي ، سؤالي تساؤلي .

« المثل الاعلى لماركس هو « حرية ، مساواة ، اخاء » ... الماركسية ثأر الثورة الفرنسية التي خانوها او التي لم تنجح . ماركس تكون في شروط اليسار الاوروبي سنة ١٨٣٠ الذي كانت معضلته الكبرى : الثورة أجهضت، بماذا نبدأ ... »

ـ هذه هي المسألة بدون مسألة « الملكية الخاصة » ؟ وصلاتها ووجوهها ، في السياسة ، في الاقتصاد السياسي ، في الفلسفة الالمانية ، في تصور التاريخ ؟

بدون روسو ، بابوف Babeuf ، بوناروتي ، مابلي ، موريلي ، توماس مور ، كامبانيلا ، آدام سميث ، ريكاردو ، فولتير ، هيغل ، غوته ، اليسار الهيغلي ، فوير باخ ، فايتلنغ ، الشيوعية الفلسفية الالمانية ، سان سيمون ، أوين ، فوريه الخ ؟

« الثورة أجهضت ، بماذا نبدأ كي نحقق ثورة أخرى ؟ ماذا كان سبب الفشل ؟ الخ » ؟

ـ مهلا ! أليس ثمة ، قبل سؤال « بماذا نبدأ » ، وجه أعمق ، مسألية « فلسفية » كبيرة ، تظهر في القرن السادس عشر ، تظهر في القرن الثامن عشر ، وبعد ثورة ١٧٨٩ ؟

ماركس جامع ومركز المسألية ، ومنشىء الحل .

الشغل ، تقسيم الشغل ، التقدم او التاريخ ، المجتمع المدني البرجوازي ، الملكية الخاصة ، التزاحم ، الانخلاع والانخلاعات ، تجارة ، ملكية ، تملك ، التفاؤل التقدمي ومسألة علاقات الانتاج ونظرية الافقار ، الخ .

مصدره الاهم : هيغل . او هيغل والفلسفة ، هيغل والتاريخ ، هيغل والثورة الفرنسية ، هيغل وعلم الاقتصاد السياسي الخ .

تملك appropriation من propre خاص ب ، خاصته . (كذلك بالالمانية : Aneignung) . في العربية الكلمة مختلفة . في الحالتين ألا يمكن القول ان الماركسية تضع : تملك ضد تملك ، انسان ـ اجتماع ضد انسان ـ برجوازي ، مجتمع او شيوعية ضد مجتمع مدني ؟

وفي المعرفة ، ما الذي تضعه الماركسية ـ مستندة الى مصادرها الكلاسيكية الثلاثة ـ ضد مثلا معرفة فولتير ، صاحب هذا القول : « ثلاثة أشياء تؤثر بلا انقطاع على روح البشر : المناخ ، الحكومة ، والدين . تلك

هي الطريقة الوحيدة في تفسير لغز هذا العالم)) (فولتير : محاولة عن عادات وروح الالم ، الفصل الاخير : خلاصة كل هذا التاريخ ، كل هذه القصة ★ ...) ؟

أليس صحيحا ان بعض ما يقوله ماركس في مخطوطات ١٨٤٤ (كما ((من جهة اخرى)) بعض ما يقوله في رأس المال وجميع مؤلفاته) ينطبق على زمننا اكثر ايضا واحيانا اكثر بكثير مما كان ينطبق على زمنه أليس واضحا ان مفهوم الأنا البرجوازي ، ان الملكية الخاصة ـ التزاحم ـ المجتمع المدني الخ بلغ شوطه الاخير ، ان المشهد الرائع المروع يجب ان ينتهي ، وان على البشرية ان تنتقل من ما قبل تاريخها الى تاريخها الحق ؟

المسألة مطروحة على هذا الجيل في جميع المجالات . وهي مسألة ١٨٣٠ وما قبلها وماركس الشاب والماركسية والماركسيين .

هل تكون وسائل الانتاج ملكا لافراد ، لشركات ، الخ ؟ هل تكون الارض ، ارض المدن وحوالي المدن وما بين المدن ملكا لاصحاب الملايين والمليارات ؟ هل تكون الارض والبشر والماء والهواء والطيور والاسماك (وأتذكر الشاهد من توماس منتسر في ((المسألة اليهودية)) لماركس) مملوكة؟ هل تكون الارض والكواكب ملكا لافراد ـ شركات ـ دول ـ أمم ـ خصوصيات ؟ هل يكون الطب طبابة من فرد لفرد ، كما من خوري لمؤمن ، بغرض معالجة مرض واقع وظاهر ، عملا مأجورا ، بدلا من ان يكون اولا واساسا طب المجتمع ، صحة عامة ، وقاية وحماية ، بيئة ، غذاء ، الخ ؟ كما لو تركنا السير بلا قانون سير مع مضاعفة الاسعاف على حوادث السير خمس مرات ؟ هل يجب ان يكون هناك مليون ((سيارة خاصة)) في كل مدينة ضخمة وعشرة آلاف سيارة خاصة (لفرد) في كل مدينة صغيرة ؟ هل يجب ان تسمم البيئة الى ما لا نهاية ؟ ان يموت البحر الابيض المتوسط ؟ ان يبلغ الانخلاع ـ الجنون مدى ((مستحيلا)) في الغرب والعالم المغرب ؟ المخدرات ، الامراض العصبية والنفسية ، الجريمة ، الجريمة والبوليس ، المخابرات والراديو ـ التلفزيون ـ السينما ـ الادب الخ والبشر ـ الادوات ، آلية الرفض والقبول ، الثورة والثورات وآلية اجهاض الثورة عند الملزوم بالثورات والثوار ، خطر الحرب النووية ، تزايد الاشعاع النووي ...

★ هذه الصفحة من فولتير غنية ، عظيمة ، فيها نظرات ثاقبة ، بديهية ... ولكن كان يجب تجاوز هذا النقص ، وهذه الثروة ، وهذه البداهة .

جوع مئات الملايين من البشر في القارات الثلاث ، والافقار الحـاد لمئـات الملايين في القارات الخمس . مجتمع البطر والجـوع بالجملة والمفرق ... تناقض صارخ متسارع بين قـوى الانتاج وعلاقات الانتـاج ، بين الطابع الاجتماعي الهائل للشغل والطابع الخاص البرجوازي المزري للتملـك ، بين القدرة الانتاجية الهائلة والفقر المدقع لنصف البشرية ، تناقض صارخ بـين « سيطرة الانسان على الطبيعة » وعدم سيطرته على شيء ، في تعيين أخير ، من وجهة نظر ما نريد ، ما يمكن ويجب ان يكون .

في رأيي هكذا يجب ان نضع مسألة الملكية الخاصة . ماركس لم يبالغ. القضية ليست ان نبالغ او ان نقلل . القضية ان نموقع الملكية الخاصة في الكل العضوي ، في الجملة المترابطة واللامتناهية (واللامتناهية في ترابطها). خارج ذلك ، « الملكية الخاصة لـ ... » لا تكون فقط مبالغة ، بل (وأزاود على رودنسون) تكون عدما ، قبضا عـلى الهواء ، او تضييعا ولا سيمـا تضييعا لسؤال « من أين نبدأ ؟ » ، و « ما العمل ؟ » الخ .

ماركس قبض على هذه الجملة ، « مـن البداية » ، وقبض عليهـا بشكل متزايد . قبض « من البداية » على مستوى تاريخي ـ فلسفي مجـرد مؤسسا بذلك الماركسية . بهذا المعنى ، الماركسية مؤسسة قبل ١٨٤٨ وقبل ١٨٤٥ ، لنقل منذ ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤ . وهذا المستوى « ذهب مع ماركس » الى النهاية . دخل نهائيا في صميمه وصميم خلفائه وصميمنا جميعا . ان عظمة ماركس تكمن في هذا ، وفي كونه لم يحل ولم يذوب المسائل في هذا المستوى، معارضا من البداية ، من ١٨٤٤ ، و ١٨٤٦ ، الشيوعية الفظـة المساواتية ، الشيوعية الفلسفية الالمانية ، مؤكدا ان التاريخ = الانخلاع هو تقدم جبار وشرط للتقدم القادم والانقلاب المطلوب ، معارضا سيميائيي الثورة ، مثبتا العلم ، منشئا الماركسية .

بتعبير آخر : العلم الماركسي ليس الايديولوجيا الشيوعية العامة ولكن لا وجود للعلم الماركسي بدون الايديولوجيا الشيوعية الماركسية .

بالطبع اذا حصرنا « الملكية الخاصة » في « ملكية فـرد » مـع بعض التوسيع ، اذا حصرنا علاقات الانتاج في اطار مجتمع بعينه ، وصرفنا النظر عن المسألة والمفهوم في الاطار العالمي ، فان القضية تفقد كثيرا مـن طعمها . ولعل رودنسون يميل الى هذا الموقف في رد فعـل ضد ماركسية تقليديـة جزئية وربما في رد فعل ضد مخلوطة شائعة تذوب الامور (وتحل الامم) فـي ما تدعوه « صراع الطبقات في الاطار العالمي » .

لنقلب المسألة على وجهها الاخر .

ما هو موضوع هذا القسم الايديولوجي من حوار رودنسون وهيريتم ؟ يمكن القول انه موضوع الاشتراكية (الاوروبية) والاستعمار ، ماركس ـ لينين ـ الاممية الثانية ـ حركة العمال الدولية (الاوروبية) امام الاستعمار وقضية المستعمرات . تاريخيا هذا الموضوع يندرج في موضوع اوروبا والاستعمار ، الايديولوجيا الاوروبية (= التقدمية) امام الاستعمار من القرن السادس عشر حتى ايامنا مرورا بسنة ١٧٨٩ ، من لاس كازاس ((اسقف الهنود)) الى ماركس ولينين وفرع سيدي بالعباس مرورا بايديولوجيا رجال ١٧٨٩ . ما هي نقطة الضعف ((القاتلة)) في هذه الايديولوجيا ؟ انها الكوسموبوليتية ، التضحية الايديولوجية بموضوع علاقات الشعوب على مذبح علاقات البشر عموما ، الانسانية اللاقومية المماثلية والتمثلية . وذلك بخلاف موقف علماء الاقتصاد السياسي وبخلاف موقف الالمان .

ولعله من المفيد ان نذكر هنا ان فيخته ، ((ابن الثورة الفرنسية وابو الامة الالمانية)) ، ان فيخته المنقلب قوميا وقومويا وشوفينيا على فرنسا والفرنسية واللاتينية الخ ، دافع في نص مذهل عن الشعوب غير الاوروبية ضد الاوروبيين . نص مذهل نشره هنري دني **Henri Denis** في مختاراته من الفكر الاقتصادي (طبع باريس) ، فيه يحذر الفيلسوف الشعوب الاوروبية من الركض المحموم وراء التقدم والسعادة على حساب آسيا وافريقيا ، وينتهي فيه الى القول : قد تقولون لي : ((هذا الذي تتنبأ به لنا من عاقبة وخيمة ان يأتي الا في مستقبل بعيد ، نحن اذن في مأمن)) ، وانا أعترف بانه ليس عندي ما أقوله ضد هذا المنطق !

فيخته عاش في فترة لم تكن فيها الثورة الصناعية قد بدأت بعد جديا (فيما عدا بريطانيا) ، اذن قبل بداية الطور الثاني من تاريخ التوسع الاستعماري ، الطور المرافق للثورة الصناعية ، قبل بداية فتح مدينة الجزائر ١٨٣٠ . ولكنه عاش على كل حال لحظة الانعطاف الكبرى ، لحظة السعي ـ الفتح ـ العمل الكبرى ، زمن فالمي وأوسترليتز وغوته وهيغل ... وان اوروبا ، بعد ١٨١٥ ، بين ١٨١٥ و ١٩١٣ ، عاشت نسبيا (بالمقارنة مع عصر نابوليون والثورة الفرنسية والقرنين السابقين) فترة سلام داخلي (قليل من الحروب الفتاكة داخل القارة أهمها حرب القرم بين روسيا وحلف الفرنسيين والانكليز ...) مع حروب استعمارية في الخارج . الامر الذي خلق تفاؤلا تقدميا وسلاميا ، قوامه الجزئية والمحدودية والحزبية ، تفاؤلا

سهل كارثة ١٩١٤ التي ضربته وكشفت زيفه وخيانة المسؤولين (قادة حركة العمال) .

ايديولوجيا ١٧٨٩ الفرنسية ، من حيث هـــي ايديولوجية وسياسية على حساب الاقتصادي والاجتماعي ، اصطدمت بصخرة دائــرة « المجتمــع المدني » ، (المصطلح الانكليزي ـ الهيغلي) ، فكان عهد الارهاب ثــم عهــد ترميدور والادارة فنابوليون وحروبه التقدمية والامبريالية .

وايديولوجيا ١٧٨٩ الفرنسيـــة ، مـن حيث هـــي انسانية ، كانت كوسموبوليتية ، وتمثلية . بدون مفهوم الامة العالمي المكاني ، بدون موضوع الامة ـ الامم ـ الشعوب في عالم الشعوب (المختلفة) . من هذه الناحية ، ١٨٣٠ و ١٨٤٨ هما تقدم جوهري . وفي رأيي ، ان آدام شاف في « الماركسية والفرد » يجنح في هذا الاتجاه : انسانية ـ كوسموبوليتية ـ عالمية عالم بــلا أمم ، حرفيا لا أممية non inter NATION alisme . وكل مكسيم رودنسون ينطق ضد هذا الجموح .

كانا ـ آدم ، مكسيم ، الياس ، جيزيل ، جان ، الخ ـ متفقون عـلى ان الامة ، على ان الامم ، والاديان والطوائف ، والطبقات و ... ، = حدود termes و limitations . بالضبط اذا كنا نؤمن انها (ان الامم والقوميات مثلا) خير سماوي ابدي فالافضل ان نعود الى بيوتنا. أنا أفضل « encore » العائلة ! ولكن هذا المستقبل الـذي نريده ونعمل له لن يأتي قبل مئة سنة او ألف او ألفين سنـــة كمـــا يقول رودنسون . سيرورة طويلة معقدة ، عمليتنا متسلسلة ... اذن ، ومـن أجـل المستقبل ، نبقى مع الحدود termes . مع جميع الحدود وبالدرجة الاولى مـــع هذا الحد : الامة ★ ، عالم الامم .

شخصيا ، « أخشى » جموح « الثوري اليهودي » ، احتـــرم وأثمـن كليته ـ كونيته (لا ارى ثورية بدون الكليـــة . ورودنسون احد الذيـــن يساعدوننا على فهم وتأكيد هذه النقطة ، في أعمال قديمـــة وجديدة لـــه) وأخشاها . قلت : جموح وكليـــة الثوري اليهودي ، موقف اللاأمـــة . رودنسون استثناء ، بطبيعة الحـــال ليس وحيـــدا في تاريـــخ « الثوري اليهودي » الذي ليس محض يهودي والذي هو يهـودي بحرف أول صغير . القرن التاسع عشر ، ألمانيا ، روسيا ، مصر ، الخ ، يشهدون على « نسبية»

★ وان قبضنا على مسألة اللاسامية في هـــذا البلـــد او ذاك يجب ان يشمل هذه المقولة ، ان يعتمدها كمقولة اساسية .

القاعدة . الثوريون اليهود كانوا المانا ، روسا ، مصريين الخ .

« حرية ، مساواة ، اخاء » . ربما هذا في صميم ايديولوجيا وسيكولوجيا فرع سيدي بالعباس ، ربما هو قوام كل نقص وخطأ الحزب الشيوعي الفرنسي واخيه الجزائري خلال ربع قرن (١٩٣٦ — ١٩٦٠) — هل نكتفي بالقول انهم كاذبون ؟ — تمثلية . وبأجزاء . حتى تجنيس يهود الجزائر بالجنسية الفرنسية اعتبر « تقدما ». وهو كذلك . ولكن نحو ماذا ؟

٢١ — واضح ان العناوين من وضع المجلة .

٢ — باختصار : ١) أنا لا اعتقد ان برنامجا فاتنا ليهود اسرائيل سيكون له أثر « جدي » . ٢) مع ذلك ، بل بصرف النظر عنه ، أؤيد خط داودنسون ، نصيحته ، بديهياته .

أعتقد ان كلمة « جدي » مفهومة ، وان موقفي مفهوم . ولكن لا بد لي من بسط .

اليهودية اكثر من دين . بالاحرى : يهود اسرائيل اكثر من « جماعة دينية » ، بل ليسوا « جماعة دينية » هكذا ، بدون حيثيات وفروق . يجب ان تعالج مسألة اليهود الاسرائيليين في فلسطين المحررة كمسألة قومية ، يجب ان تعالج « المسألة الاسرائيلية » . لست ادري ما اذا كانت جماعة اليسار الاقصى الاسرائيلي المناهضة لدولة اسرائيل هي التي تقول او كان غيرها هو الذي قال : لا يوجد مسألة فلسطينية (فلسطين فلسطينية ، عربية ، جزء من الوطن العربي ومن الوحدة العربية القادمة) انما توجد مسألة اسرائيلية ، يوجد سؤال عن مستقبل الاسرائيليين لا سيما الذين يبقون في فلسطين المحررة . هذا كلام رائع ، صحيح ، بديهي ، مبدئي . هذا مستوى « المبدأ » والهدف الاخير . بيننا وبين هذا الهدف ، المسافة طويلة، الفرجة l'intervalle كبيرة . الموضوعي ليس في يد الذات الساحرة . الاعتراف به ، انفراز الذات ، الخروج من المخلوطة ، من اختلاط الذات والموضوع ، شرط أولي للموضوعية ، الموضوعية شرط لعمل الذات ، لفعلها وتأثيرها . تملك الموضوعي بغير نمط الخيال .

أدين وأشجب الذين يخلطون ، يخلطون مستوى ومستوى ، لا يفرقون، يشرعون في ١٩٦٩ ، في ١٩٧٤ ، لفلسطين المحررة وكأنها محررة او على وشك ان تحرر بالحرب « الشعبية » آكلة الاخضر واليابس . أدين وأشجب هذا المسلك « اليساري » العربي و « الماركسي » العربي البارز في ١٩٦٩ ،

أدينه واشجبه بوصفه جزءاً من خط المثالية و ((التحرير)) (!) = التهوير، وخط الحرب الصباحية ـ المسائية الاذاعية على ((قرار مجلس الامن الاستسلامي)) .

في ١٩٦٩ ، (وربما الان) ، هناك ((ثوار)) عرب ، مفكرون منظرون ، ((أمميون)) ، يعطون (الاسرائيليين) ((حق الاتحاد)) (مع العرب) ويرفضون الاعتراف بواقع الانفصال ، (ويحاربون من يعترف بواقع الانفصال) . هذه مفارقة اولى لاناس ماركسيين منظرين أمميين ، بالمقارنة معهم يبدو المفكرون العرب الذين تحاور معهم رودنسون في هافانا عاقلين وحكيمين تماما ومتواضعين . هناك من يجردون ، يعزلون مسألة القوميات ونظريتها الماركسية (تعلموها بطرفة عين) ، ويطبقون الحل السوفياتي لمسألة القوميات (تعلموه بين عشية وضحاها) وينسون او يتناسون ان هذا الحل السوفياتي هو أولا وأساسا مبدأ حق تقرير المصير ، الذي هو اولا حق الانفصال . (هو حق تقرير المصير والانفصال لحالات قومية مماثلة من وجهة حيثيات الحل السوفياتي في روسيا لوضعية يهود اسرائيل) . منطق هؤلاء ـ بقدر ما ثمة منطق ، بقدر ما ليس منطقهم محض مخلوطة ـ : سنعطيكم حق تقرير المصير ولكن اولا ادخلوا في الاتحاد . جواب المعنيين : شكرا على عطائكم ... هناك من يحلون قضية الدولة في المسألة الفلسطينية بموجب عطائكم ... هناك من يحلون قضية الدولة في المسألة الفلسطينية بموجب كتاب لينين ((الدولة والثورة)) : هدفنا ازالة الدولة الاسرائيلية كما يعرف والحال ، يا سادة ، ان هدفنا هو ازالة او زوال كل دولة ، كل الدول ، بما في ذلك الدول التقدمية والدولة البروليتارية . اي بهذا المعنى (الذي لا ترون معنى سواه ايها المرتفعون فوق الدهماء) ان دولة اسرائيل والدول العربية واحد ، نحن الماركسيين ضد الدولة مع زوال وازالة جميع الدول ومع تلاشي الدولة البروليتارية ايضا . موقفكم الاساسي الطريقي النظري هو الاقتصادوية ، مآلكم وفحواكم تذويب المسألة الفلسطينية ، عندكم : المسألة الفلسطينية غير موجودة ، ولا موجودة اية مسألة ذات صلة ما بها . (المسألة اليهودية غير موجودة ، انها وهم ، انتهت بعد ((مرحلة)) كذا) . هذه المفارقات هي ـ حرفيا ، ان صح التعبير ـ مفارقات جلال صادق العظم (في ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ ، مع مواظبة في ١٩٧٢ وربما الان) .

في رأيي ، يجب على المقاومة الفلسطينية وعلى العرب ان يفرقوا (وهذا خارج حقل حوار هيرتم ورودنسون) ، ان يفرقوا آنيا ـ راهنا وبعيدا ـ راهنا ، اي : برنامجان ، وبالبداهة برنامج . هذا أولا . او أولا وثانيا وثالثا ورابعا .

ثانيا (او خامسا) ، لراهن (لجزء من الراهن) ان يكون عندنا ، على الاساس الانف وفي الاطار المذكور (برنامج ـ برنامجان ، اي بعيد وقريب) ، برنامج « فاتن » للشعب اليهودي الاسرائيلي . اعتقد ان اعتراضي على فكرة الراهن الشائعة او العادية واضح بما فيه الكفاية : أدين « الاني » المقطوع الفارغ ، أدين « حاضرا » هو حاضر ـ حاضر وليس ليس ماضيا ولا مستقبلا ، أدين الـ « هـو » أس ٢ والـ « ليس » أس ٢ ، باعتبارهما = الميتافيزية والمثالية .

بالطبع ، هذا البرنامج الخاص بـ « المسألة الاسرائيلية » يتوجه لا الى « الطبقة العاملة » الاسرائيلية بل الى كل المجتمع الاسرائيلي (العمال ، الطلاب ، البرجوازيين ، الحاخامات الخ) ، والى اليهود في العالم ، والى العالم ، والينا . وبالطبع ، هذا البرنامج « الاسرائيلي » الخاص يبدأ بقول الحقائق الكبرى : حقيقة الراهن الكبرى ، حقيقة العصر ، الامبريالية والصهيونية (واليهودية القائمة ومثقفوها الحديثون) ، قضية العرب والعالم ، حقيقة اسرائيل ، البيشوف ـ الدولة ـ المجتمع ـ « جيش الدفاع » ـ « اتحاد الشغل » والاحزاب والمزارع ، حقيقة العدو ، حقيقة التاريخ الماضي والمقبل : العدوان ، حروب العدوان والدفاع ، تصاعد الموت ، ولاول مرة في تشرين ١٩٧٣ بداية خسارة بشرية حقيقية عندكم ، بداية وهي قطعا لا تعادل في الحجم المطلق ضحايانا ، وقد لا تصل الامور الى هذا التعادل في أية حرب من الحروب المقبلة ، هذا ليس ضروريا البتة ...

من وجهة نظر تعريف ستالين للامة او بصيغة أدق من وجهة نظر العلائم الستالينية الاربع ، الاسرائيليون « متقدمون » كثيرا على يهود أوروبا الشرقية سنة ١٩١٣ . ولكن لهذه المسألة وجه آخر . في رأيي : الامة الاسرائيلية او الصهيونية القائمة أقل من الامة اليهودية لعام ١٩١٣ ، من وجهة نظر التاريخي والطبيعي . انها أمة سياسية وصنعية . أسم هذه النقط ، لانه يجب ان توسم . (لست من عباد العلائم الاربع و « التعريف » و « الامة » ولا « المسألة القومية » ـ الها معزولا) .

و ـ مرة أخرى ـ أؤيد معالجة قومية وبرنامجا « فاتنا » . ولا أرى تناقضا بين هذا وذاك ، بين هذه النقطة وما سبقها (بل أرى العكس) .

اعتقد ان القارىء يدرك ان نفس الطريقة تحكم هذا الموقف التي حكمت مفهومي الاساسي لواقع المسألة العام وخطة العرب المطلوبة الا وهو :

القول (القول ـ الصدق) بأن السلام او الصلح او الـخ غير واقع ، بأن الحرب والحروب قادمة ، بأن اذاعة لبنان محبة السلام وجريدة

« الحرية » او « الهدف » محبة الحرب ، في ١٩٦٩ ، في ١٩٦٨ ــ ١٩٧٥ ؟..
تخرفان نفس التخريف (السلام قادم بعد اسبوعين او شهرين ★) ، القول (القول العادل) بأن العدو والموضوع والحالة هم هكذا : عدوان ، حرب ، لعب ، توسع ، صدام ...

والاستعداد للسلام ، لقبول تسوية ما ، محـــددة ، لان الموضوع ليس « ثورة حتى النصر » هكذا ، بل هو ثورة او هكذا يجب ان يكــون ، سيرورة وعملية ثورية طويلة ، شعوب ، دول ، عالم ، جيــوش ، الــخ ــ ، معارضة رفضية الرافضين كارهي السلام بوصفها رديفـــة خط وعمليـــة وسيرورة السقوط والاستسلام . وفلسطين لن تقف بركوع العـرب بـــل بوقوفهم . (هل من شك في ذلك بعد ١٩٦٧ ؟ وبعد ١٩٧٣ ؟) .

اذن دائما ، الجـــدل = حساب الاحتمالات ، وتحليل النهايـــات الصغرى ، حساب التفاضل والتكامل ، قبض عـــلى الاحتمالات الصغيرة ، على احتمال الواحد بالمئة ، لان احتمال الواحد بالمئـــة ليس فقط احتمال الواحد بالمئة بل هو حاصل اخير وعملي لكـــل المقدمات ، بؤرة شديـــدة الكثافة او عالية التوتر ... ، لان من بلا احتمال الواحد بالمئة بـــلا الطريقة وبلا شيء بلا التسعة والتسعين بالمئة .

قانون موقف العدو وحالة الموضوع ليس قانون تمدد الحديد بالحرارة. ليس المستقيم ، الـ droi والاورثو ortho والاورثوغـــراف قواعد الاملاء .

اعتقد ان هذا هو موقف فتح . شعار « ثورة حتى النصر » ليس خطا، خطة ، ستراتيجية ، تكتيكا . انـــه محصور في مستوى معين ، طبيعـي ، ضروري ، سليم . انه للفلسطينيين نوعا ما مثل « العام القادم في اورشليم » لليهودية والصهيونية البائدة . بـــات ينسجم مـــع المستوى الاخر : الفتـــح القريب ، النصر الكامل ، المبين ، بعد مئة سنـــة . واذا اختصرت ، بفضل وعينا وقبضنا العلمي على المسافة ــ الفرجة intervalle وبفضل هذا الموضوعي « الخارجي » ذاته ، فزيادة الخير خير .

غني عن البيان ــ رجوعا الى الجزء ، الى البرنامج « الفاتـــن » ــ ان هذا البرنامج الفاتن ليس تكتكة وشطارة ، بل هو مبدأ وستراتيجية وتكتيك وهدف ، او هو تكتيك مليء ، بالغ الجد ، وملزم . انه « برنامج » .

★ ونحن ثابتون على كلامنا ، كما تقول حكاية معروفة .

عمانويل ليفين :

اليهودية وتحرير فلسطين

في نهاية الحرب العالمية الثانية ، **كنا نفكر ان الصهيونية ستجاب لنا « مملكة عدالة »** ، اي ستتيح لنا معرفة حياة متعارضة تماما مع الحياة التي عشناها قبل قليل في اوروبا . كنا نتصوّر ان الصهيونية ستجعلنا نبني عالما جديدا ، عالما يستجيب لتطلعاتنا العميقة : تطلعاتنا اليهودية ونقدنا للعالم الغربي الذي فيه نختنق .

الصهيونية **تراجيديا غربية** . تنقل الدراما ، الازمة ، الطابع الضاغط الخانق للحضارة الغربية الى الشرق الاوسط . اذ كنت صهيونيا كنت أسعى الى الهروب من هذه الحضارة ولكنني لم ألبث أن أدركت ان ما سيحصل هو العكس تماما .

اكتشاف الاضطهاد الصهيوني على ظهر الباخرة اكزودوس :

حين ركبنا على متن الباخرة اكزودوس (١) كنا نرغب في الذهاب الى فلسطين كي نعيش « عيشة طبيعية » ، مثل كل البشر ، كي نصير فلاحين ونمتلك ارضا . بعد ذلك ، سيكون بامكاننا ، انا وزوجتي ، ان نصنع مستقبلا لنا ، ان نحسن وضعنا ، ان نعيش حياة برجوازية . ولكن كيف يستطيع المرء ان **يعيش** مثل كل الناس بعد جحيم اوشويتز ، Auschwitz وتريبلنكا Treblinka ؟

في حيفا كان الميناء يعج بالجنود الانكليز ورجال الشرطة العرب . كانت السفن السرّية بوجه عام تعاد الى قبرص من قبل الانكليز . أما سفينة اكزودوس فقد عادت هي الى فرنسا .

كانت آنذاك رؤيتي الاسطورية لفلسطين بدأت لا تتطابق مع ما كنت أختبره . سابقا كنا نعلم حقا على يد الصحف انه كانت تقع حوادث بين اليهود والعرب ولكننا لم نكن نعي ماذا يعنيه ذلك . كانت رؤيتنا الاسطورية تمنعنا من سماع او فهم المعلومات القليلة التي كان يمكن ان تصل الينا . لم نكن نعي اطلاقا المسألة الفلسطينية .

الاضطهاد الصهيوني انكشف لي بادىء بدء كاضطهاد يمارس ازاء اليهود . بينما كنا نريد السير نحو العدالة والسلام ، على الاكزودوس استيقظت . فهمت ان التضحية شيء آخر مغاير تماما لامكانية تحقق احلامي . بادىء بدء اكتشفت السلطوية والعسكرية الصهيونية .

على هذه السفينة ــ السجن عرفت واقعا قاسيا كالذي قاسيناه أثناء الحرب . هذه السفينة كانت « قشرة ــ جوز » هيكلا ــ زورقا لا يركب البحر . كان الصهاينة كدّسوا فيه ألوف الاشخاص وكانوا يرحلوننا الى فلسطين كما كان النازيون قد أرسلوا اليهود نحو معسكرات الموت . كنا مساقين نحو انتحار جماعي . وما ان أصبحنا على ظهر السفينة حتى افهمتنا السلطات أنه في هذه المرة لن تسير الامور كالمعتاد وأنه من الواجب ان يضحى بنا .

أدركت عندئذ الطابع اللاانساني للصهيونية : كانت تعتبرنا موضوعات . كان المهم اثارة الرأي العام العالمي ، ولاثارته كان ينبغي خلق شهداء . **كان كل شيء قد حسب لكي تحدث مأساة** تلفت انتباه الرأي العالمي وتكسبه لقضية الدولة اليهودية . هؤلاء الركاب البالغ عددهم ٤٥٠٠ كانوا

مساقين الى الموت ، كانوا سلفا قرابين للمصالح الصهيونية . صدمت في أفكاري اليهودية ذاتها .

اذ رجعنا الى مرفأ بور دو بوك [في فرنسا] ، كان الجميع يتأهبون للنزول في فرنسا . ولكن الشرطة الصهيونية منعتنا من النزول . عملاؤها الذين كانوا بيننا ، في مختلف أقعار السفينة ، أعطوا الامر القطعي بالبقاء . هذا القرار أثارني : الذبائح البشرية لم تنته .

كل الذين أبدوا نية تجاوز المنع كانوا يهدّدون بأن يوضعوا على **قوائم سوداء** . تخطيت هذا الامر لانني كنت قد فهمت انه لكي يكون المرء صهيونيا يجب ان يكون قد تفرّغ من جوهره اليهودي . الصهيونية عبادة دولة توتاليتارية ، انها شكل من الجرمانية ، بل لنقل ذلك من النازية : الترجمة اليهودية للقومية الالمانية .

كانت جريمة من جرائم اللاانسانية أن يعاندوا ويفضلوا النقل ــ النفي déportation الى المانيا على الاستقبال في فرنسا . سفينة « الخروج » كانت تأتي بنا الى المانيا ... من كان يفهم المعنى المرعب الذي لا يطاق لهذا الرمز ؟ رادعي الوحيد كان مغادرة اصدقاء أحبهم كأشقاء وترك كل هؤلاء اليهود المساكين الذين كانوا ضحايا وادوات بين أيدي السياسيين الصهاينة . اذ جمعت طاقاتي الاخيرة ، على متن السفينة ــ السجن ، شرعت أصرخ كالمجنون ، مع صيري مجنونا ، كي أنبه كل الناس انهم يسوقوننا الى جهنم ، انه يجب التمرّد ورفض الخضوع للقادة الصهيونيين الذين يستخدمون الطرق النازية . وخارت قواي ، انهرت ، مع وعيي في المقام الاخير ان كل شيء قد انتهى . بالنسبة لابي كانت النهاية اوشويتز Auschwits ، **بالنسبة لي أوشويتز كانت الاكزودوس** . والجستابو ، ال S. S. ذلك لم يكن الانكليز بل الرؤساء الصهاينة الذين كانوا

يعاملوننا كماشية مصيرها الى المسلخ ، بينما الجنود والبحارة البريطانيون كانوا يتصرفون بأقصى ما يمكن من الانسانية .

الرجاء اليهودي ... لم يكن في يوم من الايام « دولة يهودية » (٢) :

في ذلك الزمن لم تكن اليهودية الفرنسية مقروحة مغنفرة على نحو خاص ، بالصهيونية . كان عدد من اليهود قد ارادوا الذهاب الى فلسطين ، ولكنهم اعتبروا من قبل عائلتهم ومحيطهم نورانيين ـ مصروعين illuminés المنظمات اليهودية الفرنسية لم تكن جميعها ذات روح صهيونية الولاء . حين رجعت من « الخروج » ، ارتدت مدرسة رابينية [حاخامية] . مديرها كان معروفا بكونه مناهضا للصهيونية مرموقا ، صديق الاستاذ ماتينيون .

الحاخام تيتلبوم Teitelbaum يفكر أن تحولا قد حصل بسبب **الافساد** . افساد بروح العصر وبالمال . حاليا ان حاخاما رسميا ينطق في فرنسا أقوالا مناهضة للصهيونية سيرجم معنويا ، سيضطر الى الاستقالة .

الرأي العام اليهودي صار أكثر فأكثر صهيونية مع سير نمو اسرائيل . كل من انتصارات هذه الدولة ولد حماسا . داخل اليهودية الرسمية ، عمليا من المستحيل حاليا وضع دولة اسرائيل ذاته موضع سؤال .

أجل بالطبع تستدعى حجج لاهوتية ، ولكنها تبدو لي زائفة وباطلة . مثلا حين يكتفي المرء بالمعنى الحرفي بامكانه ان يجد في سفر التكوين **وعدا يهب فلسطين لليهود** . سأناقش في مكان لاحق المحاججة التفسيرية ـ التأويلية exégétique

لمثل هذا الموقف . يجب فوراً أن نلاحظ أنه وعد بأرض وليس بدولة . ان وجهة النظر الحاخامية لم تتغير عبر القرون حول هذا الموضوع . اليهود الاتقياء يرجون عودة معتنقي اليهودية الى فلسطين ، ولكن هذه العودة ، « العام القادم في أورشليم » ، يجب ان تتحقق في نهاية الازمنة ، في نهاية الدهور ، ابان مجيء المسيح ، ومطلقا بدون أي تدخل بشري اضطهادي وحربي .

اذا كان المرء لا يؤمن بالمسيح والمعجزات ، فان الحكمة والواقعية تأمران بالتخلي عن فكرة الصهيونية المجنونة : فرض الذات في قلب العالم العربي بقوة المال والسلاح لانشاء دولة يهودية . يجب ان نكرس قوانا ، مالنا ، لمهمات ، لنضالات أجدر وأكرم ، أعقل ، أكثر توافقا مع اتجاه ومعنى التاريخ : بشكل خاص معارضة الامبريالية الاميركية معارضة مطلقة ، الدفاع عن كل المضطهدين وكل المعذبين في الارض ، مما يقتضي قطيعة ونقدا عنيفاً للمجتمع اليهودي المبرجز والمؤمرك .

لكن من المستحيل اللعب على مستويات متعددة مختلفة **والسعي الى تبرير وجود دولة يهودية في فلسطين بتراثنا اليهودي** . فالازمنة المسيحانية سيكون طابعها المميز اختفاء الدول وسيادة الله . الفصل الثاني من اشعيا يتكلم عن نزع عام للسلاح ، والجيش احدى البنى الجوهرية للدولة .

بحكم المنطق الصحيح الصهيونية أدينت منذ مولدها من قبل كبار حكماء اسرائيل (٣) (انظر المؤلفات الحاخامية: « تسيون باميشبات تيباده » ، « ديات هارابانيم » ، الخ . . . وخصوصا أعمال المفكرين الارثوذكس مثل سمسون رافايل هيرش ، ايزاك بروير ، فرانتس روزنتسفايغ ، الخ) .

هذا التعليم التقليدي معروف جيداً ، ولكن الحاخام الذي حاليا لا يلزم الصمت ويطمسه سرعان ما سيضطر الى

ترك وظيفته ، ما لم تكن هناك جماعة او طائفة خاصة . اليهودية الفرنسية تابعة للمجلس الاداري الحاخامي الذي ترأسه وتموّله عائلة روتشيلد وبضع عائلات أخرى من أصحاب البنوك . **بصورة مباشرة او غير مباشرة ، ان أفرادا من عائلة روتشيلد هم الذين يحكمون ، منذ عدة أجيال ، مصائر اليهودية الفرنسية ، هم وبضع عائلات أخرى غنية جدا** . قادة اليهودية الرسمية ينتمون الى الطبقة الرأسمالية والبرجوازية . اذا ما أصدر حاخام أفكارا تذهب ضد مصالح هذه الطبقة ، عندئذ يستبعد .

هذا ما حصل لي شخصيا . كنت أكرّس نفسي للعمل الحاخامي ، ولكن حين لاحظ البعض أنني لا أمشي « دُغري »، تدبروا « قطع الارزاق » عني . وهكذا كنت أستاذ لغة عبرية . سحبوا مني دروسي .

اليهودية فوضوية (٤) :

بيد أن التقليد اليهودي ليس معاديا لدولة اسرائيل وحدها . انه جوهريا فوضوي :

في الصلوات اليومية ، يعلن اليهودي التقي : « ليس لنا ملك آخر سواك ، أيها الازلي » . السيد الوحيد لليهودي هو الله . والحال ، ان دولة اسرائيل ، ككل دولة ، قد أعلنت سيدة . اليهودية ترفض السيادة البشرية وهذا الموقف تسنده بعض المستندات التوراتية لا سيما الفصل الثامن من كتاب صموئيل . اذا كانت اليهودية تاريخيا قد اعتبرت « جسما غريبا » فان ذلك مردّه بشكل جوهري **رفضها أن تكفل بنى دولتية** والضغط ــ الاضطهاد الذي ينجم حتما عن هذه البنى . « اسرائيل » وسط الامم هو **اللا ــ دولة** .

تاريخيا أعطينا مثال أمة معتقة من الدولة والاقليم . لقد بينا انه من الممكن لمجموعة بشرية ، لشعب ، لجماعة ، ان تعيش بدون بنى دولتية وبدون الجهاز القمعي الذي يمكنها من البقاء : اقليم ، جيش ، شرطة ، محاكم .

ان صدمة أعمال الفتك والابادة التي كان شعبنا ضحيتها كان يجدر ان تفتح أعين أجيال التحرير (٥) . النازية ، هذا ما ينتهي اليه الولاء والتفاني للدولة ، هذا ما تقود اليه القومية والوطنية المنسجمتان . مثال هتلر وآيخمان كان يجب ان يوحي للشبيبة اليهودية بالقرف الابدي من الدولة وان يحدّد لها معنى وهدف رسالتها : **لا خلق دولة جديدة ، بل الفعل في سبيل الغاء كل دولة** . وهذه الرسالة تتفق الى اعلى حد مع روح اسرائيل التقليدية التي ، كما كتب تولستوي ، « هي مضادة للوطن الاقليمي المحدود » .

قلت ان الشعب اليهودي جوهريا فوضوي ، وهذا ما لم أؤكده عن الشعب الفرنسي . بالنسبة للفرنسي ، اللارئاسية تظهر خيالا طوباويا (٦) : الشعب الفرنسي هل سبق له ان عاش بلا دولة ؟ هل يمكن التفكير بنهاية الدولة الفرنسية في مستقبل قريب ؟ بالعكس نراها مع ديغول تتعزّز يوما بعد يوم .

ولكن بالنسبة لليهودي ، الدولة هي التي تمثل يوتوبيا . **اذ في تاريخ اسرائيل ما الدولة ؟ لا شيء . في أربعة آلاف سنة من تاريخه ، اسرائيل لم يعش خمسة قرون (بالنسبة لبعض القبائل او الاسباط ثلاثة بالكاد) تحت وصاية دولة سيدة ، وفي كل مرّة تحقق فيها هذا الحلم ، تحوّل الى كابوس ، سعى الانبياء والحاخامات الى وضع حدّ له ، الى انهائه ، بأسرع ما يمكن ، حتى بالجبن والخيانة** . أي شيء ، حتى الاحتلال الاجنبي ، ولكن لا دولة عبرية ، لا يهود يسيطرون على يهود آخرين . النبي ارميا كان يناشد سكان

اورشليم ان يستسلمـــوا للكلدانيين ، والامـــراء والقـــادة العسكريون لاسرائيل كانوا يتهمونه بالخيانـــة والانتقال الى صف العدو" (ارميا ٣٧/٣٨) . ابان حصار اورشليم مـــن قبل الجيش الروماني بقيادة فسبازيان ، أعلى سلطة حاخامية في ذلك الزمن ، رابي يوحانان بن زاكاي ، اختار « الفرار » : جعل نفسه ينقل في تابوت كي يخدع رقابة الزيلوت zélotes « الوطنيين الى النهاية » اليهود ، الذيـــن كانـــوا يحذرون الخروج من المدينة ، واستسلم للجنرال الروماني الذي منحه الاذن بتأسيس مدرسة شهيرة ثمن خضوعه . وبفضل هـــذه المدرسة ، يقول خبراء التاريخ اليهودي ، استطـــاع الشعب اليهودي ان يبقى حتى أيامنا .

من اجل أن يكون للشعب اليهـــودي بوليسه الخاص وكلابه الخاصة وقضاته الخاصون وجلادوه الخاصون تضحي الشبيبة اليهودية اليوم ! مـــن أجل تشكيل قطيع محروس جيدا . تسلم نفسها بلا مقاومة لـ مولوخ Moloch (٧) . لقد فتنت وسحرت . أضاعت عقلهـــا ووجدانهـــا اليهوديين . « اسرائيل فوق الجميع » (٨) .

الحاخامات المناهضون للصهيونيـــة ، مؤلفـــو « سفـــر ذيات هارابانيم » ★ يعتبرون ان مفهوم القومية غريب تمامـــا عن التراث اليهودي . الصهيونية ليست محاولـــة مقاومـــة التمثل بل هي **تمثل جماعي** .

★ مجموعة رسائل وضعها ثقات حاخامية عـــن الصهيونيـــة ، اصدار ابراهام باروك شتاينبرغ ، وارصو ، ١٩٠٢ . نصوص مـــن هـــذا الكتاب نشرت في « Tsedeq » ، صدق [مجلة ليفين ، بالفرنسية ، باريس] ، الاعداد ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ و٨٣ .

الحاخامات الصهاينــة يصودقون (٩) :

في اورشليم و في اجزاء اخرى مــن العالم يوجد عــدد من الحاخامات الارثوذكس الذيــن يعارضون الصهيونية بقوّة عنيفة .

هكذا حاخام ساتمـــار ، يوول تيتلباوم ، « السنــي المتطرّف » وواحد من أعلى السلطات الحاخامية فــي هــذا الزمن . يعيش حاليا في الولايات المتحدة وقد نشر كتابا عــن الصهيونية . الصحافة الفرنسية بما فيها الصحافة اليهودية لم تذكر حتى وجود هذا الكتاب . تيتلباوم يؤكد ان الصهاينة مسؤولون عن كــل مصائب الشعب اليهودي فــي الازمنـــة الحديثة ولا سيما عن الاضطهادات والابادات النازية (هانـــا آرندت Arendt من جهة أخــرى بينت التواطؤ الــذي كان قائما بين بعض الزعماء الصهاينة واشخاص نازيين) ★ .

أحد نصوص التلمود يذكر ان الله طلب من اسرائيل ان لا يثور ضد الامم وأن لا يعود الـــى فلسطين بواسطة العنف (كتاب كيتوبوت) . في مطلع هذا النص نشهــد مناظرة بين حاخامين . الاول يؤكد ان العودة الـــى فلسطين مشروعة ،

★ **هانا آرندت كتبت حول احداث النازية :**

« حيثما كان يوجد يهود كان يوجـــد مسؤولون يهود ، معترف بهـــم بوصفهم كذلك ، وهؤلاء المسؤولون ، فيما عدا بعض الاستثناءات النادرة ، تعاونوا بشكل او آخر ، لسبب او آخر ، مع النازيين . كل الحقيقة ، انــه لو كان الشعب اليهودي حقا محطم النظام وبلا زعمـــاء ، لسادت الفوضى ومعها كثير من البؤس ، ولكن لما كان عدد الضحايا ليصل الى مـــا بين اربعة ملايين ونصف المليون وستة ملايين » . لقد بينت ليس فقط ان آيخمان كان صهيونيا ونشر « الرسالة الصهيونية » في الاوساط النازية ، بل ايضا ان الصهاينة خصوصا وقادتهم هم الذين تعاونوا مـــع النازيين اكثـر التعاون وتفاهموا معهم افضل التفاهم .

الثاني ينفي ذلك . ولكن التعليقات تلاحظ ان العودة فردية . العودة الجماعية محرّمة على أي شكل او طريقة ؛ بالاحرى العودة العنيفة والاحتلال الضاغط الاضطهادي .

في نظر حاخام ساتمار ، وأنا أوافقه تماما على هذه النقطة ، **الصهيونيون كفوا عن كونهم يهودا** . وهم يسمون أنفسهم اسرائيليين israéliens ومن المستحيل ان يكون المرء في آن اسرائيليا ويهوديا . يهوديا بمعنى : يهودي تاريخي ، **يهودي فرّيسي** (١٠) . بالعكس ، الصهيونيون يمكن ان يوصلوا مثلا بالصدّوقيين . في تاريخ اسرائيل ، أنصار الدولة يحملون اسم صدّوقيين . « فرّيسي » يعني لغويا (أصل الكلمة) وتاريخيا : الانفصال عن هؤلاء الناس والثورة ضدهم ، كما ايضا اليوم يفعل حاخامات جتوات اورشليم الابطال (١١) ، ال ناطوراي كارتا Netourai kartat (١١) . ان حاخاما يعترف بدولة اسرائيل ليس حاخاما ، انه كاهن . تاريخيا ، الحاخامات ثاروا ضد الصدّوقيين الذين لم يكونوا يؤمنون بالتقليد الشفوي الجهري وكانوا يكتفون بحرفية النص . اجتماعيا ، من جهة أخرى ، الصدّوقيون مثلوا الطبقة الغنية .

الحاخامات الصهاينة **يصودقون** التعليم الحاخامي . الصهيونية حركة استفزاز ضد الامم . حسب تيتلباوم ، هدف الصهاينة الخفيّ هو اثارة الامم بغية اطلاق قوى الدمار ضد الشعب اليهودي . ولهذا الغرض يدفعون اليهود الى خرق أيمان التلمود (١٢) . هذا بشكل خاص استفزاز لا يوصف ازاء الامم العربية . ولكنه ايضا استفزاز حيال بلدان أخرى اذ ان الاسرائيليين لا يطبقون حتى قرارات هيئة الامم المتحدة (هكذا تقسيم ١٩٤٧ كان ينص على تدويل القدس) . **من حيثيات عديدة** ، اذن ، احتلال فلسطين من قبل الاسرائيليين محظور من قبل التلمود .

أمركة اليهودية بالنابالم :

من المستحيل فهم هذا التصهين للجماهير اليهودية في الشتات اذا لم نحلل القوى التي تقود الحضارة الغربية . أقصد « **نمط الحياة الاميركي** » . الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة تضمّ نصف اليهود الموجودين في العالم (٦ ملايين من أصل ١٢ ، ١٣) . هم هم يملكون المال ، « عصب الحرب » ، ويموّلون الهيئات اليهودية الدولية . بوجه عام ، في بلداننا الغربية ، الحياة تتأمرك ... هذا صحيح ، بالاحرى ، في مستوى الطوائف اليهودية التي لها بعض « السوّية المعاشية » .

في البداية ، الامبريالية الالمانية ساندت الصهيونية ، ثم الامبريالية البريطانية حلت محلها ، و ، عند التحرير ، الاميركان استخدموا الصهاينة لطرد أنكلترة من الشرق الاوسط . في الاوساط اليهودية الصهيونية التي كنت في رفقتها حين كنت أرغب في الذهاب الى فلسطين ، كنا نأكل بالمال الاميركي ، نلبس ثيابا اميركية ، سفينة « الخروج » كانت قد اشترتها الولايات المتحدة وبحارتها وفنيوها كانوا اميركيين .

باختصار ، كل شيء كان اميركيا ، ولكننا في ذلك الحين لم نكن نر في ذلك اي شر . بالعكس كنا فخورين به : الاميركان كانوا محرّرين . لم نكن نفكر بالثورة على هذا التأمرك . فيما بعد فقط فهم بعضنا ان هتلر انما هزم على يد امة فوق ـ نازية ، على يد أمة نازية متقدمة عالية .

اليهودية العالمية والاسرائيلية ، هي اولا الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة ، الامة الاكثر امبريالية وعدوانية ، التي تزاول اعمال قتل جماعي لشعوب فقيرة (الفيتناميين ، الزنوج) . كل يهودي هو يهودي « أميركي » . هذا هو

عارنا : لا نبقى يهودا الا في القدر الذي فيه نحن « اميركان »، معلقون على الثروة والقوة العسكرية الاميركيتين . لولا هذه « الحماية » ، المجتمع اليهودي ودولة اسرائيل لما كانا يقاومان ولاختفيا ، لما كان عندهما وسائل العيش . اذا كنـا نريد ان توجد اسرائيل ، من الواجب حتما التشارك في القضية مع الامبرياليين والامتناع عن مهاجمتهم . الولايات المتحدة ، قتلة الفيتناميين والزنوج ، هم ضامنو حياة اسرائيل . حامينا غانغستر ، لصوص ، مجرمو حرب : نحن أمة عاهرة . هذا ما نحن عليه الآن . ومن منا يعي ذلك حقـا ؟ نحن براجزة ، أناس مثقفون ، متمدّنون ، مع ذلك لا نساوي اكثر من قحاب . بينما في التاريخ ، حياتنا كانت تابعة فقط لتعلقنا بالتورا [التوراة ، = الشريعة الآتية من السماء] ، لايماننا ، كنا الشعب الاكثر نظافة ، لا دم ملطخ على أيدينا . وكمفارقة نحن اليوم لا نستطيع الرجاء في لقاء كينونتنا اليهودية الحقة من جديد ، في لقاء طهرنـا ، الا بالقطيعة الحادّة العنيفة وغير الملتبسة مع الوسط اليهودي الراهن ، خصوصا مع دولة اسرائيل والصهيونية . **اليوم ، التورا لم تعد تحوي سوى وصية واحدة : أن لا تكون صهيونيا** ★ .

عالم الصهيونية الذهني :

سيرورة التصهين بلغت تمامها مع حرب الستة أيام .

★ اليهودي الذي يعتنق المسيحية او الذي ينضم الى حزب شيوعي ، ولكن يعارض الصهيونية ، يبقى يهوديا جوهريا . بالعكس ، ان صهيونيا ينفذ بدقة كل الشرائع والطقوس الموسوية والحاخامية انما ينفي جوهر التورا ــ الشريعة ، التي هي سيادة الازلي ، السيادة التي تعارضها وتحل محلها سيادة دولة اسرائيل .

مع أن هذه الحرب فتحت أعين عدد من الفرنسيين . ولكن العكس تماما هو الذي حصل في مستوى الطائفة اليهودية .

نشهد في هذه الطوائف ظاهرة مشابهة للظاهرة التي ولدتها النازية . يوجد نمو ـ انبساط للصهيونية كما وجد صعود للنازية . في البداية، النازيون لم يكونوا سوى حفنة. شيئا فشيئا استولت حركتهم على الجماهير الالمانية وعلى المثقفين الذين وضعوا تفكيرهم ، ذهنهم ، في خدمة الايديولوجيا النازية ، فاقدين كل حس نقدي .

في « صباح السحرة » ، بوولس Pauwels يشرح ان الالمان كانوا يعيشون في عالم ذهني مختلف تماما عن عالم أعدائهم . محكاتهم كانت مغايرة تماما لمحكات حلفائهم .

كذلك الاسرائيليون وشركاؤهم يعيشون في كون مغلق ، يستندون الى قيم غريبة عن قيمنا وتسمح لهم بأن لا يعوا أنهم يحققون شيئا ما سيئا . فهم مقتنعون بأن الفلسطينيين انما يكسبون وحسب ويكسبون كل شيء بخضوعهم لهم . فهم هنا ليجلبوا اليهم السعادة ، وهم لا يفهمون اطلاقا عداءهم .

اذن العرب مخطئون بعدم اعترافهم بأن نزع ملكيتهم أمر مشروع ! الاسرائيليون مكلفون من قبل العناية الالهية بأن يكونوا معلمين للشعوب العربية ، ولا سيما بأن يعلموهم زراعة ارضهم ! على اي طريقة ؟ على الطريقة الاميركية . . . أخيرا ، دعوا البشر يعيشون كما يريدون ، ولا يفرضن عليهم الاوروبيون ، في كل مكان ، أساطيرهم « التقدمية » .

ان دعوة الانسان ، ان نداءه ، ليس الشغل بل الفن . الحضارة الانسانية ، المدنية الانسانية ، هي تلك التي تجعل البشر فنانين وشعراء وليس عمالا مختصين وتقنيين . والفن فاعلية خالقة . والحال ، الخلق يجهل المعايير ، لا يمكن اذن

ان يخضع لها . الفنان يسرّ في الفوضى وعدم التبصر وعدم الاستقرار . يحبّ حياة التشرّد ، حياة الفجر والبدو . أليست هذه ملامح طبيعية عند العربي والشرقي ★ .

الوجدان الطيب الاسرائيلي يذكر من جهة أخرى بضرب من السذاجة « المصنوعة في الولايات المتحدة » . الاميركان لا يفهمون أن حضورهم في فيتنام أمر لا يطاق ، ان الكوبيين يمكن ان يريدوا العيش بطريقة أخرى غير طريقة الاميركان ، انه بسبب استغلالهم اميركا اللاتينية لا تتطور ، الخ . الصهيونيون لا يفكرون كيهود ، يرتكسون مثل اميركان . والاميركيون يحسون بشكل خاص ما هو مجد ، مربح ، ما ينجح . اليهود صهيونيون اكثر فاكثر لان الصهيونية تنجح ★★ ...

ارتداء نجمة الفلسطينيين الصفراء (١٣) :

في ١٩٤٧ ، كنت لا أزال شابا صغيرا ولم أكن أعرف معارضة الحاخامات التقليدية للقومية اليهودية . اكتشفت وجوديا الاضطهاد الصهيوني . ثم وقفت ضد دولة اسرائيل،

★ يجب ان لا يرغب احد في ان يتمدن عرب فلسطين بسرعة . بالعكس يجب ان نتمنى أن يلاقي اليهود ، بتماسهم مع العرب ، ان يلاقوا من جديد طبيعتهم السامية وان يشفوا من الامراض النرعية الخاصة بالحضارة الغربية .

★★ ان يهود الشتات يمثلون الاسرائيليين ، يسقطون عليهم رغبة طفولية في السيطرة ، في العدوان ، في السلطة المادية الفيزيائية ... بهذه الطريقة يخترعون بلدا مثاليا قليل الصلة بالحقيقي . ليس من شك في ان الصهيونية عصاب .

لان الصهيونية ايديولوجيا باطلة من وجهة نظر التراث اليهودي الداخلية . على الفور كانت القطيعة مع المؤسسات اليهودية ، العائلة ، الاصدقاء ، الزملاء ، التلاميذ . داخل الشعب اليهودي أصبح وضعي هو وضع الشعب اليهودي بالنسبة الى الامم الاخرى عبر التاريخ . **في قلب ما أحياه ولد تضامن مع كل المستغلين ، كل المضطهدين ، كل البائسين ، كل معذبي الارض** . ألاحظ أنني أسقط ـ أقع بين خصوم المجتمع الغربي الذي اليهودية الرسمية جزء منه : كل الشعوب الملونة ، البشرية البائسة ، العالم الثالث .

في ١٩٥٠ ، صادفت يهوديا فلسطينيا سيمون وولف ، يهودي روسي الاصل ، ذهب الى فلسطين حوالي سنة ١٩٢٠ ، عن مثالية (كان من أتباع تولستوي) . هناك ، كان شاهدا على المظالم والاضطهادات النازلة بالعرب ، انحاز لهم . بفضله ، أخذت حقا وعي دراما العرب الفلسطينيين . مثلا لم أكن قط قد سمعت من قبل حديثا عن دير ياسين . فهمت عندئذ ان الصهاينة يتصرّفون كنازيين ايضا حيال الفلسطينيين ★ .

★ سيصرخون أيضا : « يا للفضيحة ! لا مجال لاية مقارنة بين النازية والصهيونية . فدولة اسرائيل لا تريد سوى السلام ، العرب هم الذين لا يفكرون الا بمحاربتها وابادة سكانها ! » . يجب اخيرا ان تنفجر الحقيقة. والا لما كان في يوم من الايام سلام في الارض المقدسة . الكذب يغدو امرا لا يطاق في هذه القضية . حجج افعالهم التي يعطيها الاسرائيليون لا تختلف عن الحجج التي كان يقدمها النازيون . هؤلاء ايضا كانوا فقط يدافعون عن انفسهم ولذا كانوا يهاجمون ، يحتلون ، يضمون اقاليم اجنبية . يهود فلسطينيون رووا لنا الاعمال الفظيعة التي اقترفها الصهاينة ضد المدنيين العرب كي يرغموهم على الهرب . مثلا كانوا يكلفون اطفالا عربا بحمل طرود مفخوخة ملغومة ، كانوا يرمون قنابل في الاسواق .

القواد الصهاينة الذين ، هم ، لم يقاسوا شخصيا من الحرب ــ فلسطين لم تحتل ولم تقصف من قبل الالمان ــ قد استغلوا عذابي كي يخلقوا لانفسهم دولة ومواقع ذات امتياز، كي يرتقوا الى مناصب وزراء ، سفراء ، جنرالات ، الخ . . . وباسمي أنزلوا بالعرب معاملة حفظها الالمان لي . وبالضبط بفضل الاموال الطائلة التي يغدقها الالمان عليهم . مقابل ذلك، يزوّدون الالمان برشاشات كي ، على الارجح ، يصفوني بواسطتها غدا ــ كما أبي في الامس ــ في حال رفضت الذهاب طوعا الى معسكر التحشد الذي هو دولتهم الكنعانية .

ولكن كلما ازداد الاسرائيليون قتلا واضطهادا ، نسفا للمنازل وتهجيرا للسكان ، بعدت أرض فلسطين عن ان تكون أرضهم . في يوم او آخر ، سيجبرون على مغادرتها ، هذا اكيد . فلسطين ستحرّر يوما ، هي موضوعيا عربية ، والتعايش بين الاسرائيليين والعرب لم يعد ممكنا .

بالعكس ، في نضالي المناهض للصهيونية ، أنا مساق الى التعاطف ، الترابط مع فلسطينيين ، وبذلك عينه الى اقامة تماس متين جدا ودائم مع هذه الارض ، بما أنني أتخلى عن امتلاكها . ان اليهود الاوروبيين ، المجرمنين ، الاغنياء ،

= مئات الالوف من اللاجئين الفلسطينيين المطرودين من بيوتهم واراضيهم كما اليهود من المانيا ، عشرات الالوف من العرب المسحوقين تحت القنابل ، المحروقين بالنابالم في بضعة أيام ، بضع ساعات ، هذا لا يكفيكم ؟ هتلر والنازيون ، قبل ١٩٣٩ ، لم يكونوا فعلوا مثل ذلك مع اليهود .

في ١٩٦٧ ، حرر كتاب مؤلم ليهودي شاب من باكستان ، ميكايل سلزر، عنوانه « ارينة الدولة اليهودية » [باللغة الانكليزية] يبين العنصرية الفظيعة السارية في اسرائيل ليس فقط ضد العرب بل ايضا حيال اليهود الشرقيين الذين ينعتون هم ايضا بكلمة bicots [كالجزائريين في فرنسا] .

هم الذين خلقوا الصهيونية . لا اليهود الفلسطينيون الذين لم يكونوا يعيشون الا من أجل دراسة التوراة ولـم يكـن عندهم بتاتا نية خلق دولة يهودية .

وهي ذي مفارقة موقفي المناهض للصهيونية ، أشعـر نفسي يهوديا فلسطينيا . يهوديا يفهم العرب وكل أمم العالم الثالث بسبب وضعه الاجتماعي والديني . يجب ان نحقق اليوم تحوّلا في أفكارنا ، انقلابـا سياسيـا وثوريا : مـن صهيونيين واسرائيليين مـع الامبرياليين الاميركان يجب ان نتحوّل الى فلسطينيين مـع مناهضي الامبريالية في العالم كافة ، مع العرب بشكل خاص ، العرب الذين يعانون أقـوى ضغط من قوى الاضطهاد والاستغلال ، الذين هـم طليعـة القتال من أجل الحرية والكرامة الانسانية .

لنصرخ في الشوارع ، فـي الكنائس [اليهودية] وفـي الاجتماعات الصهيونية :

نحن جميعا عرب فلسطينيون ...

ولنعد الى صدورنا النجمـة الصفراء لزمـن الاحتلال واضعين عليها تحت كلمة

يهودي
= فلسطينيون .

للفلسطينيين ، وعـد الكتاب المقدّس :

ولكن يجب عليّ ايضا ان أوضح المعطيـات التوراتيـة للمسألة : كثيرا ما يبقى مناهضو الصهيونيـة ، اذ يجهلـون هذا الوجه للمسألة ، بلا نطـق أمـام تخرّصات وصراخـات خصومهم .

بكيفية عامة ، ان لغـــة الكتـــاب المقدس **لغــة جدلية** [**ديالكتية**] . حيث الترجمة « أسود » ، العبريـــة تقـــول بالحقيقة « أسود وأبيض » . كذلك حيث نقرأ « اسماعيل » Ismaël ، بالعبرية باطنيـــا نستطيع أن نقـــرأ أيضا « اسرائيل » Israël والعكس بالعكس ★ .

في مطلع الفصل ٢١ من سفر التكوين ، اللـــه بواسطة ساره يامر ابراهيم بطرد هاجر وابنها اي باستبعاد اسماعيل . ولكن ، بعد عدة آيات ، نقرأ ان اللـــه يسمع صوت اسماعيل (هذا هو ، من جهة أخرى ، أصل ومعنى هذا الاسم ــ العلم) وانه سيصير أمة كبيرة . فـــي المدارس اليهوديـــة ، يلـــح الحاخامات على اصطفاء اسرائيل ونبذ اسماعيل ، ولذا يمكن ان نتكلم عـــن **« تعاليم الازدراء اليهودي »** (١٤) . شخصيا ، حين أقرأ هـــذا النص ، أكتشف ان اسماعيل هـــو ايضا يصطفى . واخيرا اذ أتابع دراستي وأفحص النص عـــن كثب ألاحظ ان اسماعيل يمكن ان يرى على انه هـــو « اسرائيل » اكثر بكثير من ان يكونه اسحق . فاسماعيل ضحية ظلـــم ، يجد نفسه مطرودا ومتروكا . هذا ينطبق تماما عـــلى مصير الشعب اليهودي عبر التاريـــخ . بين الامم ، اسرائيـــل كان تائها ، شاردا ، منفيا ، مبادا . انـــه مثـــل اسماعيل . واذ نفحص الحوادث الراهنة في ضوء هذه القصة التوراتية ندرك انه ثمة انقلاب جدلـــي يحصل بين اليهـــود والعـــرب . الفلسطينيون ، اليوم ، لهم مصير اليهود فـــي التاريخ : حتى ان صحيفة يهودية كتبت تقـــول ان الفلسطينيين هم « يهـــود الشرق الاوسط » . وبدورهم ، الفلسطينيون يعبرون عـــن آمالهم بهذه الجملة « العام القادم في اورشليم » . بما أنهـــم

★ في كتابات الكتاب المقدس ، اسماعيل معتبر جد الشعوب العربية . كذلك يعقوب ــ اسرائيل ، ابن اسحق ، معتبر جد الشعب اليهودي .

يحملون مصير اليهود أفلا يكون الوعد لهم ؟

وعد ارض فلسطين جرى لاسرائيل . ولكـــن مـــن هو اسرائيل ؟ ربما الشعب الفلسطيني . بـــل يقينـــا الشعب الفلسطيني اذ ان فكرة جوهرية فـــي الوحـــي التوراتي هـــي فكرة الـ ميشبات michpat ، **العدالـــة** . والفقــراء ، المستغلون ، المضطهدون ، هـــم العادلـــون [الصالحون] ، بالمعنى العبري او في اللغـــة العبرية . **في الكتاب المقدّس ، حجة الفقير هي دائما الافضل** . تغلب حجة الاقوياء ★ .

في هذه القصة ، الظلم المرتكب حيـــال اسماعيل ضرب من **استفزاز من الله** . الله يظلم كـــي يثير العدل البشري . كذلك بالنسبة لامر التضحية باسحق . وابراهيم مـــن جهته كان قد غضب ولم يكن يريـــد ان يطـــرد هاجر وابنها . بعـــد فصلين ، يعلن عن موت ساره التي كانت قد تسببت في هذا الظلم . اذا أردنا التحدّث عاميا « هذا لم يجلب لهـــا حظـــا وسعادة » :

نستطيع ان نربط هذه الاعتبارات بالمسألة الفلسطينية . حتى اذا قرأنا هذا النص على أنه يهب فلسطين لليهود ، فمن الجليّ ان هذا العهد لا يمكن ان يتحقق الا من خلال اجحاف ظالم . تعليم القبالة kabbale (١٥) يذكر امثلـــة عـــن عادلين كان اهم قدرة **الغاء قرارات رسمها الله** ، أحيانا كان عليهم ان يعارضوه ★★ .

★ « **باللاويين الفقراء ، المقترنين بالله ، الله مقترن بأدنى الطبقات ، بالغرباء الاجانب ، بالارامل واليتامى ، بالفقراء والصعاليك . هكذا فـــان مجتمع العهد [الحلف بين الله وشعبه] لا يمكن ان يختنق امام الله المعضلات التي يضعها الوجود المتألم . الجراح الاجتماعية تهم الله » . حسب كتاب André Neher : « جوهر النبوية » [بالفرنسية] ، ص ١٧٢ .**

★★ **سفر زوهـــار Zohar ، ٣ ، ١٥ ، آ : « سعيـــد أنت**

رفض هبـة الله :

اذا برهن لي أن حيـازة أرض فلسطين مبـر ّرة حسب معنى الكتاب ، او حتى أن رجالا ملهمين نالـوا بالوحـي الامر بالاستيلاء على فلسطين بقوة السلاح ، فان موقفي لن يتغير. من اللحظة التي فيها فلسطيني واحد يضطهد او ينقل ، فان واجبي هو مخالفة هذا الامر الالهي ومعارضة تأويل للكتـاب كهذا ، حتى لو كان التأويل الصحيح . أجيب الله : « لا أريد وعدك ، أرفض عطاءك . لا استطيـع الا ّ ان أرد ّ عرض أرض تؤخذ على دم الفلسطينيين » .

ان روح اليهودية يعلـم تخليا خالقـا (انظـر « بنـاة الزمان ») يرتبط بفكرة العدل والرحمة . القبالة تقول انـه في الاصل لم يكن يوجد سوى الله ، الله هـو اللامتناهي او اللامحدود ، اذن لم يكن ثمة مكان لوجود العالم . فـي لحظة الخلق ، الله انسحب داخل نفسه . حد ّ نفسه . لنتخيل ان الاسرائيليين ، فجأة ، تخلوا ، رمـوا أسلحتهم في البحر ، وقالوا للفلسطينيين : « نحن نعترف بأننـا ارتكبنا اجحافا بحقكم . اذن ، نعيـد لكم الاراضي والبيـوت ، ومجمـوع الارض ، بالطبع ، التي اغتصبناها منكم ، التي نحتلها ، والآن

يا حاخام سمعون ، لان سيدك يكرمك اكثر مـن سائر البشر . فعن موسى ورد في الكتاب : « وموسى يرتجف » ، والحال انت تلغي ما أمر به القدس، تبارك ، وهو يحقق ما تقرر » .

زوهار ، ٢ ، ١٤ الى ١٥ آ : « ... هو ذا رجل لم يصم ابدا للحصول على ما يطلب . انه يأمر والقدس ، تبارك ، يطيعه . القدس ، تبارك ، يأمر، وهو يلغي الامر الالهي (...) . ماذا في الكتاب : القدس ، تبارك ، يهيمن على الانسان ، ومن يهيمن على القدس ، تبارك ؟ ـ الصالح ، انـه يلغـي ما الله يرسم » .

سنعود كلاً منا الى بلده » . لنتصور مـاذا سيحصل عندئذ في العالم ، ذلك سيكون حدثا مسيحانيا وخالقـا . علاقات اجتماعية وبشرية جديدة تماما يمكن أن تولد . وفلسطينيون ربما سيقولون عندئذ ليهود : « ابقـوا وضعوا أنفسكم فـي خدمة فلسطين » ... لنتصوّر ★ .

حين أحاول تفسير هذه الآيات فاني أرى خلال سماكة النص انه حين المكتوب هو « أعطيكم » فهـذا معناه « أعطيكم لكي تتخلوا عنه » .

تاريخيا ، لئن كان اليهـود أضاعـوا دولتهم اثر نكبـة سياسية وعسكرية ففي يهودية المنفى أبدعت أعمال روحية . **الشتات عظمة اليهودية . فيـه عاش اليهـود « انجيليا »** ، بمفارقة ، كما كان على المسيحيين ان يعيشوا .

وعد الارض امتحان ، تماما مثـل التضحية باسحق . هل ما زال ممكنا ان لا تسقط اليهودية في « التجربة » ؟

رؤساء اليهودية الرسمية ، كما قلت سابقا ، مباعـون للرأسمالية ، للبرجوازوية bourgeoisisme اللتين تمثلان العجل الذهبي الحديث .

★ مثل ارميا (الفصل ٢١) نقول للاسرائيليين انـه يجب عليهم ان لا يتخيلوا ان التفوق العسكري سيكون لهم الى مـا لا نهاية وان الجيوش العربية لن تدخل أبدا اقليمهم ، وان المخرج الوحيـد بالنسبة لهم هـو التسليم بشروط العرب التي هي بعيدة عن أن تكون مرعبة : فليتخلوا عـن الدولة العرقية ، عن « الدولـة اليهوديـة » ، وان يصيروا فلسطينيين مشاركين بالتمام ، بدون امتيازات . ان شروط العرب هذه هي في آن معـا متفقة مع الاشتراطات التوراتية التي تنبذ السيادة البشرية في اسرائيل ومع الاشتراطات التقدمية التي تنبذ العنصرية والاستعمار ، اي مـا كـل دولـة يهودية هي بالجوهر .

لذا فاننا حين نعلن ان الله ، العدالة ، مع العرب ، الذين سيدمرون الدولة الصهيونية ، فنحن لسنا اكثر خيانـة للشعب اليهودي ممـا كان ارميا . على كل حال لسنا خائنين للازلي .

ولكن الشعب اليهودي تاريخيا عرف العديد من حقب التجديد . اليهودية التي عاشت واستمرت في المنفى هي اليهودية الفرّيسية . والحال ، كان الفريسيون قد تكوّنوا في ثورة ضد السلطات الكهنوتية . الحاخامون الاوائل كانوا رجالا من الشعب . كذلك في عصور أخرى ، حين كانت توجد أخطار اكليريكية ومؤسساتية ، ظهرت حركات تجديد وأخذت تطعن في اليهودية المقامة . **الحاسيدية** Hassidisme (١٦) احدى اكثر هذه الحركات حيوية واكثرها شهرة اليوم ايضا . مؤسس الحاسيدية بن اليعازر كان شافيا . الحركة ولدت في بولونيا في القرن الثامن عشر وتميزت بتعميم القبالة على الشعب . كانت تمثل من جهة أخرى تراث الفقراء . الى حد ما يمكن تشبيه هذه الحركة ببعض « اليقظات » البروتستانتية ، الثورات ضد ثقل المؤسسة وتسوياتها وتكيفها مع « المجتمع الراقي » .

معارضة داخلية للصهيوني ؟

اني لا ألمح عند الراشدين امكانات انقلاب للحالة الذهنية الراهنة . اذا كان لمعارضة داخلية ضد الصهيونية ان تولد فانها ستأتي من هذه الظاهرة العالمية التي هي حركة الطعن (١٧) ، **ثورة الشباب** . في كل مكان ثمة شبان يثورون ما عدا بالضبط في دولة اسرائيل حيث الـ « صبرا » وطنيون جدا . يهود افريقيا الشمالية ، بروليتاريين اسرائيليين ، هم تحت التبعية الايديولوجية لمستغليهم . ولكن بالنسبة لطالب شاب يهودي الخيار هو التالي : اما ان « يمشي » مع مجموع حركة الرفض وفي هذه الحال يجد نفسه مضطرا لمناهضة

الصهيونية ، او اذا ظل صهيونيا فهو ينقطع عن هذه الحركة العالمية .

ولكن هذا الاخذ للوعي معاق بالتكييف الكثيف المركز الذي يخضع له الاطفال والفتيان في المنظمات اليهودية . الفكرة ـ القوة التي يلقنون هي هوية الهوية اليهودية والهوية الصهيونية ... بالتالي ان الاهالي الفلسطينيين الذين في نابلس او في غزة يتظاهرون ضد المحتلين الاسرائيليين ويجابهون بيد عارية بوليس هذه الدولة ، انما يتعاطون اللاسامية ! او سيقال لكم انهم مقادون من الخارج ، من الغريب او الاجنبي ، بنفس الكيفية التي بها جرى تأكيد ذلك حول الجزائر ★ .

كما توجد برجوازيات مختلفة توجد صهيونيات مختلفة . هناك صهيونيون يمينيون ، معجبون بدايان وفاشستيو الاتجاه . ولكن صهيونيين آخرين يزعمون انهم اشتراكيون ويحاولون توفيق الصهيونية والماركسية . يقرّون بوجود الشعب الفلسطيني ولكنهم لا يستطيعون الوصول الى فهم ان دولة اسرائيل يجب ان تزول . في هذه الحال دولتهم الفلسطينية المقبلة ستكون تقريبا في نفس وضعية باسوتولاند ازاء دولة جنوبي افريقيا . هذا يقود الى ضلالات وزيغان .

مثلا جريدة « كاديماه » ، الناطقة بلسان الطلاب اليهود، تكتب ان الاسرائيليين يحتلون الضفة الغربية وسيناء لكي يوصلوا مطالبهم الى نتيجة بنفس الطريقة التي بها كان العمال في أيار ١٩٦٨ يحتلون المصانع ! بتعبير آخر الفلاح

★ أنا على وفاق كامل مع جان بوبيرو حين يبين بشجاعة ، أنه في كل مرة يكون فيها يهودي في وضعية مضطهد باسم يهوديته ـ الزائفة يكون من حق المضطهد ان يقول اقوالا تسمى « لاسامية » .

الفلسطيني الذي أخـذت أرضه ونسف بيتـه هـو مثـل الراسمالي الكبير ... لكن ، ويجب ان نفحص لمـاذا ، لكـن محاججة بهذه الدرجة من الخطل والتمويه تعبـر الدرابزون لدى عدد لا بأس به من البشر ، حتى مثلا في الثانويات حيث تصيب مناضلين في الـ C. A. L. (١٨) .

ثمة لجان عمل ، تضمّ أعضاء يهودا ، تقوم بحملة اعلام مناهضة للصهيونية في الكليات والاحياء . في بلـدة ايسي ــ له ــ مولينو [قرب باريس] أقيمت لوحات اعلاميـة فـي السوق ، وغالبية السكان بعيدا عن ان تظهر عـداء استقبلت هذه المبادرة بشكل ايجابي . ان هذا الاسلوب فـي التدخل يمكن ان يكون مفيدا ولكنه ينكشف صعب الممارسة وفـي أحيان كثيرة غير كاف . المسألة تشمل مستويات عدّة ، انها معقدة وتضع في الموضوع كل منظرمة قيمنا .

الشعب الفلسطيني ذو طابـع كريستي [مسيحي] :

شخصيا ، أنا مقتنع بأن النضال الافعل والاجدى ضد دولة اسرائيل والصهيونية هو **النضال الايديولوجي** . يجب ان نبين ان هذه الدولة قد خلقت لتأمين الدفاع عن الحضارة الغربية التـي انتهت الـى آوشفيتز والـى هيـروشيما . فلسطين هم الاسم الثالث الذي يجب ان يضاف الى الاسمين السابقين . فلسطين تواصل اوشويتس وهيروشيما . هـي آخر جريمة جماعية للغرب المسيحي . **غرف الغاز ، القنبلـة الذرية ، اليهودية بالنابالم ، ثلاثـة انجازات فظيعـة لنفس الحضارة التقنية المتقننة** . دولة اسرائيل دولة تقنيين . كمـا كتبنا ، هي أعظم نجاح للسياسة والتقنية الغربيتين .

دولة اسرائيل ، هي المدنيـة الغربية والتقنية فاتحـة

الشرق . الشعوب الفقيرة باشرت **حرب القارات الثلاث** ضد الامم الغنية ، ضد العمالقة الصناعيين ، لكي تبقى وتفلت من الابادة ، لكي لا تسحق تحت جزماتهم وآلاتهم مثل حشرات. انها تفهم وستفهم بوضوح متزايد دور الدولة الصهيونية الرئيسي في الدفاع عن الحضارة التقنوية . لذا فان تدميرها سيكون ضربة مميتة بالنسبة لها . على كل ثوري ان يرى جيدا ان دمار الدولة الصهيونية هو أقصر طريق للثورة العالمية . الدولة الصهيونية **هي القلعة الرأسمالية والامبريالية ذات القدرة الاكبر على المقاومة** ، اذ انها تتصرّف بسلاح سيكولوجي ، اكثر فاعلية من كل القنابل الذرية في العالم : تهمة اللاسامية التي تطلقها ضد كل الذين يهاجمونها . الامبريالية اليهودية اكثر صلابة وجشعا بكثير من الامبريالية الاميركية ، لذا فالثانية تساند الاولى التي تخدمها **كغطاء معنوي** . ولذا **فان كل ثوري تعوزه شجاعة ان يكون مناهضا للصهيونية ، يخشى ان يعتبر مناهضا لليهود ، انما يخدم لعبة الامبريالية ويجعلها غير قابلة لان تدمر . لن تدمر** الامبريالية بدون تدمير الدولة الصهيونية . تأمين حق وجود دولة اسرائيل ، هو تأمين حق البقاء للرأسمالية ، للامبريالية، للاستعمار ، للتقنية ، للماكينة الغربية التي تسحق ، تحذف البشرية .

اسرائيل الجديد ، اسرائيل المسيحاني ، هو كل الشعوب الفقيرة الداخلة في حرب القارات الثلاث ، وفي المقام الاول ، الشعب الفلسطيني ، لان تدمير الدولة الصهيونية اكثر استحالة من تدمير الولايات المتحدة ، لذا يجب على جميع ثوريي العالم ان يمنحوه مساعدتهم بالاولوية وبدون تحفظ . ان مصير العالم ـ انتصار او هزيمة الامبريالي ، العبودية الكلية الكونية ، او تحرّر البشرية المسيحاني ـ يلعب في الشرق الاوسط . الشعب الفلسطيني

ذو طابع خريستي [مسيحي] ، انه يتعذب من اجل خطايا العالم . الله يتجسد فيه . الله معه . سينتصر على الصهيونية وعلى الامبريالية ـ لانه الاضعف والافقر ـ بمساعدة كل ثوريي العالم . **وقوفا ايها المعذّبون في الارض . الى الامام نحو صهيون من أجل اقامة ملكوت العدالة على الأرض . الاله الذي حرّر العبيد يناديكم . يدعوكم الى دينونة العالم الرأسمالي .**

١٩٦٩/٣/١٢

شروح وملاحظات :

١ ـ الباخرة اكزودوس (اي « الخروج » ، سفر الخروج ، السفر الثاني من الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى ، خروج اليهود من مصر)، سنة ١٩٤٧ ، عملية سيكولوجية ضخمة احكمتها الصهيونية واستغلتها على نطاق واسع في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية ومأساة اليهود وسبقت تقسيم فلسطين وقيام دولة اسرائيل وتوسعها .

الكاتب الفرنسي جاك ميري Jacques Méry الصهيوني خلدها تحت عنوان : « دعوا شعبي يمر » . وقدم لهذا الكتاب ألبير كامو Camus الذي صار بعد قليل أحد اصنمة تجارة الادب والترجمة والشباب في مشرقنا العربي . مقدمته منشورة ايضا في مجموعته ٢ Actuelles، دار غاليمار، ١٩٥٣ .

٢ ـ بالالمانية Judens Toat وهو عنوان كتاب هرزل . الدولة اليهودية ، دولة اليهود . لا فرق بين الكلمتين عندي وكما يبدو في نص ليفين . ولكن يبدو ان ثمة فرقا ، حسب بعض الصهيونيين الديمقراطيين العلمانيين والمستنيرين وربما القادرين على تربيع الدائرة : دولة اليهود دولة يهودية ، دولة دستورها شريعة الله حتى اذا كان نصف المواطنين غير مؤمنين ...

٣ ـ كلمة « اسرائيل » ، في نص ليفين ، تـــرد بمعنيين طبيعيين : ١) اسرائيل بالمعنى الديني ـ التوراتي الخ ، وهـــي عربيا مذكر (عـلى غرار اسماعيل) . ٢) اسرائيل ـ الدولة الصهيونية وهـي مؤنث . (والصفـة « اسرائيلي » ـ او النسبة ـ لا تأخذ معناها الا في السياق . هـذا بديهي ومفهوم ، لا مجال للالتباس على القارىء العربـــي ، وليفين أحكم اللغـة قابض في اطار مسائليته على مبدأ العلاقة الجدلي الهيغلي) .

موقفه : اسرائيل ضد اسرائيل ، الديـــن اليهودي ضد الصهيونية ، اليهودية ضد اليهودية القائمة ، بل (كما سنرى في نهاية مقاله) صهيـــون ضد الصهيونية . صهيون بالمعنى الدينـــي ، اليهـودي ـ المسيحـي ـ المسيحاني ـ النبوي . الكلمة « صهيـــون » واردة في المسيحيـــة ، فـي « ديانات الخلاص والحرية » عنـد الشعوب التـي غزتها وقهرتها الامبريالية الغربية (هذه الديانات هي ايديولوجيا الشعوب المغزوة ـ مـن الصين : حركة تاي ـ بنغ ، الى قبائل الهنـود الحمـر مرورا بافريقيـا ـ ، ايديولوجياها في طور أول : مسيحيـــة مسيحانيـــة نبوية ضد المسيحيـة المؤسساتية لعالم الامبريالية الكذاب ، وكأن أصحاب الرد يصرخون : أيهـا الكذابون اللصوص نحن المسيحيون) ، في حركـــة توماس منتسر (حــرب الفلاحين الالمان ، ق ١٦) ، وبعض الحركات السابقة التـي لبست « لباس الدين » (انجلز) ـ اللباس الذي لا يستخف به انجلز ولا ماركس، بالعكس.

الدعوة « الصهيونية » بهذا المعنى غير المألوف (بالاحرى لدينا) ـ اذن كلمات « اسرائيل » ، « صهيون » ، الخ ـ جزء مـن ايديولوجيا الخلاصية ـ النبوية ـ دينونة الظالمين . وبالطبع الصهيونية لعبت أيضا عـلى هـذا النفس في وسط اليهود ، (كان في جملتها الايديولوجية ★) ، وربما فـي بعض الحركات الدينية الافريقية ، وربما في الاديان التوحيدية ، وفي بعض المذاهب .

من جهة اخرى ، آن الاوان لليسار العالمي الرافض الماركسوي أن ينتهي من تركيبة العلموية + المسيحانية وان ينتقل الى الماركسية .

★ الايديولوجيا الصهيونية = اوروبية متقدمة حديثـة (قوموية + استعمار استيطاني . امبريالية وتحالف معها ، تقنوية ، تقدم ، رأسماليـة و « اشتراكية » الخ) + مسيحانية (عدوانية استعمارية عرقية) .

٤ ـ فوضوية anarchiste ، حرفيا لا رئاسية ، ال anarchisme هو موقف اللارئاسة واللادولة واللاسلطة وتسلط ، والمذهب الفوضوي يدعو نفسه أيضا مذهب الحرية .

على ما يبدو (انظر كتاب دانييل غيرين عن الفوضوية ، وهو كتاب ثمين لمفكر ماركسي تروتسكي لامع) ، الفوضويون يرفضون تسمية مذهبهم فوضى désordre ، (يعتبرون نفسهم النظام الحـــق ويعتبرون خصمهم ـ الدولة ، الطبقات الخ ـ هو الفوضى) . ليفين ليس منهم ، ليس مـــن مذهب الفوضوية السياسي . وسنرى انه في مكان تال لا يخشى ان يستعمل (ايجابيا !) كلمة désordre اي فوضى عكس النظام ordre . مرة أخرى : السياق . وهذا موقف ليفين .

٥ ـ التحرير liberation ، تحرير فرنسا واوروبا (١٩٤٥) . عدد ضحايا النازية الفاشستية وحربها : ١٨ مليونا مـــن السوفييت ، ٦ ملايين من البولونيين ، ٢ مليون من اليوغوسلاف ، ٥ ملايين مـــن الالمان ، اكثر من مليون فرنسي الخ الخ بينهم ٥ ملايين من اليهود . (هـــذا فـي اوروبا اي عدا عن الصينيين وشعوب شرقي آسيا وشعوب المستعمرات) .

الصهاينة يتحدثون عن حربهم لعام ١٩٤٨ بوصفها ((حرب تحريــر)) و ((حرب استقلال)) ، حرب تحرير من ... الاستعمار البريطاني (واحيانا ((حلفائه او عملائه العرب))) . ـ بما انه ثمة دائما بعض حـق ، فان بعض (و ((بعض)) كلمة خفيفة ، تورية) المفكرين اليساريين والماركسيين الثوريين الغربيين (وبعض العرب) عضوا على هذا الطعم ، لا سيمـا الطعم الاخير ، بشكل او آخر .

بالطبع هذا عكس ليفين ولغته ومصطلحاته .

٦ ـ يوتوبيا utopia . ـ نسبة لعنوان كتاب توماس مـور ، أول الشيوعيين الطوباويين او الخياليين في تاريخ اوروبا الحديث (اوائـــل ق ١٦) . كلمة يوتوبيا = مكان غير موجود ، خارج المكان والامكان .

٧ ـ مولوخ Moloch : في التوراة ، اله العمونيين ، يضحى لـه الاولاد بالنار . رمز بالغ الراهنية . ليفين كتب مقاله في اوائل ١٩٦٩ ، اي بعد ((حرب الستة أيام)) بقليل ...

٨ ـ « اسرائيل فوق الجميع » بالالمانية في نص ليفين . اخت نشيد « المانيا فوق الجميع » .

٩ ـ نسبة الى الصدوقيين Sadducéens .
في تاريخ الدين اليهودي قبل الميلاد هناك ثلاث فرق : الصدوقيون ، الفريسيون ، الايسنيون (وهم أقلية ، المسيحية البادئة ذات صلة بهم . انها « ايسنية نجحت » ★ ...) .
الصدوقيون حزب الكهنة والكبار ، حزب عظمة الهيكل وسيطرة الامة المختارة وحرفية نص شريعة موسى ، قاس في قانون العقوبات ، يرفض الحياة الاخرة وخلود النفس وبعث الاجساد (لم ترد ، او ليست صريحة ، في التورا الموسوية) ، بخلاف الفريسيين . هذا الحزب الصدوقي المتعلق بالهيكل اختفى معه . اليهودية فريسية .
ـ انقل شروحي عن كتاب اليهودي الصهيوني أندره شوراقي : تاريخ اليهودية ، سلسلة « ماذا أعلم ؟ » ، P. U. F . واقول مباشرة ان هذا الكتاب الجيد المختصر في تاريخ اليهودية ، الصادر عن يهودي ـ يهودي (مؤمن ، دين ، لاهوتي) صهيوني ، فيه بشكل واضح ما يسوغ خط ليفين اليهودي ـ اليهودي المناهض للصهيونية ... انقل من نهاية مقدمة القسم الثاني (« النفي » ـ « حالة النفي ») ما يلي : « ... ان دكتورا [حكيما] بابليا من القرن الثالث م. ، حاخام اليعازر بن بدات Pedat كان يستطيع ان يعلم ما يلي : من اليوم الذي فيه دمر الهيكل ، جدار من حديد رفع من بين اسرائيل وابيه الذي في السموات » .

١٠ ـ كلمة فريسي Pharisien اخذت في المسيحية ، شعبيا على الاقل ، معنى سيئا ، استنادا الى نص انجيلي او اكثر او الى فصل من سيرة المسيح . ولكن بولس الملقب ب « رسول الامم » (الذي عارض بطرس رأس الكنيسة وانتصر عليه في مسألة الغاء الختان وهو طقس يهودي وسامي)

★ « يوحنا المعمدان » منهم . حسب المسيحية ، في طقس العمادة ، في انجيل العمادة ، يوحنا يتردد ويسأل المسيح : كيف يمكن ان اعمدك (وانت ابن الله ، والله الخ) ؟ المسيح يقول له ما معناه : افعل ! جاءت الازمنة ، ليتحقق ما يجب ان يتحقق . ـ بالطبع ، المسيحية لها مع اصلها السامي والعربي واليهودي والفلسطيني ، أصول يونانية ويونانية اسكندرانية الخ..

يدعو نفسه ((فريسي ، ابن فريسي)) . الكلمة اذن ، من وجهة نظر المسيحية ، تستحق أفضل مما اصابها .

((فريسيون)) (بيروشيم) تعني ((مفصولون)) او ((منفصلون)) .

الفريسيون زادت أهميتهم اعتبارا من القرنين الثاني والاول ق. م. وبعد هزيمة المحاربين ضد روما وسقوط الهيكل (ق ١ و ق ٢ م.) توحد الشعب تحت زعامتهم ، الصدوقيون والزيلوت والايسنيون اختفوا او خضعوا لانضباط الخلاص الذي اقترحه الفريسيون الذين اليهم القيادة الروحية للكنيس [= الكنيسة = الجامع = المجلس ، الجمعية ، جمعية المؤمنين ...] .

ولكن لعله يجب القول ان الفريسي يتصودق . كما مثلا ــ مع كل التعديلات المناسبة ــ ممثلو الكادحين يتبرجزون (ربما بسهولة اكبر) . ولا ادري ما اذا كان ثمة علاقة بين ((صدوقي)) و ((تصدق)) . التصدق اجباري وطوعي .

الفريسيون تصودقوا فيما عدا العقيدة الدينية اللاهوتية : عدالة الله وحرية الانسان ، خلود الشخص ــ النفس ، دينونة بعد الموت ، فردوس وجهنم ومطهر ، بعث الاجساد ومملكة المجد . الظلم الكبير ، البطش بـ ((الوثنيين)) و ((الكفار)) و ((الهراطقة)) ، ستحققه وتواصله المسيحية ــ دين الدولة ثم دين الاقطاعية . اليهودية في هذا السياق ومع رفضها المسيحية وكليتها الانسانية العالمية تنغلق دنيويا في دين قومي ــ اثني الخ .

١١ ــ أورشليم = مدينة السلام (القدس ، بيت المقدس) ، كلمة اساسية في اليهودية والمسيحية ، وفي الادب والفن المسيحيين الاوروبيين . كلمة تنضم ايضا الى قاموس كلمات شرحنا رقم ٣ .

((ناطوري كارتا)) = حرفيا ، ((نواطير المدينة)) (حتى استعمال اللغة العبرية لغة قومية يعتبرونه انتهاكا لحرمة الدين) .

١٢ ــ التلمود كتاب اليهود الثاني ونوعا ما الاهم . هناك تلمودان ، تلمود بابل وتلمود اورشليم ، وقد وضعا في القرون الميلادية الاولى . الاول اكبر حجما بكثير . يشكلان أساس بناء تواصل عبر القرون في مئات المجلدات. كلمة ((تلمود)) تعني ((تعليم)) (ربما ((تلموذ)) ان صحت الكلمة) . التلمود مبدئيا تأمل في الكتاب ، تفسير كتاب الله ، كلام الله ، التورا ، ((الشريعة ــ التي ــ من ــ السماء)) ، ... فقه ، لاهوت ، أخلاق ، تصوف ، علوم

طبيعة ، طب ، رياضيات ، فلك ، تنجيم ، سحر ، تاريخ ، أساطير الخ . بناء التلمود يتواصل عبر القرون . ((العام علم التلمود)) . موسى ميمون (اسبانيا الاسلامية) ، أهم فيلسوف في تاريخ اليهودية ، هو ايضا من كبار التلموديين . التلمود يرتبط ب ((شعب الشتات)) ، يصبح قوامه الايديولوجي ، فكر الشعب يواجه الاسلام والمسيحية ، يتأثر ويؤثر ـ اللغة العربية لغة اساسية للتراث اليهودي (وقبلها الارامية) ، أفضل حقبة في تاريخ الجماعة هي لا شك اسبانيا العربية ، وفي المشرق ، في كنف الاسلام ، في ظل الخلافة العباسية ثم العثمانية ، كان وضع اليهود جيدا ، كان افضل من وضع النصارى العرب ... ـ .

شعبيا ، ((تلمود)) توحي ، بحق بالشكلية ، بالحذلقة التي لا تنتهي على قضايا تافهة . على حد قول شورافي صاحب ((تاريخ اليهودية)) ، التلمود : صرامة جبارة في المبادىء ومرونة هائلة في التطبيق . اي ـ في فهمي غير المختص ـ دوغمائية في درجة قصوى و ((مرونة)) معوضة في نفس الدرجة . ستالين يهاجم تلمودي الماركسية ، اي النصوصيين الحرفيين الذين يعارضون ويعرقلون تطوير الماركسية الخلاقة . ولكن ! .. ولكن احتفظ برأيي : ربما التلمودية هي وحدة الدوغمائية والمرونة الانتهازية البراغماتية . أما النصوص ، فلعل مهمة تطوير الماركسية الخلاقة ومعرفة لا بعض النصوص والشواهد الذائعة الصيت بل كل النصوص موقفان متلازمان !

ايزاك دويتشر (في عرضه لسيرة حياته ، في أحد مقالات كتابه الهائل ، ((محاولات عن المعضلة اليهودية)) ، ـ دار الحقيقة) ، يعطينا حسية بيانية عن الروح التلمودية ، عن هذا الذي نجده ايضا عند فقهاء الاسلام والمسيحية في عصور معينة . ماركس الشاب (في ((المسألة اليهودية)) ـ دار الحقيقة) يربط او يقرن التلمودية اليهودية بالشكلية الطاغية في المجتمع المدني البرجوازي ...

١٣ ـ نسبة الى ((النجمة الصفراء)) التي فرضت على اليهود في فرنسا الماريشال بيتان وغيرها .

١٤ ـ ((تعليم الازدراء اليهودي)) للعرب ، على غرار ((تعليم الازدراء المسيحي)) لليهود في فرنسا (والغرب المسيحي) ، الذي تحدث عنه المؤرخ الشهير جول ايزاك (صاحب كتب التاريخ المدرسية القيمة وصاحب كتاب

((يسوع واسرائيل))) وجان بول سارتر وطائفة من الكتاب وقد استخدم معظمهم هذه الحقيقة (الازدراء المسيحي يعلم منذ قرون) لصالح الباطل (((مسألة اليهود)) على ظهر العرب) بربع وعي .

١٥ ـ القبالة kabbale من ((قبل)) ، تراث يهودي كبير ، ولد في القرون الميلادية العشرة الاولى ، ونما في القرون التالية ، وبلغ الذروة في القرن السادس عشر . فلسفة ، ما وراء الطبيعة ، تصوف ، باطنية ، سحر ، الخ .

في ((سفر يتسميرة)) (كتاب الخلق او الخليقة) وهو الكتاب الاقدم : عناصر العالم تكونها الارقام العشرة والحروف الـ ٢٢ للالفباء العبرية . قوة الكلم Verbe تحقق الخلق من العدم ، الانتقال من اللاكائن الى الكائن . الحروف ـ الام (الالف = الهواء ، الميم = الماء، الشين = النار) تعبر عن توازن الذنب والبراءة على محور الحقيقة الخ . ـ هـذا يتصل بخط الافلاطونية الجديدة ـ فيلون ـ يوحنا البشير ـ أفلاطون ـ الفيثاغورية الخ الخ .

((سفر زوهار)) (سفر الروعة او البهاء) وضع في اسبانيا باللغة الارامية على يد موسى من ليون الذي جمعه او الفه (ق ١٣) ، وهو ضرب من رواية صوفية ، موضوعاتها وأفكارها : الله اللامحدود واللامعروف ومحمولاته او كمالاته وهي الاعداد ـ فالثوراه هي المطلق في شكل كلمات ، ترجمة الحياة الالهية ـ الله كما هو ، وأنت ، والانا ـ الاعلى ، تطابق الله والانسان ، النفس البشرية (٣ مراتب : ((نفس)) نباتية و ((روح)) فكرية و ((نشامة)) روحية) ، وصف الجنة والنار ، الثواب والعقاب الازليين...

١٦ ـ الحاسدية [الحاصدين ؟] ولدت في بولونيا ق ١٧ ، وانتشرت في بولونيا واوروبا الشرقية التي كانت منذ قرون المركز الامم لليهود . حركة صوفية غنية . مؤسسها ، وقد لقب بسيد الاسم المقدس ، دعا الى تحقق التعاليم الروحية التي تعلنها الاديان دون ان تعيشها . تواصل محبة مع الله ، اتحاد معه ، الله حاضر في كل مخلوق ، أن يهب الانسان نفسه لله وللقريب ، ... هذا التعليم أشعل الاتباع وهدد سلطة الحاخامات فدخلوا في صراع حاد مع الحركة . أتباع الحركة انتظموا في جماعات توالي سيدا روحيا يدعى الصديق ، اي العادل او الصالح ، وقد صار وسيطا بين الانسان والله ، صانع معجزات ، شافيا ، معرفا ، مرشدا روحيا .

وانتشرت حركة الصديقين والحاخامات العجائبيين ... خط الذهب : الحياة مع البشر ومع ذلك الوحدة الفردية مع الله ، في مطاق الحب والحياة والنور . الحاسيدية تواصل موضوعات رئيسية للقبالة ، وتبسطها وتضعها في متناول عامة المؤمنين . والصلاة يرافقها نوع من رقص ، حيث الجسد يشارك النفس ، طالبا الخلاص لاسرائيل وللعالم .

يستطيع القارىء ان يعقد مقارنات ـ تلمود ، قبالة ، حاسيدية ـ مع العالمين الاسلامي والمسيحي . (وبذرة الحاسيدية وضعها قباليو صفد ، ومنهم انتقلت الى بولونيا) .

١٧ ـ contestation : طعن ـ رفض ـ تشكيك ـ سؤال ... ظاهرة عالمية كونية في السنوات العشر الاخيرة ، خصوصا الشباب ، جيل الحاضر والمستقبل ، الجيل القادر والملزم ...

مرة أخرى : يجب ان ينتهي الى خط . الخط لا يمكن ان يأتي من تركيب « عقلانية » قاصرة مع مسيحانية معوضة ، بل من المادية الجدلية والتاريخية، من معرفة الكائن الذي خارج الرأس بتمامه اي بما فيه الفكر..

١٨ ـ على الارجح « لجان عمل طلاب المدارس الثانوية » .

اضبارة ((لوموند))

جريدة « لوموند » مـن اهم صحف العالم ، ويقال : أعظم وافضل صحف العالم . هـذا صحيح ، صحف العالم ليست جيدة .

عنوانها « لوموند » (= العالم) وهـي تغطـي العالـم خارج فرنسا ، معظـم صفحاتها عـن العالـم (ومعظـم افتتاحياتها) . ريبورتاجات وتحقيقات مسلسلة ، مقالات ـ أساس ، « منبر حر » ثابت ، اقتصاد ومال، نقابات واحزاب، هيئات دولية ، كنيسة وكنائس ، فكر ، أدب ، فنون الـخ . و ـ كما أرى ـ بؤر ثورية ويسار أقصى فـي جبال الآندس وظفار والخليج وشمالي كشمير وربما في جزر كرغيلن وقارة المتجمد الجنوبي . . . ظاهرا هذا الامر الاخير الـذي يلفت انتباهي الشخصي يمكن ان يكون جزءا من التغطية الشاملة ، من الموضوعية الحقة .

« لوموند » لها مزية اخرى بالنسبة لنا : اهتمامها كبير جدا بالعالم العربي ، ببلدان المغـرب ، بمصر ، بسوريـا ، بالقضية الفلسطينية ، بالبترول العربي الـخ ، اكبـر بشكل ملحوظ من اهتمام سواها في فرنسا وخارجها .

نقد « لوموند » مهمة حيوية ، أخذتها على عاتقها مجلـة **هيبريتم** وحققتها في عددها الثاني (آب ـ اوكتوبـر ١٩٦٩) بنجاح كبير . وفي اضبارة « لوموند » كما أنشأتها **هيبريتم** ، تحتل قضية فلسطين وما حولها مكانا في الصدارة ، بل مكان الصدارة . قضية فلسطين ومـا حولها : جملـة فلسطين

والعرب خلال عشرين سنة ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ (تأميم السويس، حرب الجزائر ، العدوان الثلاثي ...) ، ١٩٦٧ ... « هتلر ـ عبد الناصر » ، تحوّل العرب في الرأي العام الغربي البرجوازي الامبريالي المسيحي بل و « اليساري » من محتقرين ، هامشيين ، وارتقاؤهم الى حالة مكروهين ، الى مصدر خوف . « عبد الناصر » اي بضعة أمور اخرى ، جمله عربية تاريخية حديثة ، معلومة ، كان « هتلر ـ ستالين » المصري والعربي في وسطها . بفضل جملة من العوامل ، بفضل السيرورة التاريخية ، وبفضل هيريتم وآخرين ، شطرنا ونشطر الرأي العام الفرنسي . نحن جيران فرنسا ، ايطاليا ، اسبانيا ، المباشرين ، وجيران كل اوروبا الغربية والشمالية الغربية مركز التاريخ منذ قرون ، الذي لا تفقده تطورات وموازين القوة العسكرية والاقتصادية ولن تفقده هذه المركزية في كل المستويات .

باختصار : ما هو خط جريدة « لوموند »، خليفة « لوتان » (= الزمان) الرسمية والشرعية ، ما هي سياستها، ما هو أسلوب عملها ؟

١) « لوموند » جريدة برجوازية استعمارية ، موضوعية معتدلة منفتحة الخ .

٢) « لوموند » قومية فرنسية وأوروبية ضد اميركا وضد السوفيات ، ضد العملاقين ، ضد روح يالطا .

٣) لا تهمها الصين ، الشرق الاقصى ، اميركا اللاتينية. ولقد عارضت الحلف الاطلسي واعادة تسليح المانيا فاتهمت بالحيادية والشيوعية المتسترة ، ولكن يهمها العالم العربي والافريقي ، مصر ، المغرب . يهمها اي « لها مصلحة في » .

٤) « لوموند » ليست « فرانس ـ سوار » او « كانار انشينه » ، « لوموند » لا تكذب ، اي تكذب في المناسبات

الكبرى ، تكذب بطريقة جيدة ، انكليزية . احدى هذه المناسبات ، اهمها ، الايام التي سبقت حرب الستة أيام ، مرحلة اكمال عملية الجرّ الشرق الاوسطية ، انجاز المؤامرة الاميركية ــ الاسرائيلية ، والعملية السيكولوجية المرافقة في فرنسا واوروبا .

اعتقد ان هيريتم قبضت على المسائل بشكل ممتاز .

ولكن تبقى نقطة : « يسارية » لوموند . قطعا هذه النقطة لمستها هيريتم ولكن ...

علينا قبل هذه النقطة ان نعطي صورة حية عن عمل هيريتم العظيم ، عن اضبارة « لوموند » . علينا ان نلقي نظرة سريعة ، لا تدّعي الشمول بل تريد التعلم .

الاضبارة بشكل قاموس أبجدي مسلسل ، مضامين جدية ، نصوص ــ شواهد مع تعليقات ومطابقات ، تحت كلمات ــ عناوين ، في شكل لاذع جالد مقاتل .

(ص ٧ ــ ٩) تحت كلمة **لاسامية صهيونية** : مقال طويل بتاريخ ١٥ ايار ١٩٤٨ بعنوان « بعث الدولة اليهودية » مع نقد مواز ، تفنيد تفصيلي لا سيما للاسطورة اليهودية ــ المسيحية ــ الغربية ــ الصهيونية التي حلت محل التاريخ .

(ص ١٤) نجد نصا جميلا لتروتسكي (« حياتي ») عن الصحافة ونظافتها ، يقول فيه :

« زولا ★ كان يقول عن الصحافة المالية الفرنسية انها

★ وهو الاديب الواقعي الكبير الذي وقف في طليعة معسكر قضية دريفوس والعدالة !

تنقسم الى مجموعتين : التي تبيع نفسها والتي تدعى « غير قابلة للرشوة » ، اي التي تبيع نفسها في شروط استثنائية وبثمن عال جدا . يمكن ان نقول هذا عن زيف لغة الصحف عموما . الصحافة الصفراء تكذب بلا حساب ، بلا تفكير ، بدون ان تنظر وراءها . ولكن جرائد مثل « التايمز » او « لوتان » تقول الحقيقة في كل الحالات التي فيها بلا اهمية او قليل الاهمية ان تقال ، كي يكون بامكانها ، في بعض الفرص الهامة ، أن تخدع الرأي العام بكل السلطة اللازمة » .

ــ هذا ايضا ما يقوله عندنا رجل العامة المفكر عن اذاعة لندن مثلا .

(ص ٢٦) تحت كلمة **بريد** (بريد القراء) رسالة من قارىء غاضب على هيريتم وعلى مقال جان بوبيرو الذي قال فيه : « اذا في العبرية « فلسطين » تقال وتكتب « اسرائيل » فبالعربية « اسرائيل » تقرأ « فلسطين » ...... » . القارىء صاحب الرسالة يقول لبوبيرو : « في هذا التنقيب اللغوي سبقتك جريدة « لوموند » التي من السهل ان تسخر منها أليس كذلك ؟ ففي عددها بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٥٦ (ولكن كنت آنذاك صبيا يلبس البنطلون القصير) نقلت « لوموند » هذا الصدى ضمن مستطيل :

جمال العبقري

اثر اعلان انتخاب الكولونيل ناصر رئيسا للجمهورية المصرية بأكثرية تذكر بالاكثرية التي كانت لهتلر وستالين ، تعاون عدد من المذيعين العرب الآتين من بلدان مختلفة (سورية ، المغرب ، لبنان ، طنجة الخ) على « تقديم » الرئيس الجديد . وصف هذا الاخير تارة بأنه «زعيم العروبة»

وتارة بأنه « بطل الاستقلال » ، « بطل الثورة » ، « رجل العناية الالهية » ، و « جمال العبقري » . ثم أذيعت سلسلة من الاغاني التي تحوي الاسم الاول للرئيس ، جمال ، الذي يعني أيضا في العربية beauté جمال » .

اثر ذلك ، جاءها تعليق من قارىء ، نشرته ايضا ضمن اطار مستطيل في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٥٦ :

« لقد وصلتنا من أحد قرائنا ، وهو السيد ناتان شترن من آنفرس الرسالة التالية : .... اذا كان اسم جمال يعني « جمال » بالعربية فهو بالعبرية يعني « جمل » Chameau .

هيريتم تعلق ببساطة ، تذكر الفرق في العربية ، في النطق العربي بين جمل وجمال ، وتتحدث (بهذه المناسبة) عن كلمتي « سلام » و « صلح » العربيتين ... ثم تحيل القارىء الى كلمة أخرى من كلمات قاموسها (وفي نهاية كل كلمة احالات على كلمات أخرى) وهي كلمة أصل Origine (ص ٦٣) ، موضوعها مع الشواهد كيف « لوموند » تتصرّف ازاء حوادث الجرائم التي تقع في فرنسا ، حيث انها تذكر او لا تذكر أصل المجرمين او المشبوهين او اللاحقين ، على كيفها، على كيفها المحدّد ، الموجه .

وبخصوص كلمة « زعيم » والاجماع ولوموند وناتان شترن من آنفرس ، لا بأس من ذكر ان كتابا فرنسيا جامعيا في الحقوق السياسية توقف عند كلمة « زعيم » وعند اجماع مصر على عبد الناصر المهزوم في حزيران ١٩٦٧ ....

(ص ٣٣) تحت كلمة **فاشستي** (**« لو موند » الفاشستي**) نص افتتاحية لو موند تاريخ ٢٩ ــ ٣٠/ تموز/١٩٥٦ (**بعد تأميم قناة السويس**) وعنوانها **«الاستسلام**

المستحيل » وخاتمتها .

« خلال مدة قصيرة وباجراءات قوية يجب على باريس ولندن ، حتى اذا ترددت واشنطن في الالتزام ، ان توجهـــا ضربة الايقاف التي لا غنى عنها .

اتركوا عبد الناصر يفعل اليوم بلا عقاب وغـدا سيصنع القانون في الجزائر وبغداد ،بينما الخبراء سيبرهنون ، كمـا برهنوا لتوهم بصدد هتلر ، على أن نظامه في عشية الانهيار » .

وبعد ثلاثة أيام واصلت « لو موند » :

« ان البعث المرئي للاساليب الهتلريـة لا يمكن السماح بها . . . لا يجوز الرد بطرق حقوقية عديمة الفعل . . . بـــل بالقوة » .

(١٩٥٦/٨/٢)

علما بأن « لو موند » في ١٩٤٨ (انظر مقـال ١٦ أيـار ١٩٤٨ المخصص لمولد دولة اسرائيل) كانت تكتب :

« الدول العربية باتت أمام مسؤولياتهـــا . الجامعـة العربية لم تحقق الى هذا اليوم أي انجاز اجتماعي . بدلا مـن البحث في فلسطين او شمالي افريقيا عن قناة تحويل لسخط الجمهور العربي ، سيضطر قادتها الـى . . . التفكير باجراء اصلاحات » .

لئن فهمنا جيـدا ، عـلى العرب ان يحققوا اصلاحـات بدون المساس بالمصالح الغربية . هذا تماما ما تطالبه الولايات المتحدة من بلدان أميركا اللاتينية ، وهناك عنونت لـو مونـد هذه السياسة « الحلف ضد التقدم » (انظر مقالات نيدرغانغ في تموز ١٩٦٩) .

هكذا لا يعود القارىء يفهم شيئا على الاطلاق . . . فيما عدا العنوان ــ الكلمة !

ثم (ص ٣٤) مقال جاك فوفه Jacques Fauvet [رئيس لو موند الحالي] بتاريخ ١٩٥٦/٨/٢١ (قبل مؤتمر لندن) ضد التسوية ، وعنوانه « **الاخطار المترتبة على تسوية اكبر بالنسبة لفرنسا** » : التسوية ستكون نصرا للدكتاتور المصري ، صعودا لنفوذه وسمعته في شمالي افريقيا حيث « الدراما الجزائرية والصعوبات المغربية والتونسية » ، بينما المطلوب هو « تغيير سياسي في القاهرة ، في غضون مدة قصيرة او طويلة » .

(ص ٣٦) تحت كلمة **لؤم متدرج** : عناوين العدد ١٩٥٦/١١/٢ ، يوم العدوان المتراكب ضد مصر .

(ص ٤٦) تحت كلمة **لبنان** : تشخيص جيد لسياسة لو موند في ايار ــ حزيران ١٩٦٧ . . . ولاشخاص مراسلي لو موند في اسرائيل وفي الجهة العربية : اللبناني ادوار صعب ، « المفلوق » من اللبنانية ــ المارونية ــ الكتائبية ولكن المتكيف معها . الارجح ان كاتب التشخيص لبناني ، وهو ينصف ادوار حليم صعب الذي هو في « لو موند » « ا . حليم صعب » وفي صحف بيروت الفرنساوية « ادوار ح . صعب » . (هذه اضافة من عندي . . .) .

(ص ٥٤) تحت كلمة **حياد** (« لو موند » مع دعوة الحياد ومذهب الحياد ولكن) **صهيوني** . بعد مقال بتاريخ ٤٨/٥/٢٥ ، تتحدث هيريتم عن الجريدة ، تذكر رئيسها او رئيسها السابق السيد هوبر بوف ميري Beuve-Méry Hubert ، صاحب توقيع « سيريوس » ، وهو اسم نجم في السماء عال حيادي ينظر ولا يتأثر . تقول هيريتم :

« هذا النص التافه المضحك هو مع ذلك نقطة تصالب

بمعنى ان فيه يتقاطع ويتلاقى اتجاهان ل « لو موند » ، اتجاهان يصعب على « الفكر » « اليساري » ان يعتبرهما متكاملين . . .

مغزى القصة يشبه كثيرا بعض الاحكام التي تفضح تقسيم العالم الى مناطق نفوذ ، الى كتل (يالطا) : هذا كان دوما اتجاها لهيئة تحرير « لو موند » ان تقاوم زعامة الكبيرين الاثنين وحدهما . لا حاجة للتذكير بتاريخ لو موند والهجمات الموجهة ضد « حياديتها » ، بل ضد « شبه شيوعيتها » أيام حلف الاطلسي واعادة التسليم الالماني . بالحقيقة « لو موند » لم تتغير في يوم من الايام بهذا الخصوص ، رغم عمى مفرح بصدد ما كان يمكن ان يكون جاريا في الصين آنذاك .

ولكن كذلك بصدد اسرائيل ، « لوموند » لم تتغير بالحقيقة أبدا .

ان مفتاح القومية البوف ـ ميرية هو في موقف عدم ثقة حيال الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وفي مصلحة ـ اهتمام أقل بالقارات الاخرى غير اوروبا .

مع استثناء : افريقيا . انه لامر ذو دلالة أن جريدة « لوموند » ، الليبرالية الرفيعة (كل شيء نسبي) بشأن الهند الصينية ، استطاعت ان تدافع عن مواقف فاشستية مع ـ وأحيانا بدون ـ فروق في ١٩٥٦ بشأن مصر وقضية السويس وبشأن العدوان الاسرائيلي لعام ١٩٦٧ . .

لقد بينا سابقا « التصلبات » المشبوهة لجريدة لوموند ، التي تهمس وتأمر بالحرب وترفض التهدئة في تواريخ معينة ، الامر الذي لا يمنعها من ان « تصحح » (فهي موضوعية « مخلق ») بعد ذلك . ثمة تواريخ واضحة تماما :

١٩٤٨ : تحضير محموم لخلق دولة اسرائيل عند ذهاب الانكليز .

١٩٥٦ : افتتاحيات ومقالات نارية ومهددة قبل

التدخل الانكليزي ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي ضد مصر .

١٩٦٧ : مقالات تقدم بشكل أحادي التهدئة الاسرائيلية والتصلب الناصري قبل حرب الستة أيام .

يمكن ايضا توزيع غضب لوموند حسب المناطق الجغرافية والجيوسياسية . مصر وشمالي افريقيا في طليعة هذه الغضبات ، وافريقيا كافة موضع اعلام يرمي بشكل واضح الى ادامة الزعامة الغربية والمسيحية والبيضاء في افريقيا .

كما كان يقول السيد دو نوربوا والجمهورية الثالثة : « مصيرنا سيكون افريقيا » . ماذا تهمنا هوايت هول (الانكليز) وبطرسبرج (الروس) وتين آن من (الصين) ، ولكن اتركوا أيدينا حرة في افريقيا . « **لوموند** » هنا ، انما تحمل وحسب **الاتجاهات** الاكثر كلبية وعدوانية للغرب الذي يبحث عن نفس ثان في هذه القارة بعد الخسارة الآسيوية والتهديدات الاميركية .

قارنوا مع موقف البشارة المسكونية البروتستانتية ، عميلة المخابرات المركزية ، التي هي ايضا تسعى الى اقامة « قاعدة بيضاء » في افريقيا لايقاف **السلطة السوداء** .

(ص ٤٧) رجوعا الى كلمة **لبنان** ، نقرا بصدد ١٩٦٧ :

حتى نهاية ايار ١٩٦٧ ، لوموند قاومت بنجاح متفاوت التسميم الصهيوني الذي يسيطر على الصحافة الفرنسية . **بالمقابل اعتبارا** من ٣٠ أيار ، **أخذت** لوموند **بهذا** التسميم **الذي** كان يرمي الى تحويل نزاع مضايق تيران الى نزاع بقاء **للشعب الاسرائيلي** ضد عدوان مزعوم عسكري عربي تبريرا بشكل مسبق لحرب « وقائية » من جانب **اسرائيل** .

هذا التحيز يظهر بدءا من مطابقة عناوين المقالات والاخبار :

ـ من الجهة الاسرائيلية « تصريحات ... الوزراء الاسرائيلي » مع لزوم الصمت عـن مواقفهم ... (رفض الاشتراك في لجنة الهدنة المشتركة التي ... مصر تطلب عقدها منـذ سنوات ، رفض مفاوضة ... الفلسطينية ، رفض قبول قوات الامم المتحدة فـي الا... م الاسرائيلي الخ) .

ـ بالمقابل من الجهة العربيـة ، « الرئيس ناصر يغلـق الباب امام كل تسوية » ، مع لزوم الصمت عـن الابواب التي تركها عبد الناصر مفتوحة في خطابه (مثلا اعادة لجنة الهدنة المشتركة ، تفاوض لحل القضية الفلسطينية ، اعتبار البترول مادة غير ستراتيجية اذن يمكن ان تمر بمضيق تيران الخ) .

لنذكر ايضا بعض الامثلة التي توضح هذا الانحياز . . .

١) رفض « لوموند » نشر بيـان صادر عـن مثقفين وجامعيين فرنسيين في الشرق العربي ابان عدوان ٥ حزيران كان يطعن في موقف اليسار الفرنسي .

٢) رفض نشر بعض تقارير الـ G. R. A. P. P

٣) رفض نشر بعض مقالات للحاخـام عمانويـل ليفين غير الموالي لاسرائيل .

٤) رفض نشر مقالات لـ فنسان مونتيل Monteil

٥) مؤامرة صمت حـول اجتمـاع اصحاب المليارات اليهود الانكليز والفرنسيين والاميركيين الذين جاؤوا الـى اسرائيل عقب انتصارها لكي يدرسوا عـلى الطبيعة استثمار الاقاليم المحتلة ، مع ان هذا المؤتمر حدث ذو اهمية كبيرة .

٦) صمت حول رفض رئيس الوفد الاسرائيلي السيد جدعون رافايل اقتراح يوثانت بمركزة جنود هيئـة الامم في الجهة الاسرائيلية من خط الهدنة وذلك قبل انفجار النزاع .

٧) صمت حول جواب عبد الناصر عقب ٢٨ أيار ، على

سؤال أحد الصحافيين عما اذا كـــان النفط بعتبــــر مادة ستراتيجية او لا .

٨) بوجه عـــام ، تمييـــز الحوادث والخطب حسب مصدرها . مثلا تأخر في نقل خبر استعمال النابالم من قبل الجيش الاسرائيلي ، وبالمقابل ابـــراز تصريحـــات للشفيري الـــخ .

٩) استمرت « لوموند » مدة طويلة بما فيه الكفاية على الحديث عن « المخربين » و « الارهابيين » الفلسطينيين .

بعد هذا الاندفاع الهستيري العام الـــذي سبق وأعقب عدوان ٥ حزيران الصهيوني والذي أثر على « لوموند » كمـــا على كل الصحافة ولو بدرجة أقل ، تبـــدو « لوموند » وكأنها عادت الى لهجة أقل تحيزا .

كلمة **اضافة لاحقــة** او فصل لاحــــق Postface

كلمة غنية (ص ٦٨ ــ ٧٢) فـــي قاموس هيريتم ، اي فـــي اضبارة لوموند . . . نقرأ عن حرب الستة أيام .

حرب الستة أيـــام : أثنـــاء فتـــرة « التسخين » الايديولوجي المضاعف لصالح اسرائيل الـــذي سبق العدوان الاسرائيلي الثاني ، « لوموند » شطبت عـــلى محاولات عبد الناصر حل الازمة سلميـــا وطمست التصلب الاسرائيلي . ذورا « كبار المثقفين الفرنسيين » الاماميين ــ جـــان بـــول سارتر . . . ــ يحررون بيانا يشدد بسذاجة مؤثرة عـــلى ان « دولة اسرائيل تدلل الآن على ارادة سلم بديهية وعلى رباطة جأش » . بيانا تنشره « لوموند » اول حزيران ١٩٦٧ ، وتنشر بيانا آخر صادرا عن خمسة مفكرين مـــن اليسار فـــي ٢ حزيران .

بتعبير آخر ، « لوموند » تركب هنا قراءها مرتين .
مرة أولى باخفائها عنهم معلومات .

مرة ثانية بنشرها نداء منحـــاه الايديولوجي شكلتـه معلوماتها الناقصة تماما ، ولكن المصدقة والمعتبرة ـ بحكـم العادة ـ مستنفدة .

يجب ان لا ننسى الفصل الثالث : بعد سنتين من ذلك . تكشف « لوموند » لقرائها ان الخطر الـذي كان قبيـل حرب الستة ايام يهدّد اسرائيل كان أقل بكثير مما اعتقد الناس (!) آنذاك وان هناك عناصر كثيرة من شأنها ان تلقي الشبهة على واقع وحقيقة التهديد العربي . (لوموند ١٩٦٩/٧/٣) . هذا اعلام نظيف وكامل (ومحقق اختباريـــا !) . يكفـي عـدم الاستعجال .

لوموند تستطيع الآن ان تأخـــذ راحتهـــا ، ان تنشر معلومات ومقالات عن الشرق الاوسط : ان قراءها بما يشبه الاجماع صدّقوا ان عملية ابـــادة جنس تهيـــأ ضد يهود مسالمين . منذ ١٩٤٨ ، تفضح مصر كمسؤولة (!) . منـــذ ١٩٥٦ ، لوموند تشبه بشكل دائب ادنى حركة من عبد الناصر بمواقف هتلر و (كذا !) ستالين . الجمهور أضحى في حالة جرح عاطفي وايديولوجي وغدا يستقبل كـل خبر في اطـار منظور محدّد ، بواسطة شبكة تأويل محددة جيدا : أجل مـا يعمله الاسرائيليون سيء ولكنهم يدافعون عـــن أنفسهم ضد عرب قبيحين يدعون الى ابادة جنس ...

لوموند الرزينة المهذبة يمكن ان تكـــون سوقية تماما . هكذا بين وقت وآخر ركن « يـــوم بيـــوم » ، ركن روبير اسكاربيت خفيف الروح (خفة الروح موقف شاق) . فـي (ص ٩٠) تحت كلمة « **منشفة** تواليت اوكازيـون » ، تنشر هيريتم مقاله بتاريخ ١٩٥٦/٨/٩ **« رسالة الـــى أحمد » :** « عزيزي أحمد [بن بلا] .... صدق .... » ، رسالة استعمارية عنترية بلا أي نبـــل . هيريتم لا تعلـق ،

ان الدروس التي نتعلمها من عمـل هيريتم كثيرة ...
ولكن ثمة مبدأ أساسي أريد ان أثبته في ضوء هـذا العمل .
هذا المبدأ أسميه **الذاكرة** .

ما تقوله جريدة ما (او جهة ما أيا كانت) اليوم عـن حوادث اليوم قد يكون صحيحـا او لا ، قـد لا أستطيع أن احكم ، أن أحسم ، ثمة دائما صواب ، ثمـة دائما وجه مـن حق ، بعض حق . نحن هنا بخلاف ما **قد** تظنه الرفيقة M. L
نحن هنا فوق مستوى ادراك هذه الطاولة وهذا الكرسي في هذه الغرفة . الراهن ــ الواقع ــ الآني الحق اكبر بكثير مـن الراهن ــ الحاضر ــ الواقع ــ الآنـي المقطـوع ، السطحي . المفرغ ، الصائر **دوغمائية التجريبية** . الوقائع « بعيدة » وبغير المعنى « الجغرافي » ، لا معرفة للوقائع بـدون وساطات . بدون فكر ، بدون جدل الخ .

ان تذكر ما قالته الجهة المعنية قبل عشر سنوات ، قبل ثلاث سنوات ، قبل شهرين ، قبل عشرين سنة ، مطابقته مع اقوالها التالية ، ومع الراهن في تواصله وامتلائه ، طريق الى معرفة حقة .

« الذاكرة » ! في نظرية المعرفة المادية ، نظرية الانعكاس الجدلية المادية ، مقولتنا الاولى هي مقولة الفكـر ــ الروح ــ الوعي ــ السيكولوجي ــ المعطى الثاني . الذاكرة فـي صميم هذه المقولة . ان شعبا فقد ذاكرته شعب فقـد روحه ، اذن فقد حس الكائن ــ الواقع ــ الراهن ، فقد مستقبله ومصيره .

هذا مستحيل . مستحيل ان يفقد شعب ذاكرته . ولكن ثمة دائما مؤامرة على ذاكرة الشعب ، على وعي الشعب ، على روح الانسان .

في بلادنا ، حتى الآن ، لم يقم أحد او تقريبا بعمل هيريتم . لم يقبض أحد او تقريبا على جريدة عربية من سنة كذا حتى يومنا ، او على مجموعة جرائد في مرحلة معينة او أمام منعطف معين . وعند بعض (!) الجهات ــ واليسارية والماركسية من فضلكم ــ كل « مرحلة » (!؟) تجب ما قبلها ؛ كما الاسلام جب ما قبله ، وبدون « خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام » . هذا يدعى قضية « النقد والنقد الذاتي » . كلمة أضحت تافهة ، قاصرة ، باهتة ، دون الموضوع . « نقد ذاتي » حتى مع عنف وتشنج هذا ليس ، ليس بعد قضية الذاكرة ، قضية الوعي . صحيح ان كل القرائن تشير الى أننا استطعنا ، مع جميع الملتزمين بالحقيقة والشعب والانسان ، أن نسدّد ضربة ناجعة ، أن نغرس في أرض الماركسيين والتقدميين لواء الذاكرة . لواء التاريخ . يجب المتابعة . . .

« لوموند » يسارية أم لا ؟ ــ أم لا ؟

هيريتم تلمس هذه النقطة اكثر من مرة . تلمسها بشكل خاص تحت كلمة **اضافة لاحقة** حيث تقول :

« حسبت جريدة « الاومانيته » [لسان الحزب الشيوعي الفرنسي] ان « لوموند » كرست للسيد كريفين Krivine [**مرشح اليسار الاقصى**] مكانا أكبر عشر مرات مما « تستحقه » النتيجة التي حصل عليها . ان

« لوموند » هي صوت كل الوجهاء ، ولكنهـــا ليست سوى صوت الوجهاء . هذا صحيح عن كل الجرائد ، ولكـن هنـا أيضا تمثل « لوموند » نموذجا لم يتجاوز .

اي جريدة أخرى خصصت لترشيح كريفين مثل هــذا الحيز ؟ » (ص ٧٠) .

في رأيي ، فكرة « الوجاهـة » و « الوجهاء » لا تكفـي وليست مناسبة . ولكن لنتابع ! بعـــد عشرة أسطر ، تقول هيريتم :

« ان مشكلتنا مع « لوموند » هي مع مكانها في الثقافة اكثر منها مع آرائها السياسية . ان « لومونـــد » ، حسب رأينا ، ليست جريدة « مـــن اليمين » [ليست جريـــدة « يمينية »] ، بل كان لها ارادات او مسخ ارادات يسارية في شبابها . بسرعة كافية كافحت ضد حرب الهنـد الصينية ، ولم تكن تخفي عواطفها مع الحياد وحذرها ازاء حلف الاطلسي واعادة تسليح ألمانيا (انظر مقـــال « اوروبـا لا تستطيع ان تترك مصيرها للولايات المتحدة » ١٩٤٩/٣/١٧) . في زمن الجمهورية الرابعة تلقت خلال سبع سنوات خمس هجمـات من العالم الرأسمالي ، كانت احداها قويـــة لدرجة ان بوف ميري اضطر فترة الى الإستقالة : اتهم بانه « شبه شيوعي » او « شيوعي متستر » . . . هل فقدت من حدّتها وقوتها مع الشيخوخة ؟ ولكن هذا « التبرجز » نسبي جدا : يجب ايضا ان نشدد على استمرارية وثبات هذه الجريدة ! منذ ١٩٤٨ ، اسرائيل تغيرت ، كذلك الفلسطينيون ، الدول العربية ايضا . أما « لوموند » فقد بقيت على حالها بلا تأثر . . . . ولكن يجب ان نبحث في التفصيل هذه النظامية في الجهـد . فجريـدة « لوموند » ، التي هي ذهن واسع ومنفتح بـــل أكـول حين يسير الزورق على بحر هادىء تقريبا ، تخرج ــ مثـل كـل حكومة ــ مطرقاتها حين تصل الازمـة . **السويس** : . . . . .

حرب الستة أيام : .... » (ص ٧٠ ـ ٧١) .

المسألة التي لمست لم تلبث ان ضيعت .

فكرة « الوجاهة » لا تكفي . او لعلـــه يجب ان نوسع مفهوم الوجاهة جغرافيا .

يؤسفني أنني لم أقرأ خلال ثماني سنوات اكثـــر مـــن اربعين او خمسين عددا من لوموند وربما ١٠ ـ ١٢ عددا من « لوموند ديبلوماتيك » الشهرية . ولكن هذا لا يمنعني مـــن ابداء رأيي .

ما هي « اليسارية » ؟ اذا كانت اليسارية هـي تضخيم كريفين وامثاله واخلافه في فرنسا ، في اميركا ، في آسيا ، في بلاد الواق واق او القطب الشمالي ، عندئذ يجب القول ان لوموند يسارية جدا او يسارية بما فيه الكفاية .

اذا كانت اليسارية هي حشد مـــن الكتـاب والملقين والمراسلين الماركسيين ـ اللينينيين ـ الماويين ـ التروتسكيين ـ الفلسطينويين ـ الظفارويين عندئذ فـــان بعض اعـــداء « لوموند ديبلوماتيك » في سنـــة ١٩٦٩ ، ١٩٧٤ ، ١٩٦٨ ، تبدو لي « اكثر » من « الاممية الرابعة » ـ الجنـاح اليميني (« أقل » من الاممية الرابعة ـ جناح بوزا داس) .

حين أقرأ مقال فلان عن بنغلاديش او عـن باراغواي او عن جزر كيرغيلن أتصور ، أفهم ، ان « الثورة » عـــلى وشك الانتصار لولا خيانة بعض « الوسطيين » . ولكنني اذ أقـــرأ صورة بلادنا ، معلومـات ساحتنـا ، وقائـع بلـدان المشرق العربي ، عندئذ أرجح ان صورتها عن البلدان النائية « قد » يكون صوابها بنفس الدرجة .

جيرار شاليان كتب ذات مرة (حديثا) أنـــه كان قبل سنوات قد حذّر من بعض الاوهام وذكر ببعض مـــا كتبه . يؤسفني ان الاضبارة ليست عندي . من السهل ان نكشف له اوهامه ايضا وأباطيله . وكتابه عن « المقاومة الفلسطينية »

موجود . لا أشك ان الذين رفعهم ونفخهم يعون الآن انه نفخهم وأنهم كانوا على خطأ ...

« لوموند » وريثة « لوتان » ، هذا ما ذكرته هيريتم مرارا . بدون ان أكون مرة في عمري وقعت على عدد من « لوتان » ، اعتقد ان « لوتان » لم تخصص بين ١٩٣٠ و١٩٣٩ لماوتسي تونغ وحزبه وسلطته وقواعده الحمراء ربع ما خصصته بين ١٩٦٦ و١٩٧٤ لواحد من مئة كريفين ومئة جبهة وحزب وبؤرة وهلمجرا .

أجل يمكن ان نقول : هذا دليل على أن الزمن تغير . اليوم الحالة الثورية ممتازة في العالم وفي كل بلد من القارات الثلاث الخ . شخصيا « اشك » في ذلك .

ثمة في آلية الاوضاع الامبريالية والمجتمع الرأسمالي آلية تهوير ، اجهاض ، على قاعدة فلسفية مثالية ذاتية تنشرها كل ماكينة الايديولوجيا والثقافة من الجامعة الى الشارع .

يجب الخروج على هذا .

« لوموند » يسارية ام لا ؟

ــ لا ، السؤال خاطىء . ولكن الجواب الصحيح يتضمن كجزء لازم وبين : نعم لوموند « يسارية » . أحرص على هذا الجزء من الجواب ، أؤكده طالما كلمة « يسارية » عند الكثيرين لا تزال مكانا رفيعا ، المكان الاسمى . وانتقل من هذا الجزء لادين مسألية « اليمين » و « اليسار » .

الاتجاهات « اليسارية » الاربعة او الخمسة التي حاربها لينين في تاريخ الحزب الروسي والاممية الشيوعية ، هي ، مجتمعة مكثفة مطورة مع « العصر » ، « يسارية » جريدة « لوموند » . ويسارية « لوموند » جزء هام جدا من « لوموند » . فعلا الزمن تغير . الزوباتوفية كبيرة جدا . بدون كثير من الزوباتوفات بالمعنى الحقيقي ، بدون كثير من

الزوباتوفات المأجورين . المعنى المجازي أهم . . .

السياسة ليست نوايا بل علاقات موضوعية . « لوموند » في الساحة العربية المشرقية مارست وتمارس عملية « النفخ » . وهذا لا ينفصل عن مجمل موقفها وسياستها وان كان (ولكن هذا في طبيعة الاشياء ، في طبيعة الجريدة والعصر) مطبقوه لا يطبقون سوى « نظرياتـ » هم « الثورية » .

بعض اعداد « لوموند ديبلوماتيك » ثلاثة أرباع كتابها من « أقصى اليسار » . والحكم على « نوفيل اوبسرفاتور » مثلا بأنها « يمين » « مستحيل » ! بل كذلك الحكم على « اكسبرس » بأنها « يمين » : مستحيل ، لا يطاق ، غير مقبول ، لانه **تبخير** (تحويل الى بخار) .

رسالة من يهودي مغربي

تحت كلمة **ييديوت** أهورونوت (اسم جريدة اسرائيلية) نقرأ (ص ٩٥ ــ ٩٦) :

لوموند ترفض نشر نصوص كتلك التي تشدّد على العمل الصهيوني الرامي الى جعل اليهود (مثلا في شمالي افريقيا) يهاجرون الى اسرائيل .

هذا « رأي حرّ » موجه الى لوموند عقب « رأي حر » من النائب جاك مرسيه عنوانه « في سبيل تحرير يهود الشرق الاوسط » (لوموند ٦٩/٣/٥) . لوموند أجابت انه من غير الممكن لها ان تنشر هذا النص .

يجب تحرير اليهود من الصهيونية

ليس من السهل في أيامنا ان يكون المرء يهوديا ومناهضا للعرقية . ان نعيش التاريخ المباشر وان نثابر على الايمان بتجاوزه ، ذلك أليس طوباوية وبالاخير جنونا ؟

ولكن حين يعلم المرء ، في لحمه وفي عقله ، ان الانسان انسان ، حين يعلم المرء ، لانه عاشه ، في لحمه وفي عقله ، ان « اليهودي القذر » هو انسان وان « البيكو bicot القذر » هو انسان وان « الاسباني القذر » هو انسان ، كيف يكون عرقيا ؟ حين يكون المرء قد عاش هذه العنصرية المثارة ، المغذاة بالصلف الاستعماري ، كيف يكون صهيونيا ؟

ان يكون المرء قد عاش المراقب المدني ومحاولته اثارة اليهود والمسلمين بعضهم ضد بعض ، الذين كانوا يعيشون في سلام في الاحياء الموحلة في المدينة القديمة في الدار البيضاء ، أن يكون قد عاش ضابط شؤون سكان البلد ومحاولته اثارة الفلاحين المسلمين ضد اخوتهم ، الفلاحين اليهود ، الذين كانوا يعيشون معهم في وادي آيت بوجمس ، أن يكون قد عاش حقد الجلاد الاستعماري بعد الايام الدامية في الدار البيضاء علم ١٩٥٢ ومحاولته ان يفصل ، في الشتيمة ، المناضل المسلم عن المناضل اليهودي ، أن يكون عاش ذلك وأن يتخيل نفسه ، منتعلا نفس الصلف ونفس الشتيمة ، ذاهبا يواصل ذلك الموقف في بلد عربي آخر يحمل اسم فلسطين .

أعلم ، العديد من اخواني اليهود المغربيين لم يروا ، وهم معزولون في عالمهم ، سوى الخوف المثار هكذا . المنظمات الصهيونية التي كان الضباط الاميركيون في مصلحة الخدمة الستراتيجية O. S. S [= مخابرات الجيش الاميركي] ينصبونها منذ ١٩٤٣ مع تعاون عناصر من البرجوازية اليهودية المغربية الكبيرة التي كانت ترى نفسها هكذا مستوعبة في الغرب ، استطاعت ان تنمي الخوف وان تثير

الهجرة . كم من قرى الفلاحين اليهود في الجنوب المغربي هي الآن مهجورة ، لم يبق فيها سوى الكنائس الصامتة يحترمها الفلاحون المسلمون بشكل أخلاقي دقيق ؟

ولكن أين هم الآن ، هؤلاء الفلاحون اليهود العرب ؟ مدرجون في تسلسل عرقي ، يهيمنون على العربي المسلم لكي يهيمن عليهم الاوروبي اليهودي ؟ أجل لسوء الحظ ، بعض أبنائهم ، مثل بعض أبناء العامل الاوروبي اليهودي ، الذين كانوا بالامس ضحايا النازية ، يمكن ان يعتقدوا انفسهم ظافرين واحرارا ، يسيطرون على التقنية والسلاح الحديث . ولكن اية تقنية ، أي سلاح ؟ التقنية والسلاح اللذان يعطيان ضد الشعوب النتائج المعروفة في فيتنام . لمن هذه التقنية وهذا السلاح ؟ لروتشيلد واصطبلاته ، للمليارات الدولارات المأخوذة على البترول العربي .

أجل يستطيعون ان يؤمنوا في بعث الماضي التوراتي . بائسون ! كما لو كان هذا ممكنا على حساب القريب ! ألا يرون أنهم يتعلقون بعالم عفن ، بعالم ينهار ، ضد البشرية التي تناضل وتتقدّم .

كتبت في ٢ تموز ١٩٦٧ ان المستقبل ملك لنضال التحرر القومي للشعوب العربية ، وذكرت فتح التي تميز بين اليهود والصهيونية . طبعا ، ردّوا عليّ ذاكرين الشقيري . ولكن أين هو اليوم ؟ ومن اليوم يجهل فتح ؟

من يناضل بالواقع ليس فقط من أجل مستقبل فلسطين ، بل لاقتلاع العرقية من هذا الجزء من العالم..؟ من يناضل فعلا من أجل تحويل هذا الجتو ، في النطاق العالمي ، الذي فيه الامبريالية والصهيونية أرادتا حبس اليهود ، الى « فلسطين علمانية ، موحدة وديمقراطية » ؟

بين « رأيين جرّين » ، رأي النائب الباريسي الذي لا يرى الا ّ حلولا عرقية ، ورأي السوسيولوجي المصري الذي

يذكر ، ذاكرا اخوته اليهود ، بتقليد الاخوة العربيـة ، أفضل الإيمان ، طوبى خيالية او جنونا ، ولكـن طريقـا وحيدا الى المستقبل ، باخاء البشر ، بالحقد على المستغلين المشتركين .

الرباط ، ١٩٦٩/٣/١٢

ابراهيم سرفاني

مهندس مدني للمناجم

من أجل اعلام موضوعي ذهبنا نرى رأيا حرا منشورا . . في اسرائيل في جريدة اسرائيلية .

« كيف يهود شمالي افريقيا سيقوا الـى الهجرة الـى اسرائيل » (رسالة من ميشيل آسياغ في حيفا الـى جريدة يديوت أهورونوت عدد ١٩٦٩/٥/٢) .

« أريد ان اعالج بعض الموضوعات المطروقة فـي سلسلة مقالات « خروج من اوروبا ١٩٦٩ » بقلم آفيزر غولان .

ان تأكيد أنه توجد لاسامية عدوانية فـي فرنسا محض نتاج من خيال السيد جولان وليس لـه أساس واقعي . ان اساليب مشابهة قد استعملت مـن قبـل رسل الحركات الصهيونية في بلدي الاصلي وهو أحد بلدان شمالي افريقيا . خلقوا عمدا جوا من الخوف والقلق فـي الجماعة اليهوديـة المحلية . بل ساعدتهم فيهذه المهمة عناصر اجتماعية مشبوهة تماما وهكذا سببوا هياجا وتفكك الجماعة اليهودية القديمة . النتيجة كانت هجرة الجماهير التـي أصابها الافقار الـى اسرائيل . في نفس المقالات ، السيد غولان يعلـن ان اليهود الشمال ــ أفريقيين الذين عاشوا في فرنسا سنوات طويلـة لا يشعرون انفسهم في بيتهم . لعله محق . ولكن المسألة ان نعلم ما اذا كان اليهود الشمـال افريقيون المهاجرون الـى

اسرائيل منذ عشـــر سنوات ونيف يشعرون نفسهم فـــي بيتهم . » .

فهل تكون « لوموند » اكثر صهيونية من الصهيونيين ؟

رسالة مـــن ليفين

(ص ٩١ ــ ٩٢) تحت كلمة **صهيونية** لاسامية ، نقرأ :

الركن **الديني** في جريدة « لومونـــد » المختص بالديـــن اليهودي مودع في أيـــدي الحاخام جوزي أيزنبرغ الـــذي يستخدمه لاغراض دعاية صهيونية .

اللاهوتي اليهودي عمانويل ليفين أرسل عدة ردود الـــى هذا الركن (انظر نصها الكامل فـــي كتابـه « اليهودية ضد الصهيونية » ، طبع Cujas ، باريس ١٩٦٩ ، ص ٤٣ الى ٨٣) ولكنها لم تنشر .

رفض أعطاء الكلام لليهود المناهضين للصهيونية الذيـــن يواصلون كفاحهم باسم يهوديتهم ذاتها رفضا ثابتـــا ، أليس ذلك تدليلا على لاسامية يتناسب خطرها مع نعومتها ؟ هـــذا ما يكتبه ليفين الى جاك فوفيه Fauvet فـــي رسالـــة ننشر هنا قسمها الاخير .

[يقول ليفين :]

اضافة : رغم انتمائي الى أقلية فانني مع ذلك ممثل من ممثلي اليهودية .

المسيحيون هل كانوا دائما اكثرية ؟ حين بدأ يسوع تبشيره هل كان جزءا من غالبية اليهود ؟ وحين صلب ، بل وانكر من قبل تلاميذه ، هل كان على باطل ؟

ان واجب اليهودي مثل واجب المسيحي هو ان يقول وينشر الحقيقة . الظروف هي من الخطورة بحيث لا يجوز اخفاء الحقيقة . الصهاينة يسوقوننا الى الكارثة . ارحم نفسك . عندك ما تخسره اكثر مما عندي . أنا اشفق على العالم حين أناضل ضد الهرطقة الصهيونية ، اذ من وجهة نظر العدالة ، هذه الحضارة الغربية والمسيحية التي أفضت الى اوشفيتز وهيروشيما تستحق العقاب الاعلى : الدمار الكامل . هي ذي علة وجود دولة اسرائيل التي ليست سوى اداة حرب ، الشرارة التي ستشعل النار النووية . ليس كبار هذا العالم هم الذين سيتمكنون من اطفائها . بالعكس انهم اليهود الصغار ، مثلي ، الحاخامون المجهولون مثل حاخام ساتمار ، لانهم ليسوا زبائن روتشيلد ، عملاءه المأجورين ، مثل معاونك اللامع جوزي أيزنبرغ ، الذي باتت أكاذيبه الحاخامية لا تطاق . هذا سماح بتلطيخ اليهودية وذكرى ملايين اليهود الذين ذبحوا كما ذبح والدي ، بدون ان يحملوا السلاح ، كي يديموا التقليد السلمي لاسرائيل وكي يتركوا للعالم رجاء . آباؤنا لم يموتوا شهداء من أجل دولة اسرائيل ، بل من أجل اله اسرائيل ، الذي نطق على سيناء القول :

لن تقتل

وبفم نبيه زكريا (٤ ، ٦) :

ليس بالجيش ولا بالعنف بل بروحي فقط .

وفاء للأزلي وليس وطنية ضحوا بحياتهم .

تدع قراءك يعتقدون ان اليهودية تسمح بالحرب وتبشر بالنضال المسلح مثل مسيحية العصر الوسيط . بهذا عينه تنزع عنها كل قيمة في نظر المؤمنين الصادقين من أبناء الاديان الاخرى . هذه هي اللاسامية ، غير واعية او ناعمة، تستمرّ .
[انتهى نص ليفين] .

ملاحظة من هيئة التحرير :

ربما لهذا السبب امتنع بيار فيدال ناكه عن ذكر كتاب ليفين بين كتب « خصومه » في مقاله **« الصهيونية كما يراها خصومها »** ، لوموند ٣٠ تموز ١٩٦٩ .

من جهة أخرى ، في هذا المقال ، رأى ممكنا السابوتاج على تقديم الـ M. R. A. A (الحركة ضد العرقية المعادية للعرب) ، وعدم تخصيص سوى سطرين لمكسيم رودنسون (اي سطرين اكثر مما خصص لليفين ... وللعدد الاول من مجلة هيريتم) .

من حيث **« الصهيونية كما يراها خصومها »** ، مقاله هو بالاحرى « مناهضو الصهيونية كما يصطفيهم خصمهم » !

السيد فيدال ناكه ، وقد نبه على الارجح أننا سنلومه على سكوته ، السيد فيدال ناكه ــ الذي ، بين حين وآخر ، يزعم نفسه مناهضا للصهيونية ــ نشر في « لوموند » ١٩٦٩/١١/١١ تقريرا عن كتاب ليفين وتقريرا عن المؤلف الصهيوني لـ غينيفسكي Giniewski « الصهيونية من ابراهيم الخليل الى دايان » .

من المعلوم ان مؤلف ليفين هو بمثابة قراءة للتاريخ اليهودي مضادّة للدولة . بالعكس ، غينيفسكي يريد ان يجد في كل التاريخ اليهودي أسلافا للصهيونية . ليفين وغينيفسكي

يتكلمان اذن بشكل متعارض عن نفس الاشخاص ولا سيما عن الحاخام المهم يوحانان بن زاكاي . هذا يعطي كاتب جريدة « لوموند » ذريعة جيدة كي يرسل الاثنين ظهرا على ظهر وكي يحتفظ حول المسألة بوجهة نظر « سيريوس » [اسم نجمة ، وامضاء رئيس لوموند وافتتاحياتها . . . اذن وجهة نظر حياد رفيع] . . . « لست واثقا من أنه موقف سليم ، من وجهة النظر التاريخية ، أن ننقل ونضع في الماضي خلافاتنا الحالية وأن نرفع ، فلان « الحاخام ــ المغاور » ، وفلان « الحاخام ــ المتعاون » .

ولكن ، يا سادة ، ثمة مع ذلك تفصيل يجب ان يوضح وهو ان مستند ليفين صحيح ، لا مستند غينيفسكي ! ثم ، ليفين لا يقوم بعملية « نقل ــ وضع تاريخي » ، اذ هو يعرض تقليدا يهوديا لا ينكر البتة أنه اتخذ أشكالا مختلفة حسب الحالات والبنى والقرون ! أما غينيفسكي فهو يتكلم جديا عن « صهيونية ابراهيم » .

عندئذ ، ماذا تخفي هذه المعادلة او المكافأة بين الكتابين ؟

وأيضا سؤال :

صحيفة « الشهادة المسيحية » Témoignage Chretien

خسرت اعلانات تجارية تقدر قيمتها بملايين عديدة لانها تجاوزت على عدد من « التابو [محارم] المتصلة باسرائيل . ترى كم ستخسر « لوموند » فيما لو قلت « واقعيتـ » هـا وقرّرت سلوك درب كهذا ؟

هنا ، الاعلان التجاري ، « الاعلان الخير » (انظر محاضرة هوبر بوف ميري [رئيس لوموند السابق « سيريوس »] بعنوان « من لوتان الى لوموند » الملقاة بتاريخ

٢٤/٥/١٩٥٦) لا ينفصل عن الحذاقة الناعمة ، التي يستفيد منها (وهنا مناسبة هذا القول) كل من لوموند والصهيونيين ، الا وهي السمعة التي يصنعها البعض لهـــذه الجريدة بأنهــا مناهضة لاسرائيل !! (ملامات تنشرها بلذة وسعادة ، انظــر ١١/٦/١٩٦٨ و ٣١/١/١٩٦٩) .

بمناسبة رسالــة ليفين
عـــلى سبيــل الخاتمة

أندره شوراقي « طباق » ليفين . من المفيد أن نجــري مطابقة .

المسألة التي بينهما واردة في الاديان التوحيدية وبعض مذاهبها ، وفي الاساطيـــر والقصص الشعبية : « نهايـــة العالم » ، « قيام الساعة » ، « مجيء الازمنة » ، « تؤلف ولا تؤلفان » ، المهدي ، المسيح والمسيح الدجال ، ملكوت اللـــه والعدالة (في « السماء » ؟ على الارض ؟) .

خارج هذا الاطار ، عدد من مفكري هذا الزمن تحدّثوا عن مستقبل النوع الانساني ، عـــن انقراضه ، ليس أقلهــم شأنا وشهرة الفيلسوف والعالم برتراند راسل .

حربان عالميتان ، خطر حرب عالمية ثالثة نووية ، تلوّث البيئة ، الامراض المزمنة ، التفجـــر الديموغرافي ، ثــورة الشعوب الجائعة ، نمط الحياة الاميركي وانتشاره في اوروبا والعالم ، تحلل الروابط الاجتماعية ، التقدّم المتسارع للعلم والتقنية ولقدرة البشر . . .

بمفردات وحدود الماركسية : = تعاظم الحاجية الثورة الشيوعية ــ الاشتراكية ــ الاجتماعية ــ الانسانية .

المسألية الماركسية واضحة بما فيه الكفاية في نصوص الماركسية . نذكر بشكل خاص **انجلز** : « دور الشغل في تحوّل القرد الى انسان » و « **مدخل جدل الطبيعة** » .

روزا لوكسمبورغ في زمن الحرب العالمية الاولى أعلنت : اما الاشتراكيه او البربرية .

لينين ، عقب انتصار الثورة في روسيا وتراجعها وابتعادها في اوروبا ، يبدو متشائما . او لنقل بالاصح ان تفاؤله (فالروس والهنود والصينيون الخ يؤلفون غالبية سكان المعمورة وهذه الغالبية دخلت نهائيا في الحركة والفعل) معلق على شروط يجب ان تتوفر ، شروط ذاتية أولا اي شروط في حقل **وعي الثوريين** .

ولئن كان يجب ان ندين أيضا وأيضا خيانة قادة حركة العمال في عام ١٩٢٤ ، فانه يجب ان ندين قصور الماركسية بعد لينين .

قبل عشرين سنة ، في الخمسينات ، قيل في وسط الماركسية المكرّسة ان الحرب النووية لا يمكن ان تنهي النوع البشري لان الماركسية تعلمنا ان البشرية تنتقل من الرأسمالية (لا الى العدم بل) الى الاشتراكية ثم الشيوعية . لعل (!) هذا ما تعلمنا اياه « المادية التاريخية » ، ولكن « المادية » حسب و « الجدل » حسب يعلماننا ان الازلي والخالد هو المادة ــ في ــ الحركة ، حركة المادة ، الكينونة ــ الصيرورة او صيرورة الكائن ، وان الانسان ونوعه كله فان ، وان الارض فانية ، وكذلك الشمس وكل شمس من الشموس . . . . اذن هذا الطرح غلط ، خلط للمستويات ، لفلفة للمسائل ، ربما لوجه الاهم ، السياسي . بقاء النوع ــ انتصار

الشيوعية ــ تقدّم النوع يجب ان يستمدّ تسويغه من شيء آخر غير هذه « الحتمية » التي في غير مكانها .

مع هذا الطرح الخاطىء ، بالتلازم معه ، وراءه ، تحته وفوقه ، موقف ذهني سيكولوجي معاكس ، موقف خوف من الحرب النووية المخيفة بالتأكيد . الصينيون أرادوا ضربه . ارادة صحيحة ضرورية حيوية . ارادة ضرب الابتزاز الاميركي (والانسانوي الغربي المرائي اللئيم ★) بالحرب النووية ودمار الحضارة وفناء البشرية . وهم على حق في منطقهم (الضمني) : ما يخسره الاميركي او الاوروبي أكبر بكثير مما يخسره الصيني والهندي والافريقي . لم يكونوا على حق في منطقهم (الصريح) : الحرب النووية ستقضي على ربع ، نصف البشرية ، النصف الآخر سيبني حضارة ارقى بكثير ، بشرية شيوعية انسانية متساوية متآخية . ربع ، نصف . . . القضية مفتوحة ، مع تقدم القوة الانتاجية والتدميرية ، ان حربا عالمية نووية يمكن ان تقضي على أكثر ، على الكل . ولكن الخوف والرضوخ للابتزاز لن يجنبا النهاية أبدا . والبشرية يمكن ان تعدم في برهة ، ويمكن ان تنحدر وتنقرض بدون حرب عالمية . ان عالما تهيمن الولايات المتحدة (مع حلفاء ، بدون حلفاء) على ثلثيه وهو عالم موجد متداخل ، ان جهنم الجوع ونمط الحياة الاميركي ، بلا امل نجاة ، ليس أفضل من جهنم حرب نووية عامة .

المسألة كانت احد الوجوه الظاهرة في والخفية وراء الخلاف الصيني ــ السوفياتي . السوفييت وآخرون اعتبروا ان الربع او النصف الذي يتساهل ماو ويقبل زواله هو العالم الصناعي المتقدم ، ان الضربة الاولى في حرب عالمية ستتلقاها

★ **الذي تساهل معه جان بول سارتر ضد « انذار بولغانين » (سنة ١٩٥٦ ، بمناسبة العدوان الثلاثي على مصر) .**

بطبيعة الاشياء المراكز الصناعية في الاتحاد السوفياتي واميركا واوروبا .

ولم تحدث حرب عالمية بل حروب عالمية . أميركا ضربت من أندونيسيا الى شيلي مرورا بحرب الستة أيام .

وبعد حقبة طابعها اليسار الجديد والبؤرية و « السلطة في فوهات البنادق » ... جاءت زيارة كيسنجر ونيكسون الى الصين الشعبية . وظهرت او قويت دلائل على **احتمال** انسحاب الاميركيين في حقبة قادمة (عشر سنوات مثلا) من الشرق الاقصى (تركه بين أربعة قوى ضخمة: الصين واليابان والاتحاد السوفياتي والهند) واستيلائها المطلق على الشرق الاوسط والبترول مع ارضاخ الاوروبيين واعطائهم حصة مشاركة في افريقيا عموما .

وظهرت وقائع وتحليلات عن تعاون اقتصادي هائل بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة (ابطاله الاميركيون : كيسنجر ، أرماند هامر ، وسمويل بيزار ...) ، بين الاتحاد السوفياتي وكل من الولايات المتحدة واليابان والمانيا الغربية الخ ، في مستقبل قريب . وذهب بعض المحللين من علماء الاقتصاد الماركسيين- اليساريين الى ان الاقتصاد السوفياتي والشرق - اوروبي سيدخل بطريقة ما تحت جناح الاقتصاد الغربي والنظام الرأسمالي المتقدم . ولا يخفي شيوعيون من جيل المناضلين القدامى (في بعض بلدان اوروبا الشرقية) - في أحاديثهم - تخوفهم من واعتراضهم على الانجرار وراء الغرب والنمط الاجتماعي الغربي في سباق مستحيل بين اوروبا الشرقية والغرب ، في مباراة خاسرة وتضحي بالايديولوجيا على مذبح التكنولوجيا والاستهلاك ، تضحي بمثلنا العليا ، بأهدافنا ، بمفهومنا عن السعادة . الصورة المذكورة - وفاق سوفياتي اميركي ، هيمنة اقتصادية اجتماعية ايديولوجية غربية ، انتكاس اجتماعي- يعززها في

الشرق الاوسط قضية هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل التي بلغ تعدادها حتى الآن ربما مئة ألف وسيبلغ مئات الالوف .

كل هذه المخاوف مبررة . ولكن — في رأيي — مهما كانت وجوه الصواب ونقاط الحق في الصورة الآنفة ، فهي عند الحسم خاطئة . الاتحاد السوفياتي لن يسلم لا بمصالحه الاجتماعية (وأسس نظامه وايديولوجيته) ولا بمصالحه القومية الدولتية . ثمة عوامل كثيرة جبارة في الاتحاد السوفياتي (مجتمعا ودولة ، تربية وحزبا) ضد مثل هذا الانتكاس . وليس من « السهل » ان تتكيف اميركا مع هذا الواقع ، ان « تلزم حدودها » ، حدها متحرك . هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، ان الصورة المتشائمة الآنفة عن الاشتراكية في قسم من العالم متأخر بنيت الى حد كبير على قاع من نظرة ايجابية لتطور **الاقتصاد** الرأسمالي الغربي، نظرة أثبتت وقائع السنتين الاخيرتين وكشفت نوعا ما بشكل مفاجىء خطلها . نوعا ما ، فالازمة الاقتصادية الرأسمالية في شكل أزمة النقد ، عمرها سنوات . « كل نظرية اقتصادية خاطئة » (ماركس) ونظريات والت روستو ، سرفان شريبر، الخ ، الاقتصادية خاطئة بشكل مضاعف .

نظرية الافقار التي هي بأحد المعاني جوهر التصور الماركسي للمجتمع الرأسمالي ابتذلت قبل ٢٠ — ٢٥ سنة ، انطلاقا من وعي او شعور جوهريتها ، ومن تجربة الاقتصاد الرأسمالي بين الحربين العالميتين . ثم كان هناك ميل الى الغائها استنادا الى واقع بديهي يعزز قوته الظاهرة تطوّر ما بعد الحرب العالمية الثانية ، انطلاق وازدهار وارتفاع مستوى المعيشة في الغرب بشكل لم يسبق له مثيل . الموقفان جزئيان على قاعدة اختلاط تجريبي . (ومفهوم « مستوى المعيشة » يكف عن كونه مفهوما وقطعا) . الماركسية

قبضت على مستوى علاقات الانتاج ومسألة تناقض قوى الانتاج وعلاقات الانتاج . جوهرها ضد التفاؤل التقدّمي الرأسمالي التكنولوجي الحضاري لاشخاص متنوعين متباينين متل ريمون آرون ، جان فوراستيه الخ .

الاتجاهات متضاربة . ليس ثمة ازمة اخيرة « بلا مخرج » . ولكن الاقتصاد الرأسمالي في حالة أزمة . ليست أزمه ١٩٢٩ - ١٩٣٣ ، ولكن يمكن ان تكون أطول . وسبل التاريخ يسبرها (يجب ان يسبرها) الماركسيون ... ايطاليا ، فرنسا ، اليابان ... ومسألة الامة او تقرير المصير ... مبدئيا ، لا اعترض على انتهاج خطة تدعى « اصلاحية » ، أصرّ على معرفة موقف الاتحاد السوفياتي ، على أخذ ما يدعى بالوفاق الدولي بعين الاعتبار (هذا المبدأ بديهية) ، أعترض على « القوالب » ، أصرّ على موضوع الامة او حق السيادة .

كيسنجر (مترنيخ زمن متقدّم) كان قبل شهور في قمة جبل الاولمب . الآن ... ان سلام « الحلف المقدّس » مخالف للعصر . الثلاثة والثلاثون سنة قد تنزل الى ثلاث سنوات .

اسرائيل لا تنسحب ، وليس هناك قوة تستطيع ان تترك قطعة من سورية او من مصر لاسرائيل . ليس ثمة مجال لتفريط بتراث طحوتمس ورعمسيس ، بمصر من مينا انى جمال . وأن تنسجم اميركا مع هذا ليس أكيدا . وهناك غير هذا . ولكني أسمم هذا لان الرئيس الاميركي بعد وفاة عبد الناصر ومع دفن يارنغ وأسئلته (عن الانسحاب والحدود) ومع دفن روجرز ذكر لاول مرة « الشعب الفلسطيني » ، ولكن حتى الآن وبعد مضي أربع سنوات من ذلك لم يصدر تصريح اميركي يجسم قضية الانسحاب الكامل لا سيما من أرضي سورية ومصر .

البترول العربي مادة « ثمينة » و **كل** الاحتمالات واردة . ومهما يكن من أمر ، ومع معارضتي اي تسرّع ذهني قومي قوموي متفائل ، أدين مرة اخرى كل تصوّر طبقوي لزمننا ... احتفالات الذكرى الـ ٢٥٠٠ بامبراطورية كورش ـ مثلا ـ عززت اعتقادي بأن عصر الامبريالية وعالمها وخطها هو ايضا في جملة امور تسليط أمة على أمة . ليس الآن اتراجع عن هذا التشخيص . أعارض **كل** منهج لا يدرك ان الامة مقولة اي مقولة جدلية علاقية حية ، أدين التصوّر الذي يعتبرها اطارا حياديا مجانيا والتصوّر الذي يعتبرها هوية ميتافيزية واعتبرهما قائمين على قاعدة فلسفية واحدة . وأدين كل تصوّر اقتصادوي عن الامبريالية والاستعمار الجديد والامبريالية الجديدة وما شابه . تصوّر اقتصادوي عن سيطرة بالاقتصاد والتكنولوجيا والخبرة والعلم وبعض السياسة بدون باقي السياسة ، بدون العنف والحرب ، بدون المخابرات والمظليين ومشاة البحرية ... لبس الآن اتراجع عن هذا التشخيص .

وقضية البترول تتجاوز « أزمة الشرق الاوسط » الراهنة الى راهن أطول او اكبر ايضا . انها قضية اسعار وحجم انتاج ★ ، قضية الاقتصاد العالمي ، قضية الحضارة ونمط الحياة الاميركي وقضية الانسان !

★ **بدون تدقيق حسابي رياضي وبقصد اعطاء فكرة وحسب :**

اذا كان انتاج البترول السعودي والعربي والايراني يزيد سنويا بمقدار ٢٠٪ اي (متوالية هندسية) × ٢ في اربع سنوات ، اي × ٢ أس ٥ = ٣٢ ضعفا في ٢٠ سنة ، وألف مرة في ٤٠ سنة ، فانه سينضب قبل ذلك وسنأكل الرمل .

اما السعر ، فليتر البنزين للمستهلك الباريسي (بعد دفع جميع الرسوم والضرائب) ارخص بكثير من فنجان قهوة . اميركا منذ سنوات ضاعفت سعر القمح ...

لا اعتقد ان الشرق الاوسط واوروبا سيفقدان خلال عشر سنوات او عشرين سنة مركزيتهما ، مهما ارتفعت اهمية منطقة المحيط الهادي .

في الشرق الاقصى ، كيسنجر يحاول ، على ما يبدو ، اقناع الصين الشعبية بأن الاتحاد السوفياتي سيضربها نوويا ويعرض « مساعدة » اميركا . كدليل مادي عنده واقع وجود قواعد صاروخية نووية سوفياتية ازاء الصين . هذا أكيد ومفهوم . ولكنه ك « دليل مادي » ليس كثيرا . نوعا ما انه دليل بالعكس . عدم وجود أدلة أخرى يشهد ضد دعوى الداعي . الاتحاد السوفياتي لن يبادر يوما الى هجوم على الصين (او الى استعمال السلاح النووي) هذا أمر لا شك فيه . وانحسار او انحداد الخلاف السوفياتي ــ الصيني ممكن ووارد .

وبقاء الاسلحة النووية في اماكنها وارد . بقاء السلاح الحراري النووي والكيميائي والجرثومي والمناخي ، أسلحة الابادة بالجملة ، الاسلحة المتطوّرة والبومرانغ boomerange في اماكنها وارد . استحالة او انتفاء حرب عالمية وارد ، معقول . (ثمة آراء في هذا الاتجاه لانجلز ولينين) .

أن تقرّر الشعوب مصيرها بوعي وجرأة وارد . وارد ان يكون درس فيتنام الاميركي درسا بالعكس .

قلنا ان مسألة مستقبل الحضارة والنوع الانساني قد استحوزت على انتباه علماء وفلاسفة وأدباء ولاهوتيين كثيرين بدءا من القرن الماضي ...

في المسيحية الكاثوليكية في القرن العشرين ، تيار دو شاردن ، العالم ــ الفيلسوف ــ اللاهوتي ، يمثل خطا متفائلا : بدون « خطيئة أصلية » (مبدئيا ؛ اي في **خط** او

منطق مذهبه الفلسفي ورغم الايمان والعقيدة)، بدون خطيئة آدم وعاقبتها ، سيرورة تطور المادة ــ الحيـــاة ــ الانسان ، صيرورة الارض كرة عقلية noosphére الــخ . تجـدر الاشارة الى ان تيار دو شاردن وبعض اللاهوتيين والمفكريـن والعلماء المسيحيين يؤيدون الماركسيه او الثورة الاجتماعية ، بشكل او آخر ، مع التصريح ، مع تصريحات بالغـة الايجابية عن الماركسية بوصفها تصورا لتاريخ الانسان ، مذهب صراع الطبقات ، مذهب الثورة الشيوعية ★ ، وأحيانـــا الماركسية جملة اي بما فيها المادية الجدلية او بدءا منها (رغم أنف مسألة الخلق ، ورغم أنف المسألة الفلسفية الاولـى التــي **يقلصها** بعض الماركسيين الى مسألة خلق وعدم خلق ★★) . مقابـل ذلك ، ضدّه ، (وبمعنى مـا جزئيا معـه بصرف النظر عـن النوايا) هناك محاولة انشاء ضد ــ ماركسيــة ، ماركسية ــ مضادة مسيحية تفصيلية ، محاولة بسط مـذهب مسيحـي فلسفي ــ اجتماعي ــ تاريخي ــ اقتصادي يـوازي ويعارض ماركس (او هيغلو ــ ماركس ، مع الخلط) تفصيليا في كل الاجزاء ، مما يعطي بعض النظرات الثاقبة والمفيدة مع ضلالات وتشويهات غير قليلة . مثال هذا الخط كتاب الاب كالفـز : تفكير كارل ماركس (فقط قسمه الاول صدر بالعربية قبـل

★ في هذا المستوى لا مجال لتمييز شيوعية ــ اشتراكية ــ اجتماعية . من جهة ثانية ، اصطلح العرب ترجمة Communisme شيوعية و Socialisme اشتراكية . ترجمة جيدة ونبقى عليها . ولكن مقبول ايضا ترجمة أخــرى : Communisme اشتراكيـــة او مشتركيـة و Socialism اجتماعية او مجتمعية . المصريون قبـــل خمسين سنـة ترجموا Communisme اباحية وهذه ايضا ترجمة مقبولة .

★★ من هذه الناحية تفكير تيـــار واخرين يخالف خط المسيحيـة التاريخي ، يذكر بمذهب اوريجين الاسكندراني : خلق دائم متواصل بـــدلا من خلق واحد من العدم .

١٥ سنة) . وحركة الاعتراض (الطعن ــ السؤال ــ الرفض) كبيرة جــدا داخــل الشعب المسيحــي الكاثوليكــي والبروتستانتي . . .

خطيئة آدم وعاقبتها هــي ايضا اسطورة بروميثيوس، قصة فاوست الخ ، دراما ــ مأساة الانسان ، والانسـان الاوروبي الانسان الخارج مــن الطبيعة والصائـر فاعليـة هادفة . . . الشاعر المسيحي الكبير شارل بيغي Péguy (الذي مات في السنة الاولى مـن الحـرب العالمية الاولى ، ١٩١٤) عنده قصيدة رائعة عنوانها « نشيد الـى الليل » . الله يخاطب الليل ، يخاطبها (بالفرنسية الليل مؤنث) خطابا شرقيا واسلاميا قرآنيا في بعض عباراته : انت ابنتي البكر ، خلقتك الاولى ، ايتها الليل ذات الرداء الكبير ، الرداء المرصع بالنجوم ، تسكبين الهدوء والنسيان والسكون ، تنجحين في تهدئة الانسان هذا البئر من القلق ، الانسان الذي هو بمفرده اكثر قلقا من مجموع الخليقة . . . انــك تذكرينني بذلـك الصمت الكبير الذي كان في العالم قبل بداية ملكوت الانسان وتبشرينني بهذا الصمت الكبير الذي سيكون بعــد نهايـة ملكوت الانسان حين سأكون قــد استرجعت صولجانــي . وأحيانا أفكر بذلك من الآن لان هذا الانسان بات يحدث ضجة كثيرة !

عند بيغي (بطبيعة الحــال ورغم مذهب الخلــق . . .) النهاية هي نهاية الانسان .

نحن امام خيار ، رهان ، مفترق . والامر بالـغ الحدة عند عمانويل ليفين . الامر اي الجدل وقضيــة فلسطين ــ البؤرة .

شوراقي طباقـــه ، معارضه ، الباهت ، المحـــرج ، والكاذب .

ورد ذكره مرارا في العدد الاول مـن هيريتم : يهودي أصله من شمالي افريقيا ولكنــه « اندرج فـــي الحضارة الغربية » . وهو صهيوني معتدل ومقاتل مع الصهيونية .

وهو عالم في ميدانه او ميادينه . اعمالــه : « انشاء دولة اسرائيل ، اطروحة دوكتوراه باريس ١٩٤٨ » . « دولة اسرائيل » ، **P. U. F** ، سلسلة ماذا أعلم؟ « **تيودور هرزل**» . **مؤلفات عن أوضاع يهود المغرب . وترجمات لنشيـد الانشاد** والمزامير وسليمان بن جبيرول وباهيا بـــن باقودا (كتابــه « مدخل الى واجبات القلوب » مع مقدمة للمفكـر الكاثوليكي الكبير جاك ماريتان) . كما يرى القارىء ، الرجل رجل فكر وثقافة وجامع اللاهوت والسياسة ، او السياسة واللاهوت ، اللاهوت في خدمة السياسة .

كتابه « تاريخ اليهودية » كتاب صغير وسهل **ومفيد** . من يريد ان يكوّن فكرة عن « **تاريخ الدين اليهودي** » عليــه بقراءة هذا الكتاب . كونه تاريخ اليهودية فـــي مرآة صهيونية (**شبه معتدلة**) **قد لا يكون أمرا مضرا لهذا الهدف : المعرفة**، وبالاحرى معرفة اليهودية الدنيوية الراهنة الحاضرة . يهودي أصله من مراكش ، يهودي من العالم العربي ، لا يطلق مدفعية ثقيلة على العرب والاسلام وشعب فلسطين (ومـن المستحيل عرض تاريخ اليهود واليهودية والتـــراث اليهـودي وطمس التسامح الاسلامي) ، يعيش في فرنسا مع المسيحيين وغير المؤمنين ... هذا كله سلاح ذو حدّين . نعومة ، حذاقـة ، Subtilitr : « شطارة » ...

شوراقي يعلمنا في نهاية الصفحة الاخيرة عــن موعد التأليف : « ايام الفصح Pâques ، ١٩٥٧ » ــ الرجـــل مندرج في حياة اوروبا المسيحية ــ اي ربيع ١٩٥٧ . وبالطبع

« تاريخ اليهودية » فوق شيء دنيوي تافه من نوع عدوان ١٩٥٦ ... ليفين قال : « أمة قحاب » . ايـزاك دويتشـر (« محاولات عن المعضلة اليهودية ») ، امام مشهد المثقفين ـ المفكرين اليهود ادوات ومنظري « العالم الحر » ، يكاد يتمنى العوده الى نظام الـ numerus clausus ، الى تحديد عدد الطلاب اليهود في الجامعات الـذي كـان ساريا في روسيا القيصر وغيرها . وضوحا ، المصيبة لا تنحصر فـي المفكرين العلمانيين .

في الصفحة الاولى من المدخل ، يحدّثنا شوراقي تحت عنوان « الكلم Verbe والانسان والارض » ، عن معنى كلمة يهودية (انها مشتقة من جذر عبري يعني الشكر لله) ، يعلمنا ان هذا الدين « مطبوع بزواج بين اله ، اله سيناء ، وشعب، اسرائيل ، وأرض ، الارض المقدسة » ، وهو « زواج ثلاثي » . « كل تناقض يدخل في الحلف او العهد ، انما يفكّ كمالـه الحيّ : جوهريا ، اسرائيل رهينة الدراما التي تشرخ وحـدة السماوات والارض . لا يستطيع ان يجـد السلام الا فـي تناسق الثلاثية التي هو شريك فيهـا ... » . كـل النقـد الحديث للدين والكتب (البادىء في اوروبا ، فـي باريس ، منذ نيف وقرنين) متجاهل . يقول شوراقي : « هذا الكتاب الصغير مكتوب في السنة ٥٧١٧ من التقويم العبري » ، بـلا أي حرج علمي ، بل مع عكس الحرج ، مع ضربات عـلى طبل العراقة التاريخية : « بالواقع ، ثمة عمق مفـرد عجيب لزمن اسرائيل التاريخي ... الليتورجيا اليهودية تحتفل كل صباح بالبطريرك ابراهيم الذي عاش قبل اربعة آلاف سنة، والواقعة الاحدث التي يحتفل بها الكنيس حاليا ، دمار الهيكل ، تعود الى ألفي سنة تقريبا . الصينيـون وحدهم ، او الهنـود ، يظاون اليوم حملة او شهود مثل هذا العدد مـن القرون او اكثر » . وضوحا ، العراقة يحبها الغربي والشرقي . ولكـن

موضوعية اللاهوتي العالم ، اليهـــودي والفولتيري ، عـــن الصينيين والهنود ، تضييع لمسألـــة علاقـات العبرانيين ـ اليهود ـ اسرائيل ـ الكتاب بما قبل ومـــا حـول ، تضييع لمسالة نسبه وسبب الكتاب المقدّس اليهودي المسيحي الـى العرب ـ الساميين وتراثهم الاعرق ، اي لنقطة اوردها وألحّ عليها انجلز في سنة ١٨٥٣ (رسالة الى ماركس . مـن ثلاث رسائل متبادله بين الاثنين . وهذه السنة هـي سنـة المقالات الكلاسيكية عن الهند ، مقولـة الاسلوب الآسيوي للانتاج) . مسألة وجود تراث عربي سامي قديم يعدّله العبرانيون غيـر واردة ، عيد الاضحى ـ عيد المسلمين الاكبـــر ـ لا يستحق الذكر ، في مكان تال يذكـــر ان « الاسلام ابـــن الكتـاب المقدس » ، والكتاب المذكور ـ كما يبدو ـ ابن لا شيء ! هـذا ضروري من أجل « اللغز والسرّ » ، الـذي « قرّرت الماديـة التاريخية ان تتجاهله لانها لا تستطيع تفسيره » (اللاهوتـي الفولتيري لم يسمع لا ب « المسألـــة اليهودية » ولا برسائل ١٨٥٣ ...) . وواضح أن شوراقي من جهته قد فسر اللغز سلفا . دراما في ثلاثة فصول : تكوين ، نفي بين الامم ، عودة الى الارض المقدسة ... دراما هو دراما الانسان نفسه .

ويبقى المرء « حائرا » امام قول بيركه آبوت (وهو أحد آباء الدين اليهودي) ، القول الذي يبـرزه شوراقي (ص ٣٩ في الطبعة الثالثة) : « نفذ ارادته على انها ارادتك كي ينفـذ ارادتك على أنها أرادته . الـغ ارادتك امام ارادته كـي يلغي ارادة الآخرين امام ارادتك» . يبدو ان هذا تحقق . وشوراقي يخاطب العالم المسيحي ! الامر الذي يذكرنا ببعض اطروحات ماركس الشاب في « المسألة اليهودية » ، حـــول اليهودية والمسيحية (المسيحية يهودية نظريـــة ، اليهودية مسيحية عملية ، مع انتصار المجتمع البرجوازي الشعـــوب المسيحية صارت يهودية ، والمطلوب تحرير المجتمـــع او البشرية مـــن

اليهودية) . شوراقي لا يخجل (وهذا أمر مؤلم) علما بأن التسامح الاسلامي (الفصل الثاني : عهد الاسلام ، دار الاسلام) واضح من بغداد الى الاندلس .

ولكن لنصل الى الخلاصة ، الخاتمة :

« ... هذا الدين ، دين اسرائيل الذي وسع الى أمم الارض ببشارة المسيح ورسالة محمد .... اذ أن يقين اسرائيل يجد تعبيره تماما والى الابد في كلمات عقيدة الكنيس التي بها عرّف يسوع وصية الكنيسة : « اسمع ، يا اسرائيل ، اسمع الرب الهنا ، الرب الواحد ، وستحب الرب الهك من كل قلبك ، من كل نفسك ، بكل قواك ... » . نعم ، ان الوحدة بعدل المحبة تختصر فعلا كل نداء طور سيناء ...... ان عبقرية تيودور هرزل .... » .

نعم هكذا !

« ان عبقرية تيودور هرزل هي انه رأى أنه لكي يخرج اليهود من نفيهم الزمني ، عند فجر الازمنة الحديثة ، يجب ان يزوّدوا بقيادة سياسية هدفها اعادة خلق دولة اسرائيل . المنظمة الصهيونية العالمية ولدت من هذه الرؤية . استطاعت ان تحقق رسالتها في أقل من نصف قرن ... » .

نعم هكذا ! حركة الاستعمار والاستعمار الاستيطاني ، بلفور ، بريطانيا ، أميركا ، امور زمنية لا تستحق الذكر . عبقرية هرزل تستحق ، وبدون هذه الامور . انها من الله ، من اختصاص اللاهوت . واللاهوت لا يبسط السياسة ، لا يقول صراحة : الامبريالية حكمة من عند الله . حتى المأساة النازية ملفلفة عمليا .

طور سينا اكل حملة سيناء الحاصلة قبل شهور . شوراقي يطلق مدفعية اللاهوت والمسيحانية والسلام والمحبة (وثرثرة اللغة الجميلة) في خدمة أطماع صهيونية لا حدّ لها:

« اسرائيل ، وريثة أقدم تقليد يتجدد في أفتى دولة في

العالم ، ليس لها من سبيل آخر امامها سوى استدعاء قـوة الروح ورفع شهادة كتبها المقدسة وتاريخها لايقاف الامم في جريمة حرب يمكن ان تعني حكما بالموت على الجنس البشري ..... وحدوا جهودكم ، ايها اليهود ، ايها المسيحيون ، ايها المسلمون ايضا ، كي تتطابق أفعالكم مع اشتراطات ايمانكم ، اذا كنتم لا تريدون ان تموتوا في أكذوبـــة واحدة وحيـدة بعينها ...... ان اليهود والامم باتوا الآن محصورين امـــام حتميات الحياة : يجب تحرير الحب اذا كنا نريد ان نبقى . أن شعب العهد قد بعث لتوه ...... نعـم اورشليم تنبعث من خرائبها وانقاضها التي عمرها الفان مـن السنين ..... كي يبشر صلب وبعث بشرية متروكة بيقظة اخيـرة للكنائس والشعوب حتى تتوجه غايات البشرية لا نحو العدم بـل نحو عدالة ، نحو حرية المسيح ، من أجل مجـد الملكوت وسلامه . اذ أن كل شيء جاهز من أجل النصر النهائـــي للوحدة عـلى الفرقة ، للحقيقة على الكذب ، للعدالـة عـلى الاستعباد ، للسلام على الحرب ، للحياة على الموت ، للنور على الظلام ...

ازحيال قالها : ((**النهاية قادمة ...**)) . »

ـ نعم القول ونعم النهاية !

كتاب نقدمه للقارىء العربي حيث يتناول جمله الكتاب والمفكرين اليهود الاوروبيين ، نقاطاً متعددة على صلة بالقضيـة الفلسطينية ، منهم من هو معروف، ومثار جدل ، كرودنسون، ومنهم من يقدمه لنـــا ، الياس مرقص بالاضافة الى مقدمتـــه النقدية لتيارات المقولات ، للمثالية في اسوأ صورهـــا ، ظانة نفسها قمة الماركسية اللينينية ، لاول مرة .

تقومون في هذا الكتاب بجولة تتعرفون فيهـا على اكثر من مفكر ، وفي اكثر من موضوع من جوانب القضية الفلسطينية .

تقرأون عـــن : اللاساميه ، والصهيونيـــة ، واليهودية ، والعنصرية المضادة للعرب ، و... ومحاكمة الغرب .

الثمن : ٧٠٠ ق. ل.

دار الحقيقة ـ بيروت
ص.ب ٨١٤٧